

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

جامعة أم درمان الإسلامية

كلية الدراسات

العلیة

كلية اللغة

العربية

قسم الدراسات النحویة واللغویة

ابن جریر الطبری وجهوده النحویة فی (تفسیره جامع البیان)

دراسة نحویة وصفیة

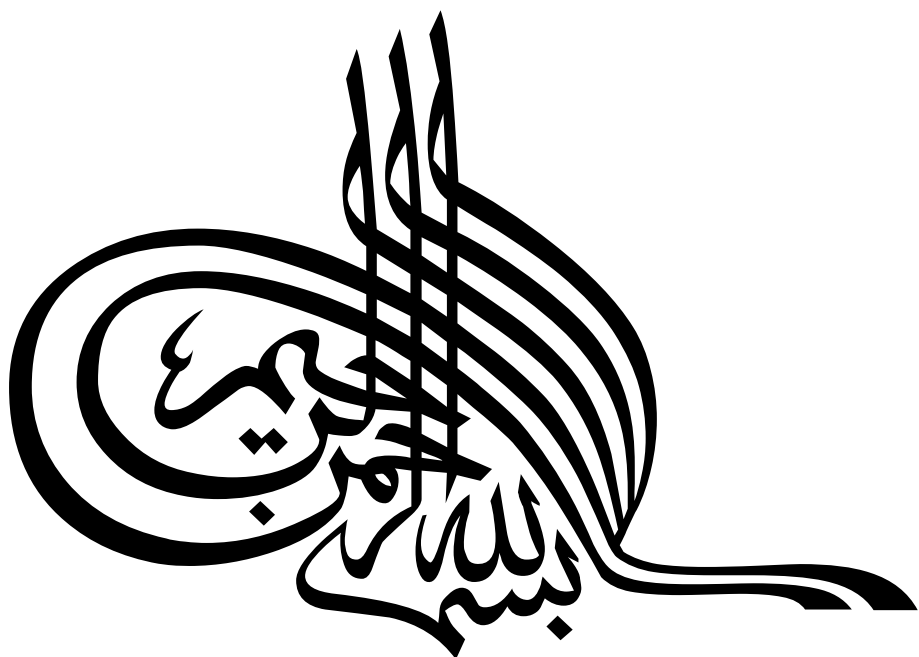
فی النصف الأول من القرآن الکریم

بمحة مقدم لنیل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب : أمین بابکر محمد الأمين الإمام

إشراف الدكتور : یحیی علی محمد الفادنی

العام ۱۴۳۳هـ - ۲۰۱۲م



الاستهلال آية

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا
رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

صدق الله العظيم

(الآية ١٠ من سورة الحشر)

إهداء

إلى الوالدينِ الكريمين اللذينِ جاء الأمرُ بالإحسانِ إليهما عقب الأمرِ
بوجوب إخلاص العبادَةِ لله ، فقال تعالى : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا

إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ (سورة الإسراء الآية ٢٤)

ثم إلى الذين يطلبون العلم قاصدين به وجه الله تعالى مبشرين بحديث
النبي ﷺ : ((من سلك طريقاً يلتمس به علماً سهل الله له طريقاً إلى

الجنة)) (سنن الترمذي باب فضل طلب العلم حديث رقم ٢٦٤٦)

أهدي هذا البحث

شكر وتقدير

أشكر الله الذي منَّ عليَّ بفضله وتوفيقه في كل شيء وفي كتابة هذا البحث قال تعالى: { لئن شكرتم لأزيدنكم } (سورة إبراهيم من الآية ٧) مؤكداً لئن شكرتموه على نعمه ليزيدنكم من فضله ، فالشكر لله على نعمه وتوفيقه .

، ثم أتقدم بجزيل الشكر ووافر التقدير لأستاذي الدكتور :

يحيى على محمد الفادني رئيس قسم اللغة العربية بكلية التربية الذي أشرف على هذا البحث ، وكان خير معين بتوجيهاته وعلمه ، ثم بما أولانيه من رحابة الصدر ، وحسن الإرشاد والتوجيه ، ولقد شرفت بإشرافه ، فجزاه الله كل خير .

، ثم الشكر والتقدير لكل من
قدم لهذا البحث يداً أو عوناً .
، ثم لا يفوتني أن أتوجه بالشكر
والتقدير للدكتور الحسن المثني عمر الفاروق مدير /
جامعة أم درمان الإسلامية - فرع نيالا الذي أفادني كثيراً
.

والشكر إلى مكتبة جامعة أم
درمان الإسلامية منبع
العلم .

بسم الله الرحمن الرحيم ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله الأمين ، وبعد :
عنوان الرسالة : ابن جرير الطبري وجهوده النحوية في تفسيره جامع البيان -
دراسة نحويّة وصفية في النصف الأول من القرآن الكريم .

الهدف من الرسالة : التعريف بشخصية الطبري النحويّة ومذهبه النحوي ، وإبراز
آثاره العلمية ومنهجه الذي سلكه في تفسير القرآن الكريم ، ودراسة جهوده
النحويّة من خلال آرائه ، واختياراته ، واستدراكاته على النحويين ، ومن ثم
تقويم هذه الجهود في نتائج تفيد الدارسين .

محتويات الرسالة : احتوت هذه الرسالة على مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وعدد
من الفصول والمباحث والمطالب وخاتمة شملت النتائج والتوصيات والفهارس
العامة .

احتوت المقدمة على : أهمية وأسباب اختيار الموضوع ، واحتوى التمهيد على :
عصر الطبري ، واحتوى الباب الأول على : ترجمة الطبري ، واحتوى الباب
الثاني على : شخصية الطبري النحويّة ومذهبه النحوي ، واحتوى الباب الثالث
على : الجهود النحوية للطبري في تفسير المفردات وذكر استعمالاتها ، وتفسير
الجمل وذكر إعرابها .

أهم النتائج :

١- إن ابن جرير الطبري كان يعتد بأصالة اللفظ القرآني فليس عنده لفظ زائدٌ
في القرآن الكريم ، فكل حرف أو كلمة ذكرت في القرآن الكريم عنده
جاءت لمعنى .

٢- كان الطبري كوفي المذهب ، فقد كان يستخدم في تفسيره مصطلحات
الكوفيين ، وكانت أكثرُ اختياراته تميل إلى صالح الكوفيين ، وقد عده
البعض من كبار علماء المذهب الكوفي ، وعلى الرغم من انتمائه للكوفيين
بيّنت الدراسة عدم تعصبه لمذهبه .

٣- إن ابن جرير الطبري كانت له ثقافة واسعة في النحو فقد كان يتعرض لآراء النحويين المختلفة في تفسيره ويرجح بعضها على بعض ، وأظهرت الدراسة أن أكثر المسائل النحوية التي ذكرها الإمام الطبري كانت تعود إلى الخلاف بين المذهبين البصري والكوفي.

٤- إن المنهج الذي استخدمه الإمام الطبري في تفسيره وهو الربط بين تفسير الآية والوجه الإعرابي لها ، مكنه من الاستدراك على كثير من النحويين من المذهبين البصري والكوفي.

٥- أظهرت الدراسة وجود آراء نحوية خاصة بالإمام الطبري .

٦- أظهرت الدراسة لابن جرير الطبري اختيارات نحوية للقراءات القرآنية التي يفضلها على القراءات الأخرى .

٧- تركت جهود الطبري النحوية أثراً في كتب التفسير الأخرى مثل تفسير ابن عطية المعروف بالمحرر الوجيز وتفسير أبي حيان المعروف بالبحر المحيط .

٨- كان للعصر والبيئة دوراً كبيراً في تكوين شخصية الطبري النحوية فقد استقر الخلاف بين المذهبين الكوفي والبصري في بغداد ، فأخذ الطبري من هذا النبع الصافي علم النحو .

الدرجة :

الطالب : أمين بابكر محمد الأمين الإمام

الدكتوراه .

Abstract

Praise be to Allah and peace and blessings be upon **his messenger:**

Subject of the study: Ibn Jarir Al-Tabari and his grammatical efforts in his interpretation "Jamea Al-bayan" - grammatical and descriptive study in the first half of the Quran.

The objective of the study: the definition grammatical personality of Al-Tabari and his grammatical doctrine, and to highlight the impact of scientific and approach he has pursued in the interpretation of the Quran, and the study of its grammatical through his views, and his choices, and his observations upon the grammarians, and then evaluate these efforts in the results that benefit the learners.

The contents of the study: This study contains an introduction and preamble and three parts and a number of chapters, detectives and demands and a conclusion included findings and recommendations and general indexes.

Provided contains: the importance of and the reasons for the choice of subject, and boot contains: the era of Al-Tabari, and Part I contains: Al-Tabari translate , and Part II contain: Al-Tabari grammatical Personality and grammar doctrine, and Part III contains: grammatical efforts to Al-Tabari in the interpretation of the vocabulary and stated uses and interpretation of sentences expressing said.

Results:

١ - The Ibn Jarir Al-Tabari was significant authenticity Qur'anic terminology has no word plus in the Koran, every letter or word mentioned in the Holy Quran has come to make sense.

٢ - Al-Tabari was been doctrine "Kufi", he was used in interpretation of terms "Alkufieen", and were more choices tend to favor "Alkufieen", has several other senior scientists doctrine "Kufi", and despite his membership in the study "Alkufieen" demonstrated that he wasn't a fanaticism to his doctrine.

٣ - The Ibn Jarir Al-Tabari had wide culture as it was exposed to the views of various grammarians in the interpretation and likely on each other, and the study showed that more grammatical issues mentioned by Imam Al-Tabari was returning to the difference between two doctrines "Alkufi" and "Albusri".

٤ - The approach used by Imam Al-Tabari interpreted a link between the interpretation of the verse and its grammatical face, enabled him to redress many of the grammarians between the two doctrines "Alkufi" and "Albusri".

◦ - The study showed the presence of private opinions grammatical Imam Al-Tabari.

٦ - The study showed Ibn Jarir Al-Tabari grammatical choices for Quranic readings favored by the other readings.

٧ - AL-Tabari efforts left grammatical impact in other books of interpretation such as the interpretation of Ibn Attiya known as "Almuharer Alwajeez" and Abu Hayyan interperatation known as "Al-bahr Almuheet".

٨ - The era and the environment played a major role in forming the grammatical personality of Al-Tabari because the settled the dispute between the two doctrines "Alkufi" and "Albusri". in Baghdad, Al-Tabari took from this spring as science grammar science.

**Student: Amin Babiker Mohamed Al-Amin Imam
Doctorate**

Grade:

مقدّمة

- موضوع البحث .
- أهميّة البحث .
- أسباب اختيار الموضوع .
- الدراسات السابقة .
- أهداف البحث .
- المنهج المستخدم .
- الصعوبات التي واجهت الباحث .
- خطّة البحث .

مقدمة

الحمدُ لله رب العالمين القائل في محكم تنزيله : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١) ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ المبين الأول لكتاب الله تعالى ، والذي قيل له : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (٢) ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

فإن من حكم إنزال القرآن الكريم تدبر آياته بحيث يصل الإنسان من خلال التفكير وإمعان النظر في الآيات إلى الهداية والاستقامة ، وهذا الأمر لا يحصل لأحدٍ كما قال الطبري : إلا لمن كان بمعاني بيانه عالماً، وبكلام العرب عارفاً (٣)

والقرآن كتاب دائم البركة كما وصفه الله تعالى وهداية لأصحاب العقول السليمة ، وقد بين لنا الرسول ﷺ ما أجمله القرآن من تشريعات وأحكام وآداب ومواعظ حيث كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا أشكل عليهم فهم شيء من القرآن ، سألوا عنه الرسول ﷺ ، وتفسير الرسول ﷺ لآيات القرآن الكريم هو من جملة الأقسام الثلاثة التي ذكرها الإمام الطبري بقوله: "وإن تأويل جميع القرآن على أوجهٍ ثلاثة ، أحدها: لا سبيل إلى الوصول إليه ، وهو الذي استأثر الله بعلمه ، وحجبَ علمه عن جميع خلقه ، وهو أوقات ما كان من آجال الأمور الحادثة ، التي أخبر الله في كتابه أنها كائنة ، مثل: وقت قيام الساعة ، ووقت نزول عيسى بن مريم ، ووقت طلوع الشمس من مغربها، والنفخ في الصور، وما أشبه ذلك.

١- سورة ص الآية ٢٩

٢- سورة النحل ، الآية ٤٤

٣- انظر تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن ، تأليف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، (٢٢٤ هـ - ٣١٠ هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م ، ١ / ٨٣

والوجه الثاني: ما خصَّ الله بعلم تأويله نبيَّه ﷺ دون سائر أمته ، وهو ما فيه مما عباده إلى علم تأويله الحاجة ، فلا سبيل لهم إلى علم ذلك إلا ببيان الرسول ﷺ لهم تأويله .

والثالث منها: ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن ؛ وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه ؛ لا يُوصل إلى علم ذلك إلا من قبلهم (١).

وبما أن الوجهين الأولين خاصان ؛ فإن الوجه الثالث هو عام لكل علماء الأمة العارفين باللغة العربية التي بها نزل القرآن الكريم ، وإذا قسمت اللغة إلى فروع نجد أعظم فروعها علم النحو ؛ فلن تجد علماً من علوم اللغة يستقل بنفسه عن علم النحو ، فجميع العلوم العربية على جليل شأنها تحتاج إليه ، ولا سيما علم التفسير ، قال الإمام السيوطي: "الإعراب يميز المعاني ويوقف على أغراض المتكلمين ، وقال : وعلى الناظر في كتاب الله تعالى الكاشف عن أسراره النظر في الكلمة وصيغتها ومحلها ، ككونها مبتدأ أو خبر ، أو فاعلاً أو مفعولاً ، أو في مبادئ الكلام أو في جواب ، إلى غير ذلك" (٢) ، وقال أبو حيان في مقدمة تفسيره مبيناً أهمية النحو في علم التفسير: "فجدير لمن تافت نفسه إلى علم التفسير ، وترقت إلى التحقيق فيه والتحرير ، أن يعتكف على كتاب (سيبويه) ، فهو في هذا الفن المعول عليه ، والمستند في حل المشكلات إليه" (٣)

وقال ابن هشام الأنصاري مبيناً أهمية النظر إلى المعنى والإعراب معاً: "وهأنذا مورد بعون الله أمثلة متى بني فيها على ظاهر اللفظ ولم ينظر في موجب المعنى حصل الفساد وبعض هذه الأمثلة وقع للمعربين فيه وهم بهذا السبب، وسترى ذلك

١ - انظر : تفسير الطبري ، ٩٣/١

٢ - الإتيان في علوم القرآن ، تأليف الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : مركز الدراسات القرآنية ، ص ١٢٢٠ .

٣ - تفسير البحر المحيط ، المؤلف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، شارك في التحقيق : د. زكريا عبد المجيد النوقي ، د. أحمد النجولي الجمل ، ط ١ ، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت ، ١٤٢٢هـ ، ٢٠٠١م ، ١/١٠١ .

معيناً فأحدها قوله تعالى: ﴿أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾ (١) فإنه يتبادر إلى الذهن عطف أن نفعل على أن نترك وذلك باطل ؛ لأنه لم يأمرهم أن يفعلوا في أموالهم ما يشاؤون ، وإنما هو عطف على (ما) فهو معمول للترك والمعنى أن نترك أن نفعل، وموجب الوهم المذكور أن المعرب يرى أن والفعل مرتين وبينهما حرف العطف " (٢).

وقد بدأ الاتجاه اللغوي في التفسير منذ القرن الأول الهجري ثم بلغ ذروته في أواخر القرن الثاني الهجري وأوائل القرن الثالث ، إذ نشأ علم النحو على أيدي رواده أمثال : أبي عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب والخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه ، وكان الغرض الأسمى من تأصيل هذه العلوم خدمة القرآن الكريم صيانة له من اللحن ، وقد أثرت هذه الدراسات في تفسير القرآن الكريم تأثيراً كبيراً إذ اشتغل اللغويون أنفسهم بالقرآن ولغته وكان من أشهر هؤلاء العلماء أبو عبيدة معمر بن المثنى ، المتوفى سنة ٢٠٨ هـ في كتابه (مجاز القرآن) ، وأبو زكريا الفراء ، المتوفى ٢٠٧ هـ في كتابه (معاني القرآن) ، والأخفش الأوسط ، المتوفى ٢١٥ هـ في كتابه (معاني القرآن) ، ثم أبو اسحق الزجاج ، المتوفى ٣١١ هـ في كتابه (معاني القرآن) (٣) والنحاس ، المتوفى ٣٣٨ هـ في (إعراب القرآن) ، ثم الزمخشري ، المتوفى ٥٣٨ هـ في تفسيره (الكشاف) ، وابن عطية ، المتوفى ٥٤٢ هـ في تفسيره (المحرر الوجيز) ، ثم أبو حيان ، المتوفى ٧٤٥ هـ في تفسيره (البحر المحيط) ، وقد اهتم ابن جرير الطبري (إمام المفسرين) المتوفى سنة ٣١٠ هـ في تفسيره بالجانب النحوي ؛ ولكنه لم يكثر منه كما فعل غيره ؛ وإنما تناوله بحسب ما تدعوا إليه الحاجة ، وقد تميّز تفسير الطبري من بين كتب التفسير

١ - سورة هود من الآية ٨٧ .

٢ - مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تأليف : جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، تحقيق: د.مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر بيروت ، ط ٦ ، ، ١٩٨٥ ص ٦٨٦ .

٣ - انظر : مقدمة تفسير الزمخشري ، تحقيق وتعليق : الشيخ عادل عبد الموجود ، والشيخ على محمد معوض ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ١ / ٨١ .

الأخرى بكونه أقدم كتاب في التفسير وصل إلينا ، فكل المحاولات التفسيرية التي سبقته ذهبت بمرور الزمن ، ولم يصل إلينا منها شيء سوى ما وصل إلينا في ثانيا ذلك الكتاب القيم ؛ ولهذا تعد جهوده النحوية هي الجهود الأولى في كتب التفسير .

وهذا بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية قسم الدراسات النحوية واللغوية في مجال النحو ، بعنوان : ابن جرير الطبري وجهوده النحوية في تفسير الطبري "دراسة نحوية وصفية" في النصف الأول من القرآن الكريم .
وأرجو من الله تعالى أن يوفقني في كتابة هذا البحث وتغمرنى بركات كتابه ، وأن يتقبل الله من سلفنا الصالح جهدهم وعلمهم الذي ما زلنا ننتفع به .

أهمية البحث:

تتبع أهمية هذا البحث من الآتي:

- ١- ارتباط الدراسة بأشرف الكتب وهو القرآن الكريم.
- ٢- أهمية تفسير الطبري الذي يعد من أجل ما كتب وحرر وأعظم ما صنف ودون ، فتفسير "جامع البيان" من أشمل كتب تفسير القرآن الكريم ، وأصحها (١) وهو كتاب يجمع من الخصائص والمزايا ما يضعه في موضع الصدارة والتقديم بين كتب التفسير ، فكتابه يفوق ما سبقه أو عاصره من كتب التفسير فهو أغزر مادة وأكبر حجماً وأكثر تنوعاً وشمولاً حتى قيل عنه: لم يصنف مثله أحد ، وقالوا : لا يقدر أحد أن يزيد فيه (٢).

وقد قال الطبري في مقدمة تفسيره: " .. ونحن - في شرح تأويله وبيان ما فيه من

١ - رأي ابن تيمية في تفسير الطبري ، انظر : مقدمة في أصول التفسير ، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ، ط: ١٤٩٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ٥١ .

٢ - انظر : تفسير الطبري ، مقدمة المحققين ، تحقيق أحمد عبد الرازق البكري ، محمد عادل محمد ، محمد عبد اللطيف خلف ، محمود مرسي عبد الحميد ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .

معانيه- منشؤون إن شاء الله ذلك كتاباً مستوعباً لكل ما بالناس إليه الحاجة

من علمه جامعاً ومن سائر الكتب غيره في ذلك كافياً... (١)
٣- من خلال البحث في مؤلفاته لم يجد الباحث لابن جرير الطبري كتاباً خاصاً في النحو ؛ مما تشكل الدراسة أهمية بالغة في إبراز جهوده النحوية.
٤- أهمية الفترة التي عاشها الطبري فقد أثمر الخلاف بين مدرستي البصرة والكوفة على استقرار قواعد النحو في بغداد ، فاستقى الطبري من هذا النبع الصافي علمه بالنحو .

٥- إثراء المكتبة العلمية ببحث جديد يظهر شخصية الطبري النحوية ومذهبه النحوي وجهوده النحوية .

أسباب اختيار الموضوع:

١- رغبة الباحث في دراسة عمل يتصل بكتاب الله تعالى ويخدم جانباً من جوانب علومه ، وطمعاً فيما عند الله من الثواب فالاشتغال بالعلم من أفضل القربات وأجل الطاعات .

٢- كثرة المسائل النحوية في تفسير الطبري ؛ تعدُّ مصدراً خصباً للدراسات والبحوث النحوية .

٣- الجهود النحوية للطبري في تفسيره مبنية على الربط بين وجوه التفسير ووجوه الإعراب ، ومن خلال هذا الربط استدرج الطبري على بعض نحاة المذهبيين البصري والكوفي ؛ وهذه الآراء المختلفة بالطبع تثري الدراسات النحوية.

٤- المكانة العلمية الكبيرة التي يحظى بها صاحب التفسير ، فقد قال عنه الخطيب البغدادي قولاً جامعاً شاملاً ، وهو رجل عارف بأقدار الرجال، قال : "كان أحد أئمة العلماء ، يحكم بقوله ، ويرجع إلى رأيه ؛ لمعرفته وفضله ، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره

١ - تفسير الطبري ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، ٧/١ .

وكان حافظاً لكتاب الله ، عارفاً بالقراءات ، بصيراً بالمعاني ، فقيهاً في أحكام القرآن ، عالماً بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم ، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك ، وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله .. الخ (١)

الدراسات السابقة:

حظي كتاب الطبري بكثير من الدراسات المختلفة فصاحبه كان عالماً بالتفسير والفقه والحديث والنحو واللغة والتاريخ ، إلا أن الباحث لم يعثر على دراسة سابقة تناولت جهود الطبري النحوية ، فهناك رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى بمكة : بعنوان : "القراءات عند ابن جرير الطبري في ضوء اللغة والنحو" أعدها الطالب : أحمد خالد بابكر وأشرف عليها الأستاذ الدكتور عبد العزيز برهام في العام ١٩٨٢ ، وأبرزت الرسالة الجهود اللغوية والنحوية لابن جرير الطبري من خلال توجيهه للقراءات القرآنية التي أوردها في التفسير ومن نتائج البحث أحصت الدراسة مواضع الاختلاف بين القراء ، وأثبتت الدراسة أهمية تفسير الطبري باعتباره موسوعة علمية ، وأثبتت الدراسة كذلك أن الطبري قد تأثر في آرائه بمعارف عصره... الخ ، وهذه الرسالة تختلف تماماً عن رسالة الباحث فرسالته في مجال اللغة والنحو ومحورها القراءات وهذه الرسالة في النحو ومحورها الجهود النحوية للطبري ، وهي لم تتناول القراءات بالدراسة وإنما تناولت جهود الطبري النحوية من واقع آرائه واختياراته واستدراكاته على النحويين غير أن الباحث أشار في أحد مباحثه إلى موقف الطبري من القراءات القرآنية " وهدف هذا المبحث التعريف بشخصية الطبري النحوية .

١ - تاريخ بغداد (مدينة السلام) وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها ، تأليف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ٣٩٢هـ - ٤٦٣هـ ، تحقيق : د . بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ٥٥٠/٢

وهناك رسالة ماجستير من جامعة القاهرة كلية دار العلوم بعنوان : " تعدد التوجيه النحوي عند الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن " للطالب عبد المحسن أحمد الطببائي وإشراف الأستاذ الدكتور: محمد حماسة عبد اللطيف ، في العام ٢٠٠١ م ، والرسالة تناولت أسباب ومظاهر تعدد التوجيه النحوي عند الطبري بسبب الاختلاف في التقدير ، والعلامات الإعرابية ، والحروف ، والتركيب ، والقراءات القرآنية ، وكانت من نتائج بحثه : أهم أسباب تعدد التوجيه النحوي (التنغيم)، القراءات القرآنية المختلفة تسهم في تعدد توجيه النحاة والمفسرين للآية نحويًا ، كل الآثار المترتبة على تعدد توجه النحوي يمكن إدراجها في مبحث واحد وهو الآثار الدلالية .

وهذه الرسالة كذلك تختلف تماماً عن رسالة الباحث من حيث الدراسة والمحتوى .

أهداف البحث :

- ١- التعريف بالطبري عن طريق الترجمة له ، ومعرفة عصره ، ومعاصريه .
- ٢- التعريف بشخصية الطبري النحوية ومذهبه في النحو .
- ٣- إبراز آثاره العلمية ومنهجه النحوي الذي سلكه في تفسير القرآن الكريم .
- ٤- دراسة الجهود النحوية للطبري من خلال آرائه ، واختياراته ، واستدراكاته على النحويين ، ومن ثم تقويم هذه الجهود والوصول بها إلى نتائج تفيد الدارسين .

الصعوبات التي واجهت الباحث:

واجهت الباحث عدة صعوبات في كتابة البحث منها :

١- ارتباط الدراسة بالتفسير تتطلب مزيداً من الدقة والحذر ؛ خوفاً من الوقوع في الخطأ ، وأسأل الله التوفيق والسداد " رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ."

٢- استخدم الطبري في تفسيره مصطلحات المذهب الكوفي في النحو ؛ وهي مصطلحات قليلة الاستخدام عند المتأخرين ، وهذه المصطلحات جعلت

الباحث يرجع كثيراً إلى الكتب التي تبين الخلاف بين المذهبيين مثل كتاب :
المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري لعوض
حمد القوزي ، وكتاب الإنصاف في مسائل الخلاف ، لأبي البركات بن
الأنباري .

٣- ذكر الطبري آراء النحويين المختلفة بقوله: " قال بعض نحوي البصرة"،
"وقال بعض نحوي الكوفة" دون أن يذكر أسماءهم؛ مما ألزم الباحث أن
يرجع كثيراً إلى كتب النحو؛ ليتعرف عليهم .

المنهج المستخدم:

استخدم الباحث في بحثه المنهج الوصفي التحليلي.

ودراسة الجهود النحوية للطبري تقوم على :

- ١- دراسة الآراء النحوية التي تناولها الطبري في الآيات القرآنية.
- ٢- دراسة آراء الطبري النحوية التي يقول فيها : والصواب من القول عندي
، أو الصواب في ذلك عندي ، أو وأولى الأقوال عندي بالصواب ، أو
غيرها من الصيغ التي تبين جهوده النحوية .
- ٣- تعريف الذين يسميهم الطبري: بـ(أهل العلم بالعربية) أو (نحوي البصرة
والكوفة) .
- ٤- دراسة الجهود النحوية للإمام الطبري من خلال آرائه واختياراته ،
ومقارنتها بآراء أخرى لنحويين من مذاهب مختلفة مع الاهتمام خاصة
بآراء النحويين من أهل التفسير كالقراء في كتابه معاني القرآن ، والأخفش
في كتابه معاني القرآن ، وأبي حيان في تفسيره البحر المحيط ،
والزمخشري في تفسيره الكشاف ، والزجاج في إعراب القرآن ،
والنحاس في معاني القرآن ، وابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز ،
والسمين الحلبي في تفسيره الدر المصون في علم الكتاب المكنون ، وابن
هشام الأنصاري في كتابه مغني اللبيب .

هيكل البحث:

يحتوي البحث على مقدمة وتمهيد وعدد من الأبواب تحتها عدد من الفصول والمباحث وخاتمة وفهارس عامة كالآتي:

مقدمة : تحتوي على عناصر البحث

تمهيد: يحتوي على عصر الطبري " الحياة العلمية والسياسية والاجتماعية"

الباب الأول : ترجمة الطبري ، ويحتوي على سبعة فصول:

الفصل الأول: اسمه ، ونسبه ، وكنيته ، ومولده ، ونشأته.

الفصل الثاني: رحلاته في طلب العلم.

الفصل الثالث: صفاته وأخلاقه

الفصل الرابع: ثناء العلماء عليه.

الفصل الخامس: شيوخه وتلاميذه.

الفصل السادس : مصنفاًته.

الفصل السابع : وفاته.

الباب الثاني : شخصية الطبري النحوية ويحتوي على سبعة فصول:

الفصل الأول: مصادره النحويّة ومذهبه النحوي.

الفصل الثاني: موقفه من المذهبين البصري والكوفي.

الفصل الثالث: اعتداده بأصالة اللفظ القرآني ودلالاته النحوية .

الفصل الرابع: اعتراضاته على آراء بعض النحويين.

الفصل الخامس: عرضه لآراء النحويين المختلفة.

الفصل السادس: استخدامه أسلوب الحجة والإقناع.

الفصل السابع : موقفه من القراءات القرآنية.

الفصل الثامن: نماذج توضح دقته في التفسير والإعراب.

الباب الثالث : الجهود النحوية للطبري ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول : في تفسير المفردات وذكر استعمالاتها:

المبحث الأول: الجهود النحوية في تفسير سورة البقرة:

المطلب الأول: القول في حرف الجر (إلى) في الآية: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ



المطلب الثاني: القول في حرف الجزاء (إن) في الآية: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴿

المطلب الثالث: القول في حرف العطف (أو) في الآية: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ

أَشَدُّ قَسْوَةً ﴿

المطلب الرابع: القول في حرف العطف (أو) في الآية: ﴿أَوْ كَمَا عَاهَدُوا

عَهْدًا ﴿

المطلب الخامس: القول في حرف العطف (أم) في الآية: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ

تَسْأَلُوا ﴿

المبحث الثاني: الجهود في تفسير سورة النساء:

المطلب الأول: القول في (اللام) في الآية: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴿

المبحث الثالث: الجهود في تفسير سورة الأعراف:

المطلب الأول: القول في (لا) النافية في الآية: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴿

المبحث الرابع: الجهود في تفسير سورة يونس:

المطلب الأول: القول في لام (ليضلوا) في الآية: ﴿رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴿

المطلب الثاني: القول في الفعل (يؤمنوا) في الآية: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا ﴿

المبحث الخامس: الجهود في تفسير سورة هود:

المطلب الأول: القول في ألف الندبة في الآية: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ

وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴿

المبحث السادس: الجهود في تفسير سورة الرعد:

المطلب الأول: القول في معنى (من) في الآية: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿

الفصل الثاني: في تفسير الجمل وذكر إعرابها:

المبحث الأول : الجهود النحوية في تفسير سورة البقرة :

المطلب الأول:القول في إعراب "وصد" في الآية : ﴿ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾

المبحث الثاني: الجهود في تفسير سورة آل عمران :

المطلب الأول: القول في (الباء) في الآية : ﴿ إِيَّا بِحُبِّهِ مِنَ اللَّهِ ﴾

المطلب الثاني:القول في "سواء" في الآية: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾

المبحث الثالث: الجهود في تفسير سورة النساء:

المطلب الأول:القول في موقع (من) في الآية : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ ﴾

المطلب الثاني: القول في إعراب "رفيقاً" في الآية: ﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾

المطلب الثالث : القول في إعراب "فئتين" في الآية: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ

فَتَيْنٍ ﴾ .

المطلب الرابع: القول في إعراب "والمقيمين" في الآية : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾

المبحث الرابع: الجهود في تفسير سورة المائدة:

المطلب الأول: القول في لامي "لأكفرن"، و"ولأدخلنكم" في الآية: ﴿ لَأَكْفِرَنَّ

عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾

المطلب الثاني: القول في رافع "شهادة"، و"اثنان" في الآية : ﴿ شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا

حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾

المبحث الخامس: الجهود في تفسير سورة الأنعام:

المطلب الأول:القول في جملة القسم "ليجمعنكم" في الآية ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ

الْقِيَامَةِ ﴾

المطلب الثاني: القول في إعراب (من) في الآية: ﴿ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ ﴾

المبحث السادس : الجهود في تفسير سورة الأعراف:

المطلب الأول : القول في إعراب ﴿ وَكِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾

المطلب الثاني : القول في تذكير "قريب" في الآية : ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

المطلب الثالث : القول في "متعلق اثنتي عشرة" في الآية : ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ أَثْنَيْ عَشَرَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا﴾

المبحث السابع : الجهود في تفسير سورة يونس:

المطلب الأول: القول في "الرافع للجزاء" في الآية : ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾

المبحث الثامن : الجهود في تفسير سورة هود:

المطلب الأول: القول في موضع (مَنْ) في الآية : ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾

المبحث التاسع : الجهود في تفسير سورة النحل:

المطلب الأول : القول في جواب (من) في الآية : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهُ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾
الخاتمة :

تحتوي على : النتائج والتوصيات.

الفهارس العامة .

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأبيات الشعرية
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

تمهيد

عصر ابن جرير الطبري

الحياة العلمية

والسياسية والاجتماعية

تمهيد

عرف عصر الطبري في القرن الثالث الهجري (٢٢٤ هـ - ٣١٠ هـ) "تعددًا معرفياً وثقافياً تجلّى في مجالات متعددة بسبب عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية ، فنمت الحياة العلمية في ذلك العصر ، وخطا العقل نحو التحرر والانفتاح على الثقافات الأجنبية وكان ذلك العصر من أخصب عصور العلم والمعرفة عند المسلمين" (١) ، التقت فيه تيارات الفكر الإسلامي بتيارات الفكر الأجنبي ، فظهرت في عقليات جديدة امتازت بالنضج والدقة والعمق وصفاء التفكير وسيطرة المنطق على آثار العقول والميل إلى الاستقصاء في البحث واستقلال الرأي" (٢) ، ولقد نشأ عن هذه الطفرة المعرفية نوع من التداخل بين العلوم المختلفة " فكان المشتغل باللغة والنحو عالماً بالحديث ووجوه التأويل ، والمحدث عارفاً بالتاريخ والفرق والمذاهب ومراتب الرجال والشاعر يأخذ بنصيب من اللغة والنحو والتصريف والفقيه يحفظ الشعر والمثل ، ويروي الحديث والخبر ويشترك في صنوف الآداب " (٣) .

"وهذا المناخ العلمي الثقافي الغني المتنوع هياً لكثير من الشخصيات التي تمتلك إمكانات كبيرة وطموحاً عالياً أن تقوم بدورها الثقافي والعلمي كاملاً ، وكان على رأس هؤلاء محمد بن جرير الطبري الذي يمثل صورة صادقة ودقيقة لهذا العصر(٤)

" فقد شهد في حياته ما كان من خلاف بين الفرق الإسلامية من معتزلة وغيرهم ، كما شهد معركة الخلاف بين النحاة البصريين والكوفيين ، وقرأ ما كتبه الشافعي

١ - انظر كتاب الإمام الطبري في ذكرى مرور أحد عشر قرناً على وفاته ، ج ٢ منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، إيسيكو، ١٩٩٢ ، أصالة المنهج في تفسير الطبري ، محمد المالكي ، ص ١٥٨

٢ - المرجع السابق ص ١٥٨

٣ - المرجع السابق ص ١٥٨

٤ - انظر : المرجع السابق ، ص ١٥٨

وغيره في أصول الفقه ، ورأى ما كتبه الجاحظ في البلاغة والنقد مما يقوم أكثره على العقل والنقد ، أكثر مما يقوم على مجرد الرواية التي تميز بها علم الذين سبقوه في القرنين السابقين " (١)

ويمكن القول أن أصول مذاهب الأئمة الأربعة قد استقرت في عصره : فالإمام أبي حنيفة توفي ببغداد (١٥٠ هـ) (٢) ، والإمام مالك توفي بالمدينة سنة (١٧٩ هـ) (٣) ، والإمام الشافعي توفي بمصر سنة (٢٠٤ هـ) (٤) ، والإمام أحمد بن حنبل توفي ببغداد سنة (٢٤١ هـ) (٥) .

ووضع أصحاب الحديث كتبهم الستة الصحاح ، فالإمام البخاري توفي (٢٥٦ هـ) (٦) ، والإمام مسلم توفي (٢٦١ هـ) (٧) ، وابن ماجه توفي (٢٧٣ هـ) ، وأبو داود توفي (٢٧٥ هـ) والترمذي توفي (٢٧٩ هـ) ، والنسائي توفي (٣٠٣ هـ) .

واستقرت قواعد النحو على أيدي نحاة كبار مع معاصرتهم لبعضهم ، أمثال : الأخفش الأوسط توفي (٢١٥ هـ) (٨) ، ويحيى بن زياد بن عبد الله الفراء توفي (٢٠٧ هـ) (٩) ، أحمد بن يحيى بن زيد ، أبي العباس ، المعروف بثعلب : إمام

-
- ١ - كتاب الإمام الطبري في ذكرى مرور أحد عشر قرناً على وفاته ، ص ١٥٨
 - ٢ - الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، تأليف خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط ١٥ ، العام ٢٠٠٢ ، ٣٦ / ٨
 - ٣ - كتاب الأعلام ، ٥ / ٢٥٧
 - ٤ - السابق ، ٦ / ٢٦
 - ٥ - السابق ١ / ١٢٠
 - ٦ - السابق ، ٢ / ٤٤
 - ٧ - انظر تاريخ وفاة الأئمة: ابن ماجه ، أبي داود ، الترمذي ، النسائي ، في كتاب الأعلام ، ٦ / ٣٤
 - ٨ - السابق ، ٣ / ١٠١
 - ٩ - السابق ، ٨ / ١٤٥

الكوفيين في النحو واللغة توفى (٢٩١ هـ)، ومحمد بن يزيد المبرد توفى (٢٨٦ هـ) (١)

ويضاف للطبري مع كل ذلك فكر جديد مترجم عن الأمم الأخرى كاليونان والهنود في الطب والرياضيات والمنطق ، قال ياقوت الحموي " وكان أبو جعفر قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثير من فنون أبواب الحساب وفي الطب، وأخذ منه قسطاً وافراً ... " (٢).

أما عن الحالة السياسية والاجتماعية فقد عاش الطبري في أوضاع سياسية مضطربة تعاقب على حكمها أحد عشر خليفة من بني العباس انتهى حكم معظمهم بالقتل أو الخلع ، نعرض لهم بإيجاز :

الخليفة الأول : المعتصم بالله : أبو إسحاق محمد بن الرشيد ولد سنة ثمانين ومائة ، وبويع له بالخلافة بعد المأمون في شهر رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ، فسلك ما كان المأمون عليه ، وختم به عمره من امتحان الناس بخلق القرآن ، وقاسى الناس منه مشقة في ذلك ، وقتل عليه خلقاً من العلماء ، وضرب الإمام أحمد بن حنبل وكان ضربه في سنة عشرين [ومائتين] ، قال الإمام الذهبي : كان المعتصم من أعظم الخلفاء وأهيبهم لولا ما شان سؤدده بامتحان العلماء بخلق القرآن ، مات المعتصم يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين [ومائتين] ، وكان قد ذلل العدو بالنواحي (٣)

الخليفة الثاني : الواثق بالله : هارون أبو جعفر وقيل: أبو القاسم بن المعتصم بن الرشيد ، ولد لعشر بقين من شعبان سنة ست و تسعين ومائة وولي الخلافة بعهد من أبيه بويع له في تاسع عشر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ، وقيل : دعا

١ - كتاب الوفيات ، لأبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب ، ٧٤٠هـ - ٨٠٩هـ

، تحقيق عادل نويهض ، دار الإقامة الجديدة ، تاريخ النشر ١٩٧٨م بيروت ، ١ / ١٩١

٢ - معجم الأدباء ، ٢ / ٢٤٥٢

٣ - تاريخ الخلفاء للسيوطي ، تأليف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة - مصر ، ط ١ ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م ، ١ / ٢٩١

الناس إلى القول بخلق القرآن ويقال : إنه رجع عنه قبل موته ، ومات يوم الأربعاء لست بقين من ذي الحجة سنة مائتين واثنين وثلاثين (١)

الثالث : المتوكل على الله : جعفر أبو الفضل بن المعتصم بن الرشيد ولد سنة خمس وقيل : سبع ومائتين وبويع له في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين بعد الواثق ، فأظهر الميل إلى السنة ونصر أهلها ورفع المحنة ، وفي حادثة موته : اتفق الأتراك مع المنتصر على قتل أبيه ، فدخل عليه خمسة في جوف الليل في مجلس لهوه فقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان ، وذلك في خامس شوال سنة سبع وأربعين ومائتين (٢)

الرابع : المنتصر بالله : محمد أبو جعفر ، وقيل : أبو عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، وكان مهيباً وافر العقل راغباً في الخير قليل الظلم محسناً إلى العلويين ، بويع له بعد قتل أبيه في شوال سنة سبع وأربعين ومائتين فخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد الذي عقده لهما المتوكل بعده ، وأظهر العدل والإنصاف في الرعية فمالت إليه القلوب مع شدة هيبتهم له ، ولما ولي صار يسب الأتراك ويقول : هؤلاء قتلة الخلفاء فعملوا عليه وهموا به فعجزوا عنه ؛ لأنه كان مهيباً شجاعاً فطناً متحرزاً فتحيلوا إلى أن دسوا إلى طبيبه ابن طيفور ثلاثين ألف ديناراً في مرضه ، فأشار بفصده ، ثم فصده بريشة مسمومة فمات (٣) الخامس : المستعين بالله : أبو العباس أحمد بن المعتصم بن الرشيد وهو أخو المتوكل ولد سنة إحدى وعشرين ومائتين ، فبايعوه وله ثمان وعشرون سنة واستمر إلى أول سنة إحدى وخمسين فتتكر له الأتراك لما قتل - منهم - الذي فتك بالمتوكل ، ولما تتكر له الأتراك خاف وانحدر من سامرا إلى بغداد فأرسلوا إليه يعتذرون ويخضعون له ويسألونه الرجوع فامتنع فقصدوا الحبس ، وأخرجوا

١ - تاريخ الخلفاء ، ١ / ٢٩٦

٢ - تاريخ الخلفاء ، ١ / ٣٠١

٣ - السابق ، ١ / ٣٠١

المعتز بالله وبإيعوه وخلعوا المستعين ، واستعد أهل بغداد للقتال مع المستعين ف وقعت بينهما وقعات ودام القتال أشهراً وكثر القتل و غلت الأسعار وعظم البلاء ، فخلع المستعين نفسه في أول سنة اثنتين وخمسين [ومائتين] ، وأرسل المعتز إلى أحمد بن طولون أن يذهب إلى المستعين فيقتله فقال : والله لا أقتل أولاد الخلفاء فندب له سعيد الحاجب فذبحه في ثالث شوال من السنة ، وله إحدى وثلاثون سنة ، وكان خيراً فاضلاً بليغاً أدبياً (١)

السادس: المعتز بالله : محمد وقيل الزبير أبو عبد الله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ولد سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وبويع له عند خلع المستعين في سنة اثنتين و خمسين وله تسع عشرة سنة ، ولم يل الخلافة قبله أحد أصغر منه ، وخلع المعتز أخاه المؤيد من العهد وضربه وقيده فمات بعد أيام فخشي المعتز أن يتحدث عنه أنه قتله أو احتال عليه فأحضر القضاة حتى شاهدوه وليس به أثر ، وكان المعتز مستضعفاً مع الأتراك فاتفق مع جماعة من كبارهم أتوه وقالوا : يا أمير المؤمنين أعطينا أرزاقنا لنقتل صالح بن وصيف ، وكان المعتز يخاف منه فطلب من أمه مالاً لينفقه فيهم فأبى عليه ، ولم يكن بقي في بيوت المال شيء فاجتمع الأتراك على خلعه ووافقهم صالح بن وصيف فلبسوا السلاح ، وجاءوا إلى دار الخلافة ، فبعثوا إلى المعتز أن أخرج إلينا فبعث يقول : قد شربت دواء وأنا ضعيف فهجم عليه جماعة وجروه وضربوه بالدبابيس وأقاموه في الشمس في يوم صائف وهم يلطمون وجهه ويقولون : "اخلع نفسك" ، ثم أحضروا القاضي ابن أبي الشوارب والشهود وخلعوه ، ثم أحضروا من بغداد إلى دار الخلافة : محمد بن الواثق ، وكان المعتز قد أبعدته إلى بغداد فسلم المعتز إليه الخلافة وبإيعه ، ثم إن الملاء أخذوا المعتز بعد خمس ليال من خلعه فحبسوه ومنعوا منه الماء حتى مات عطشاً (٢)

١ - السابق ، ١ / ٣١١

٢ - تاريخ الخلفاء ، ١ / ٣١٢ .

السابع : المهدي بالله الخليفة الصالح : محمد أبو إسحاق وقيل : أبو عبد الله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد وبويع بالخلافة لليلة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين ومائتين ، وما قبل بيعته أحد حتى أتى بالمعتر فقام المهدي له وسلم عليه بالخلافة و جلس بين يديه فجيء بالشهود فشهدوا على المعتر أنه عاجز عن الخلافة فاعترف بذلك ومد يده فبايع المهدي فارتفع حينئذ المهدي إلى صدر المجلس ، وكان المهدي ورعاً متعبداً عادلاً قوياً في أمر الله بطلاً شجاعاً ؛ لكنه لم يجد ناصرًا ولا معيناً ، قال الخطيب : " لم يزل صائماً منذ ولي إلى أن قتل " (١) الثامن : المعتمد على الله أبو العباس وقيل : أبو جعفر أحمد بن المتوكل بن المعتصم ابن الرشيد ولد سنة تسع وعشرين ومائتين وأمه رومية اسمها فتيان ولما قتل المهدي وكان المعتمد محبوساً بالجوسق أخرجوه وبايعوه ، ثم إنه استعمل أخاه الموفق طلحة على المشرق وصير ابنه جعفر ولي عهده وولاه مصر والمغرب ولقبه المفوض إلى الله ، وانهمك المعتمد في اللهو واللذات واشتغل عن الرعية فكرهه الناس وأحبوا أخاه طلحة ، و في أيامه دخلت الزنج البصرة وأخربوها ، وبذلوا السيف وأحرقوا وخربوا وسبوا وجرى بينهم وبين عسكره عدة وقعات ، وأمير عسكره في أكثرها الموفق أخوه وأعقب ذلك الوباء الذي لا يكاد يتخلف عن الملاحم بالعراق فمات خلق لا يحصون ، ثم أعقبه هدات وزلازل فمات تحت الردم ألوف من الناس واستمر القتال مع الزنج من حين تولى المعتمد سنة ست وخمسين إلى سنة سبعين فقتل فيه رأس الزنج (٢)

التاسع : المعتضد بالله : أحمد أبو العباس ابن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ولد في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، وبويع له في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين بعد عمه المعتمد وكان ملكاً شجاعاً مهيباً من أفراد خلفاء بني العباس ، و كان قليل الرحمة : إذا غضب على قائد أمر بأن يلقى

١ - انظر المرجع السابق ، ٣١٣ / ١ ، وتاريخ بغداد ، ٣ / ٣٤٩

٢ - تاريخ الخلفاء ، ٣١٦ / ١

في حفيرة و يطم عليه ، واعتل المعتضد في ربيع الآخر سنة تسع وثمانين [ومائتين] علة صعبة ، ثم انتكس ومات يوم الاثنين لثمان بقين منه " (١)

العاشر : المكتفي بالله : أبو محمد علي بن المعتضد ولد في غرة ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين ، قال الصولي : سمعت المكتفي يقول في علته : والله ما آسي إلا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من مال المسلمين في أبنية ما احتجت إليها وكنت مستغنيا عنها أخاف أن أسأل عنها وإني أستغفر الله منها ، ومات المكتفي شابا في ليلة الأحد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين وخلف ثمانية أولاد ذكور و ثمان بنات .

الحادي عشر : المقندر بالله : أبو الفضل جعفر بن المعتضد ، ولد في رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، لما اشتدت علة أخيه المكتفي سأل عنه فصح عنه أنه احتلم فعهد إليه ولم يل الخلافة قبله أصغر منه فإنه وليها وله ثلاثة عشر سنة فاستصباه الوزير العباس بن الحسن فعمل على خلعه ، ووافق جماعة على أن يولوا عبد الله بن المعتز فأجاب ابن المعتز بشرط أن لا يكون فيها دم فبلغ المقندر ذلك فأصلح حال العباس ودفع إليه أموالاً أرضته فرجع عن ذلك ، وقال المعافى بن زكريا الجريري : "لما خلع المقندر و بويع ابن المعتز دخلوا على شيخنا محمد بن جرير الطبري فقال : ما الخبر ؟ قيل : بويع ابن المعتز قال : فمن رشح للوزارة ؟ قيل : محمد بن داود قال : فمن ذكر للقضاة ؟ قيل : أبو المثني فأطرق ثم قال : هذا الأمر لا يتم قيل له : و كيف ؟ قال : كل واحد ممن سميت متقدم في معناه عالي الرتبة ، والزمان مدبر والدنيا مولية وما أرى هذا إلا إلى اضمحلال وما أرى لمدته طولا " ، وبعث ابن المعتز إلى المقندر يأمره بالانصراف إلى دار محمد بن طاهر لكي ينتقل ابن المعتز إلى دار الخلافة فأجاب ولم يكن بقي معه إلا طائفة يسيرة فقالوا : يا قوم نسلم هذا الأمر ولا نجرب نفوسنا في دفع ما نزل بنا فلبسوا السلاح وقصدوا المخرم وبه ابن المعتز فلما رأهم من حوله ألقى الله في قلوبهم الرعب فانصرفوا منهزمين بلا قتال وهرب ابن المعتز ووزيره وقاضيه ،

ووقع النهب و القتل في بغداد ، و قبض المقتدر على الفقهاء و الأمراء الذين خلعوه
فقتلهم إلا أربعة منهم سلموا من القتل ، و حبس ابن المعتز ثم أخرج فيما بعد ميتاً
و استقام الأمر للمقتدر فاستوزر أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات فسار أحسن
سير و كشف المظالم و حض المقتدر على العدل ففوض إليه الأمور لصغره ،
و اشتغل باللعب و اللهو و أتلف الخزائن " (١)

^١ - تاريخ الخلفاء ، ١ / ٣٢٨ .

الباب الأول

حياة ابن جرير الطبري

الفصل الأول : اسمه ونسبه وكنيته ومولده ونشأته .

الفصل الثاني : رحلاته في طلب العلم .

الفصل الثالث : صفاته وأخلاقه .

الفصل الرابع : ثناء العلماء عليه .

الفصل الخامس : شيوخه وتلاميذه .

الفصل السادس : مصنفاته .

الفصل السابع : وفاته .

الفصل الأول اسمه ونسبه وكنيته ومولده ونشأته

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري (١) ، ولد بآمل طبرستان (٢) وإليها ينسب وكانت ولادته في آخر سنة ٢٢٤هـ أو أول سنة ٢٢٥هـ ، والشك في تاريخ مولده جاء على لسان الطبري نفسه فقد سأله تلميذه القاضي ابن كامل (٣) كيف وقع لك الشك في ذلك فأجاب الطبري : " لأن أهل بلدنا يؤرخون بالأحداث دون السنين فأرخ مولدي بحدث كان في البلد فلما نشأت سألت عن ذلك الحدث فاختلف المخبرون لي ، فقال بعضهم كان ذلك في آخر سنة أربع وقال آخرون بل كان في أول سنة خمس وعشرين ومائتين " (٤) ، ونجد أن أكثر الذين أرخوه له يذكرون تاريخ مولده في سنة أربع وعشرين ومائتين للهجرة .

وكنيته أبو جعفر وهذه الكنية ليست لأحد أبنائه ، فهو لم يتزوج ؛ فقد تملك العلم عقله وقلبه وشغله ذلك عن الزواج فقد عاش عزباً ليس له زوج ولا أبناء ؛ فخفف بذلك عن أعبائه وتبعاته ، ولذلك قيل عنه " كان حصوراً لا يعرف النساء ،

١ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، ٥٤٨/٢ .

٢ - آمل أكبر مدينة بطبرستان (ولاية من ولايات إيران قديماً) وتنسب إليها السجادات الطبرية وقد خرج منها كثير من العلماء منهم أبو جعفر الطبري . أما طبرستان فكلمة فارسية مؤلفة من لفظين : طبر وهي بالفارسية تبر وتعني الفؤوس ، وإستان معناها الموضع أو الناحية ورجح ياقوت أن سبب التسمية أن أهل تلك الجبال كثيرو الحروب وأكثر أسلحتهم الأبطال ، معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (د.ت) دار الفكر بيروت ١٤٧،٣ و ٨٥/١

٣ - أحمد بن كامل بن شجرة بن منصور ٢٦٠هـ - ٣٥٠هـ ، تقلد قضاء الكوفة وكان عالماً بالأحكام وعلوم القرآن والنحو والتاريخ والشعر وله تصانيف ، المرجع : معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تأليف : ياقوت الحموي الرومي ، تحقيق : د إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٩٣م ، ٤٢٠/١

٤ - معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ٢٤٤٥/٦

شغله طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، ولم يزل طالباً للعلم ، مولعاً به إلى أن مات" (١)

وقد كانت الكنى سائدة في ذلك العصر وكانت تطلق على الأبناء تفاؤلاً بمستقبلهم ، قال القاضي أبو بكر بن كامل : " جئت إلى أبي جعفر الطبري قبل المغرب ومعني ابني أبو رفاعة وهو شديد العلة، ... وقال لي: هذا ابنك ؟ قلت نعم ، قال: ما اسمه ؟ قلت عبد الغني ، قال: أغناه الله وبأي شيء كنيته ؟ قلت بأبي رفاعة ، قال: - رفعه الله - أفلك غيره ؟ قلت: نعم ، أصغر منه ، قال: وما اسمه؟ قلت عبد الوهاب أبو يعلى: قال - أعلاه الله - : لقد اخترت الكنى والأسماء ، ثم قال لي: كم لهذا سنة ؟ قلت: تسع سنين، قال لِمَ لم تسمعه مني شيئاً؟ قلت كرهت صغره وقلة أدبه ، فقال لي: حفظت القرآن ولي سبع سنين ، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين ، وكتبت الحديث وأنا ابن تسع سنين " (٢) وهذه القصة تبين أن إطلاق الكنى كانت سائدة في ذلك العصر .

ونشأ الطبري في أمل وكان والده رجلاً ميسوراً الحال محباً للعلم فوجهه لطلب العلم منذ الصغر ، وسرعان ما ظهر نبوغه وتفوقه وصلاحه ، والقصة السابقة تدل على نبوغه وقوة ذاكرته فقد حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وصلى بالناس وهو ابن ثماني سنين وكتب الحديث وهو ابن تسع سنين (٣) ، وقال الطبري : " رأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله ﷺ وكان معي مخللة مملوءة حجارة وأنا أرمي بين يديه ، فقال له المعبر : إنه إن كبر نصح في دينه وذبح عن شريعته ، فحرص أبي على معونتي على طلب العلم وأنا حينئذ صبي صغير" (٤)

١ - لسان الميزان ، تأليف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، أخرجه سلمان عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر، ط١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، ٧ / ٢٥ ، وانظر : مقدمة تحقيق تفسير الطبري ، ط٢ ، ١٤٢٨ هـ ، دار السلام للطباعة والنشر ، ص ٧

٢ - معجم الأدباء ، ٦ / ٢٤٤٦

٣ - انظر : معجم الأدباء ، ٦ / ٢٤٤٦

٤ - المرجع السابق ، ٦ / ٢٤٤٦

الفصل الثاني رحلاته في طلب العلم

بدأ الطبري رحلاته في طلب العلم في بلده ، ثم انتقل بعد ذلك إلى البلاد المجاورة يتلقى العلم من العلماء ، ويبدل الجهد في التلقي والحفظ .

قال الطبري : " كنا نكتب عند محمد بن حميد الرازي (١) ، فيخرج إلينا في الليل مرات ، ويسألنا عما كتبناه ، ويقرأه علينا ، وكنا نمضي إلى أحمد بن حماد الدولابي (٢) وكان في قرية من قرى (الري) بينها وبين الري قطعة ، ثم نعدو كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد فنلحق مجلسه" (٣)

بعد ذلك ارتحل الطبري إلى بغداد وكان في نفسه أن يسمع من أبي عبد الله أحمد بن حنبل (٤) فلم يوفق ذلك لموته قبيل دخوله إليها ، فأقام الطبري ببغداد وكتب عن شيوخها ، ثم انحدر إلى البصرة فسمع إلى من كان بقي من شيوخها في وقته ، ثم صار إلى الكوفة فسمع كذلك من شيوخها ومن ضمنهم الشيخ أبو كريب محمد بن

العلاء الهمذاني (٥) .

١ - اختلف في حديثه فقيل : ثقة وقيل ليس بثقة ، وقال البخاري فيه نظر ، توفي ٢٤٦هـ ، انظر : الكامل في ضعفاء الرجال ، لعبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني ، ٢٧٧هـ - ٣٦٥هـ ، تحقيق يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر ، ١٤٠٩هـ ، بيروت ، ٢٧٤/٦

٢ - والد الإمام الحافظ أبي بشر الدولابي الذي له كتاب "الأسماء والكنى" سكن مصر ، المرجع: كتاب الجرح والتعديل ، تأليف الإمام الحافظ شيخ الإسلام الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٤٩/٢

٣ - معجم الأدباء ، ٦ / ٢٤٤٦

٤ - توفي الإمام أحمد بن حنبل نهار الجمعة ١٢ ربيع الأول ، سنة ٢٤١هـ ببغداد ، وفيات الأعيان ، ١ / ٦٤

٥ - نشأ في الكوفة وله ثلاثمائة ألف حديث وهو أكبر من أحمد بن حنبل بثلاث سنين توفي ٢٤٨هـ ، المرجع : سير أعلام النبلاء ، تأليف : الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن

قال الطبري : " وكان أبو كريب شرس الخلق من كبار علماء الحديث ، حضرت باب داره مع أصحاب الحديث فاطلع من باب خوخة له وأصحاب الحديث يلتمسون الدخول ويضجون ، فقال: أيكم يحفظ ما كتب عني؟ فالتفت بعضهم إلى بعض ثم نظروا إلي وقالوا: أنت تحفظ ما كتبت عنه؟ قلت نعم ، فقالوا: هذا فسله ، فقلت: حديثنا في كذا بكذا، وفي يوم كذا بكذا ، قال: واخذ أبو كريب في مسألته إلى أن عظم في نفسه فقال له : أدخل إلي فدخل إليه وعرف قدره على حدائته ومكنه من حديثه " (١).

وكان الناس يسمعون به فيقال: إنه سمع من أبي كريب أكثر من مائة ألف حديث ، ثم عاد إلى بغداد فكتب بها وظل بها مدة وتفقه بها (٢) ، ثم اتجه بعد ذلك إلى مصر وكتب في طريقه إليها عن المشايخ بالشام والسواحل والثغور ، ثم صار إلى الفسطاط في سنة ثلاث وخمسين ومائتين، وكان بها بقية من الشيوخ وأهل العلم فتلقى عنهم علوم مالك والشافعي وابن وهب وغيرهم ، ثم عاد إلى الشام ثم رجع إلى مصر ، وواصل الطبري رحلاته إلى حواضر العلم متحملاً مشاق الأسفار وطول المسافات والنفقات ، وقد اضطر في بعض الأوقات إلى بيع ثيابه عندما تأخرت عنه نفقه والده ، ورجع من مصر إلى بغداد ثم تركها إلى طبرستان وعاد مرة أخرى إلى بغداد التي استوطن فيها حتى وفاته (٣)

عثمان الذهبي ، قدمه : الدكتور بشار عواد معروف ، ط١١ ، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ٣٩٦/١١ .

١ - معجم الأدباء ٢٤٤٦/٦ وكان الطبري عندئذ في نحو الثامنة أو التاسعة عشرة من عمره .

٢- السابق ٢٤٤٦/٦

٣- تاريخ بغداد ، ١٦٣/٢

وقد تحصل الطبري بهذا الطواف على علم لم يحصل لأحد في عصره ، فصار به عالم عصره وفقه زمانه ، فأخذ فقه الشافعي عن الربيع بن سليمان بمصر (١) وعن

الحسن بن محمد الزعفراني ببغداد (٢) ، وأخذ فقه مالك عن يونس بن عبد الأعلى (٣) وبني عبد الحكم محمد (٤) وعبد الرحمن وسعد وابن أخي وهب (٥)

١ - الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي، بالولاء، المصري، أبو محمد (٧٩٠ م - ٨٨٤ م) صاحب الإمام الشافعي وراوي كتبه، وأول من أملى الحديث بجامع ابن طولون ،

كان مؤذنا ، وفيه سلامة وغفلة ، الأعلام للزركلي ، ٣ / ١٤

٢ - الحسن بن محمد بن الصباح البزار الزعفراني البغدادي (٢٥٩هـ-٨٧٣م) فقيه ، من رجال الحديث، ثقة كان راويا للإمام الشافعي، يقال: لم يكن في وقته أفصح منه ولا أبصر ، الأعلام ٢ / ٢١٢

٣ - يونس بن عبد الأعلى بن موسى بن ميسرة، أبو موسى الصدفي (١٧٠ - ٢٦٤ هـ ، ٧٨٧ - ٨٧٧ م) : من كبار الفقهاء، انتهت إليه رئاسة العلم بمصر، كان عالما بالأخبار والحديث، وافر العقل، صحب الشافعي وأخذ عنه قال الشافعي: ما رأيت بمصر أحدا أعقل من يونس مولده ووفاته بها، أخذ عنه كثيرون ، الأعلام ٨ / ٢٦١

٤ - محمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري، أبو عبد الله: (١٨٢ - ٢٦٨ هـ ، ٧٩٨ - ٨٨٢ م) فقيه عصره ، انتهت إليه الرياسة في العلم بمصر، كان مالكي المذهب، ولازم الإمام الشافعي، ثم رجع إلى مذهب مالك ، وحمل في فتنة القول بخلق القرآن، إلى بغداد، فلم يجب لما طلبوه، فرد إلى مصر، وتوفي بها ، له كتب كثيرة، منها (الرد على الشافعي فيما خالف فيه الكتاب والسنة) قال طاش كبري زاده: وهو اسم قبيح ! ومنها (أحكام القرآن) و(رد على فقهاء العراق) و (أدب القضاة) و (سيرة عمر بن عبد العزيز - خ) ، الأعلام ٦ / ٢٢٣

٥ - هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء، المصري، أبو محمد (٧٤٣ م - ٨١٣ م) فقيه من الأئمة ، من أصحاب الإمام مالك، جمع بين الفقه والحديث والعبادة، له كتب منها " الجامع - ط " في الحديث مجلدان، و" الموطأ " في الحديث، كتابان كبير وصغير، وكان حافظا ثقة مجتهدا ، الأعلام ٤ / ١٤٤ ، أما عبد الرحمن وسعد فلم أجد لهما ترجمة .

وأخذ فقه العراق عن أبي مقاتل (١) بالري ، وأدرك الأسانيد العالية بمصر والشام والعراق والكوفة والبصرة والري ، فصار متفنناً في جميع العلوم ، علم القرآن ، والحديث ، والفقه ، والنحو ، والشعر ، واللغة ، والتاريخ (٢)

الفصل الثالث

صفاته وأخلاقه

كان الطبري يستحق كل ما وصف به من أوصاف الكمال الذي يليق به وبأمثاله من العلماء كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضوان الله عليهم أجمعين ، فقد كان زاهداً فيما عند الناس راغباً فيما عند الله ، وقد عُرِضت عليه المناصب فزهد فيها وعُرِضت عليه الأموال فتعفف عنها مع ما كان يجده من صعوبة العيش وقلة المؤونة ، وهو الذي يقول :

إذا أعسرتُ لم يعلم رَفِيقِي *** وأستغني فيستغني
صديقِي

حيائي حافظٌ لي ماءً وجْهِي *** ورفقِي في في
مُرافقِي رَفِيقِي

ولو أنني سمحتُ ببذلِ وجْهِي *** لكنتُ إلى الغنى سهلَ الطريقِ (٣)

ولما تقلد أبو الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان (١) الوزارة وجه له بمال كثير فأبى أن يقبله فعرض عليه القضاء فامتنع ؛ فعاتبه أصحابه وقالوا له : لك في هذا

١ - محمد بن مقاتل الرازي ، كان إمام أصحاب الرأي بالري ومات بها وكان مقدما في الفقه روى عن كثيرين ، مات سنة ثمان وأربعين ومائتين ، لسان الميزان ، ٥ / ٣٨٨ .

٢ - انظر تفسير الطبري تحقيق الدكتور : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط ١ ، القاهرة ٢٠٠١م ، ١ / ٢ .

٣ - تاريخ بغداد ، ٢ / ١٦٥ .

ثواب وتُحيي سنة قد درست ، وطمعوا في أن يقبل ولاية المظالم ، فانتهرهم ، وقال : قد كنت أظن أنني لو رغبت في ذلك لتهتموني عنه (٢) ، وقد طلب منه الوزير بن خاقان أن يعمل له كتاباً في الفقه ، فألف له كتاب الخفيف فوجّه إليه بألف دينار فردها (٣) ، وفي صفات وأخلاق الطبري قدوة للذين يسعون إلى المناصب ويرون ما فيها من رفعة وثروة وجاه ؛ ولكن أهل الصلاح والتقوى أمثال الطبري يفرون منها خوفاً من الله وخشية من حسابه وعذابه ، وخشية من أن تغتر أنفسهم بزينة المناصب وما يحيط بها من مقتضيات وما يرد إليها عن طريقها من أموال لا تعرف أحلال هي أم حرام، وله في ذلك سلف سابق من العلماء والأخيار كأبي حنيفة ومالك والشافعي وغيرهم (٤)

وكان الطبري يعيش على حصة يسيرة خلفها له والده بطبرستان كانت ترسل له في أسفاره ، قال الفرغاني (٥) : " رحل ابن جرير من مدينة أمل لما ترعرع وسمح له أبوه بالسفر ، وكان طول حياته ينفذ إليه بالشيء بعد الشيء إلى البلدان ،

١ - ابن خاقان (٢٠٩ - ٢٦٣ هـ - ٨٢٤ - ٨٧٦ م) عبيد الله بن يحيى بن خاقان : وزير من المقدمين في العصر العباسي، استوزره المتوكل والمعتمد، وكان عاقلاً حازماً، استمر في الوزارة إلى أن توفي ، الأعلام ٤ / ١٩٨ .

٢ - سير أعلام النبلاء ، ١٤ / ٢٧٥ .

٣ - سير أعلام النبلاء ، ١٤ / ٢٧٠ .

٤ - انظر : مقدمة المحققين في تفسير الطبري ، دار السلام للطباعة والنشر ، ط ٢ ، ٢٠٠٧ م ، ص ٤ .

٥ - عبد الله بن أحمد بن جعفر بن خديان أبو محمد الفرغاني الأمير القائد صاحب أبي جعفر الطبري روى عن أبي جعفر الطبري وعلي بن الحسن بن سليمان وألف كتاب التاريخ الذي ذيل به تاريخ الطبري ، وقدم دمشق فحدث بها وروى عنه من أهلها توفي ٢٩٩ هـ ، المرجع : تاريخ مدينة دمشق ، تأليف : الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله المعروف بابن عساكر ، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غلامه العمري ، دار لفكر للطباعة والنشر ، ط ١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م ، ٢٧ / ١١ .

فسمعتة يقول : أبطأت عنى نفقة والدي واضطرتت إلى أن فتقت كمي القميص فبعتهما" (١)

وكان عفيف النفس زاهداً فيما عند الناس ، وجاءت قصة بيع كمي قميصه في إحدى زيارته إلى بغداد ، فقد كانت معه بضاعة يأكل منها ، فسرفت فذهب به الحال إلى بيع ثيابه وكمي قميصه ، فاقترح عليه بعض أصدقائه أن يعلم أولاد أحد الوزراء ، فوافق بشروط ومضى صديقه فأحكم له أمره بعد أن أعاره ما يلبسه ، فقربه الوزير ورفع مجلسه وأجرى عليه عشرة دنانير في الشهر ، فاشترط عليه الطبري أوقات طلبه للعلم والصلوات والراحة ، فلما أجيب إلى ذلك شرع في القيام بمهمة التعليم ، ولقد لقي عمله رضاً واستبشاراً ، فقدمت إليه الهدايا الكثيرة من دراهم ودنانير فرد الجميع وقال : قد شورتت على شيء فلا آخذ سواه ، ثم قالوا له خذها وتصدق بها فلم يقبل وقال : " أنتم أولى بأموالكم ، وأعرف بمن تتصدقون عليه " (٢)

وقد أورد ياقوت الحموي في كتابه جملة من الصفات والأخلاق صادرة من معاصريه فيقول أحدهم : " كان أبو جعفر الطبري " ظريفاً في ظاهره ، نظيفاً في باطنه ، حسن العشرة لمجالسيه ، متفقداً لأحوال أصحابه، مهذباً في جميع أحواله، جميل الأدب في مأكله وملبسه، وما يخصه في أحوال نفسه، منبسطاً مع إخوانه، حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة، وربما جيء بين يديه بشيء من الفكاهة فيجري في ذلك المعنى ما لا يخرج من العلم والفقہ والمسائل حتى يكون كأجد جد وأحسن علم، وكان إذا أهدى إليه مُهد هدية مما يمكنه المكافأة عليه قبلها وكافأه ، وإن كانت مما لا يمكنه المكافأة عليه ردها واعتذر إلى مهديها " (٣)

١ - طبقات الشافعية الكبرى لمؤلفه : الإمام العلامة / تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ، د. عبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣هـ ، ط ٢ ، ١٢٥/٣

٢ - انظر : سير أعلام النبلاء ٢٧٢/١٤

٣ - معجم الأدباء ، ٥ / ٢٤٦٥

ويقول آخر : كان الطبري شديد التوقي والحذر والنزاهة والورع، يدل على ذلك ما أودعه في كتابه آداب النفوس المنبه على دينه وفضله، ومع ما كان فيه من الاشتغال بالتصانيف والحديث والإملاء لا بد له مع ذلك من حزبه من القرآن ، ويقال: إنه كان يقرأ كل ليلة ربعاً أو حظاً وافرأً (١)

١ - المرجع السابق ، ٥ / ٢٤٦٥

الفصل الرابع ثناء العلماء عليه

نظر العلماء إلى الطبري نظرة إجلال وإكبار ، وشهدوا له بالفضل والريادة وسعة العلم مع التواضع وقوة الحفظ والذكاء وتحليه بالعفة والزهد والورع ، ويكفه ثناءً قول المؤرخ الخطيب البغدادي (١) : " كان الطبري أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه لمعرفة وفضله وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره وكان حافظاً لكتاب الله ، عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني ، فقيهاً في أحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها ، صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها ، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخلفين في الأحكام ومسائل الحلال والحرام ، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم ..."(٢)

وقال أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة (٣) بعد أن قرأ تفسير الطبري :

١ - الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي بن ثابت البغدادي، المعروف بالخطيب، صاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات؛ كان من الحفاظ المتقنين والعلماء المتبحرين، ولو لم يكن له سوى التاريخ لكفاه، فانه يدل على اطلاع عظيم، وصنف قريباً من مائة مصنف، وفضله أشهر من أن يوصف وأخذ الفقه عن أبي الحسن المحاملي والقاضي أبي الطيب الطبري وغيرهما، وكان فقيهاً فغلب عليه الحديث والتاريخ، ولد في جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ، يوم الخميس لست بقين من الشهر، وتوفي يوم الاثنين سابع ذي الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائة ببغداد ، المرجع: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تأليف : أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر - بيروت ، ط ١٩٠٠م ٩٣ / ١

٢ - تاريخ بغداد ٥٥١/٢

٣ - محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمى، النيسابوري، الشافعي (٢٢٣ - ٣١١ هـ) محدث، مشارك في بعض العلوم ، ولد بنيسابور، وطاف البلاد في طلب العلم وسماع الحديث، وتوفي بنيسابور في ٢ ذي القعدة ، له مصنفات تزيد على مائة وأربعين كتاباً ، معجم المؤلفين ، تراجم مصنفى الكتب العربية ، تأليف : عمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ٣٩/ ٩

" ما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير ولقد ظلمته
الحنابلة " (١)

وقال الشيخ أبي حامد الإسفرايني (٢): " لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل له
كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا " (٣)

وقال أبو علي الطوماري (٤): " كنت أحمل القنديل في شهر رمضان بين يدي أبي
بكر بن مجاهد لصلاة التراويح فخرج ليلة من ليالي العشر الأواخر من داره
واجتاز على مسجده فلم يدخله وأنا معه وسار حتى انتهى فوقف على باب مسجد
محمد بن جرير وابن جرير يقرأ سورة الرحمن فاستمع قراءته طويلاً ثم انصرف
فقلت له يا أستاذ تركت الناس ينتظرونك وجئت تستمع قراءة هذا فقال يا أبا علي
دع هذا عنك ما ظننت أن الله خلق بشراً يحسن أن يقرأ هذه القراءة " (٥) .

وقال أبو محمد عبد العزيز بن محمد الطبري (٦): " كان أبو جعفر من الفضل
والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحد عرفه ، لجمعه من علوم الإسلام ما
لم نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأمة ، ولا ظهر من كتب المصنفين ، وانتشر من
كتب المؤلفين ما انتشر له ، وكان راجحاً في علوم القرآن والقراءات ، وعلم

١ - تاريخ بغداد ، ٥٥١/٢

٢ - أحمد بن محمد بن أحمد الإسفرايني، أبو حامد: من أعلام الشافعية. (٣٤٤ - ٤٠٦ هـ -
٩٥٥ - ١٠١٦ م) ، ولد في أسفرايين بالقرب من نيسابور، ورحل إلى بغداد، فتفقه فيها
وعظمت مكانته. وألف كتباً، منها مطول في (أصول الفقه) ومختصر في الفقه سماه "الرونق"
وتوفي ببغداد ، الأعلام ١/ ٢١١

٣ - طبقات الشافعية الكبرى ١٢٣/٣

٤ - أبو علي الطوماري ، كان أدبياً نحويًا عالماً فاضلاً توفي في سنة ثمان وسبعين ومائتين
، تاريخ بغداد ، ١٢ / ٣٧٠

٥ - طبقات الشافعية الكبرى ١٢٤/٣ ، وتاريخ بغداد ، ٢ / ٥٥١

٦ - لم أجد له ترجمة

التاريخ من الرسل والخلفاء والملوك ، واختلاف الفقهاء مع الراوية ، كذلك على ما في كتابه البسيط والتهذيب وأحكام القراءات من غير تعويل على المناولات والإجازات ولا على ما قيل في الأقوال، بل يذكر ذلك بالأسانيد المشهورة ، وقد بان فضله في علم اللغة والنحو على ما ذكره في كتاب التفسير وكتاب التهذيب مخبراً عن حاله فيه ، وقد كان له قدم في علم الجدل يدل على ذلك مناقضاته في كتبه على المعارضين لمعاني ما أتى به ، وكان فيه من الزهد والورع والخشوع والأمانة وتصفية الأعمال وصدق النية وحقائق الأفعال ما دل عليه كتابه في آداب النفوس، وكان يحفظ من الشعر للجاهلية والإسلام ما لا يجهله إلا جاهل به " (١).

وقال عبد العزيز بن محمد (٢) : " كان أبو جعفر قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثير من فنون أبواب الحساب وفي الطب، وأخذ منه قسطاً وافراً يدل عليه كلامه في الوصايا، وكان عازفاً عن الدنيا تاركاً لها ولأهلها يرفع نفسه عن التماسها، وكان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه، وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب وكان عالماً بالعبادات جامعاً للعلوم، وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها، ومن كتبه: كتابه المسمى جامع البيان عن تأويل القرآن" (٣)

وقال أحمد بن محمد الأندروزي (٤) : " محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري الإمام أبو جعفر رأس المفسرين على الإطلاق أحد الأئمة جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره " (١).

١ - معجم الأدباء ، ٥ / ٢٤٥١

٢ - عبد العزيز بن محمد بن إسحاق الطبري ، متكلم قرأ على أبي الحسن الأشعري، وسمع من محمد بن جرير الطبري تفسيره للقرآن، وسكن دمشق ونشر بها مذهب أهل السنة ، معجم المؤلفين ، ٥ / ٢٥٨

٣ - معجم الأدباء ، ٢ / ٢٤٥٢

٤ - صاحب كتاب طبقات المفسرين

وقال أبو علي الحسن بن علي الأهوازي (٢) المقرئ : " كان أبو جعفر الطبري عالماً بالفقه والحديث والتفاسير والنحو واللغة والعروض، له في جميع ذلك تصانيف فاق بها على سائر المصنفين " (٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري ؛ فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة ، وليس فيه بدعة ، ولا ينقل عن المتهمين ، كمقاتل بن بكير والكلبي " (٤).

وقال الحافظ جلال الدين السيوطي عن تفسير الطبري : " وكتابه أجل التفاسير وأعظمها ... فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال ، وترجيح بعضها على بعض ، والإعراب والاستتباط ، فهو يفوقها بذلك " (٥).

وقال عنه الذهبي : " كان من أفراد الدهر علماً وذكاء وكثرة تصانيف ، قل أن ترى العيون مثله ، كان ثقة ، صادقاً ، حافظاً ، رأساً في التفسير ، إماماً في الفقه

١ - طبقات المفسرين ، تأليف : أحمد بن محمد الأندروني ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٩٩٧ ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، والعبارة نفسها في طبقات المفسرين ، تأليف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة وهبة - القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٦هـ ، ص ٤٨ .

٢ - أبو علي الحسن بن علي الأهوازي توفي يوم الاثنين الرابع من ذي الحجة بعد الظهر سنة ست وأربعين وأربعمائة ، وكان له جنازة عظيمة ، حدث عن ابن المرجى وأبي حفص الكتاني وعبد الوهاب بن الحسن الكلابي وغيرهم ، وانتهت إليه الرئاسة في القراءة في وقته ، كان مكثراً من الحديث وصنف الكثير في القراءات وكان حسن التصنيف ، وفي أسانيد قراءاته غرائب كان يذكر في مصنفاته أنه أخذها رواية وتلاوة وأن شيوخه أخذوها كذلك رواية وتلاوة ، المرجع : ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني أبو محمد ، ٣٨٩ - ٤٦٦ ، تحقيق د. عبد الله أحمد سليمان الحمد ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ ، الرياض ، ص ١٩٥

٣ - معجم الأدباء ٢/٣٦٣

٤ - مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، ص ٥١ .

٥ - الإتيان في علوم القرآن ، ص ٢٢٨٣ .

، والإجماع والاختلاف ، علامة في التاريخ وأيام الناس ، عارفاً بالقراءات وباللغة ، وغير ذلك " (١).

ويقول ابن خلكان : " إنه كان من الأئمة المجتهدين ، لم يقلد أحداً ، ونقل : أن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي ذكره في طبقات الفقهاء في جملة المجتهدين ، قالوا : وله مذهب معروف ، وأصحاب ينتحلون مذهبه ، يقال لهم الجريرية ، ولكن هذا المذهب الذي أسسه - على ما يظهر - بعد بحث طويل ، ووجد له أتباعاً من الناس ، لم يستطع البقاء إلى يومنا هذا كغيره من مذاهب المسلمين ؛ ويظهر أن ابن جرير كان قبل أن يبلغ هذه الدرجة من الاجتهاد متمذّباً بمذهب الشافعي ، يدلنا على ذلك ما جاء في الطبقات الكبرى لابن السبكي ، من أن ابن جرير قال : أظهرت فقه الشافعي ، وأفتيت به ببغداد عشر سنين " (٢)

١- سير أعلام النبلاء ٢٦٨/١٤

٢ - وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تأليف : أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر - بيروت ، ط ١٩٠٠م ، ٤ / ١٩١

الفصل الخامس شيوخه وتلاميذه

المظنون أن للطبري كثيراً من المشايخ والتلاميذ فقد تنقل الطبري في أسفاره إلى بلاد كثيرة ، ودرس على مشايخ كثر، وفي المقابل تلقى عنه الكثيرون العلم ؛ ولهذا فحصر جميع شيوخه وتلاميذه أمر يصعب حصوله لتناثرهم في البلاد المختلفة هذا إن لم يكن أمراً مستحيلاً ، غير أن الباحث يكتفي بعرض عدد من شيوخه وتلاميذه الذين ذكرهم في تفسيره أو الذين عرضوا له أثناء البحث:

أولاً : شيوخه الذين تلقى عنهم العلم :

١- محمد بن حميد الرازي : ذكره الطبري في تفسيره في بداية تلقيه للعلم ، وذكره من ضمن رواية الحديث بقوله : " حدثنا أو حدثني محمد بن حميد الرازي " ، وقال فيه : " كنا نكتب عند محمد بن حميد الرازي فيخرج إلينا في الليل مرات ويسألنا عما كتبناه ويقرأه علينا " ويقال: إنه كتب عن ابن حميد فوق مائة ألف حديث" (١).

٢- أحمد بن حماد الدولابي ، ذكره الطبري أيضاً في تفسيره من ضمن رواية الحديث وقال فيه : " كنا نمضي إلى أحمد بن حماد الدولابي وكان في قرية من قرى الري ، قال ثم نعدوا كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد فنلحق مجلسه " ، ويقال كتب عنه كتاب المبتدأ والمغازي عن سلمة بن المفضل عن محمد بن إسحاق وعليه بني تاريخه (٢).

٣- أبو كريب محمد بن علاء الهمزاني ، يقول الطبري : " حضرت باب داره مع أصحاب الحديث " وهو من شيوخ الطبري في الكوفة " ، ومذكور في تفسيره

١ - الطبري ، ١ / ٢٢ ، ١ / ٥٣ ، ١ / ٧٨

٢ - الطبري ، ٤ / ١٢٥ ، ٩ / ٥٨ ، ٩ / ٣٤٧

من ضمن رواية الحديث ، و أخذ عنه الكثير ، فقد ورد اسمه في التفسير أكثر من ألف مرة .(١)

٤- هناد بن السري من رواية الحديث وقد ذكره الطبري كثيراً في تفسيره بقوله : " حدثنا هناد بن السريّ " وهو من شيوخ الطبري في الكوفة ، وقد ذكره الطبري في التفسير أكثر من سبعين مرة . (٢) .

٥- إسماعيل بن موسى السديّ من رواية الحديث وقد ذكره الطبري في تفسيره بقوله : " حدثنا إسماعيل بن موسى السدي " ، وهو من شيوخ الطبري في الكوفة ، ذكر اسمه في التفسير حوالي عشرين مرة (٣)

٦- المثنى بن إبراهيم الأملي ، مذكور في تفسيره بقوله : " حدثني " ، ذكر اسمه في التفسير أكثر من سبعين مرة (٤)

٧- محمد بن موسى الحرشي: مذكور في تفسيره بقوله : " حدثنا " من شيوخه في البصرة ، لم ينقل منه كثير (٥)

٨- محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، من شيوخه في البصرة ، ذكر اسمه في التفسير أكثر من خمسمائة مرة (٦)

١٠- بشر بن معاذ العقدي ، من شيوخه في البصرة ، ذكر في التفسير أكثر من خمسمائة مرة (٧)

١١- إبراهيم بن المقدم أبو الأشعث، من شيوخه في البصرة ، ذكره في التفسير (٨)

١ - الطبري ، ١ / ٢٢ ، ١ / ٢٣ ، ١ / ٢٤

٢ - الطبري ، ٣ / ٦٩ ، ٣ / ٣٠٨ ، ٣ / ٣٢٢

٣ - الطبري ، ١ / ١٢ ، ١ ، ٣٠ ، ٣ / ١٦٧

٤ - الطبري ، ١ / ٤٣٧ ، ١ / ٢٠٥ ، ١ / ٢٠٦

٥ - الطبري ، ٤ / ٤٢٩ ، ٤ / ٤٤٤ ، ٤٣٣ ، ٢٤ ، ٢٤ / ٦٦٢

٦ - الطبري ، ١ / ٤٨ ، ١ / ٩٦ ، ١ / ٢٣٥

٧ - الطبري ، ١ / ٩٦ ، ١ / ١٤٥ ، ١ / ٢٣٦

٨ - الطبري ، ١٨ / ٤٦٦

١٢- محمد بن بشار بن دار الحافظ البصري، من شيوخه في البصرة ، ذكره الطبري في التفسير أكثر من أربعمئة مرة (١)

١٣- أبو الحسن علي بن سراج المصري ، من شيوخ الطبري في مصر(٢)

١٥- سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي ، أحد شيوخ الطبري في القراءات (٣) ، قال الطبري : "قرأت القرآن على الطلحي ، وكان الطلحي قد قرأ على خلاد وخلاد قرأ علي سليم بن عيسى وسليم قرأ على حمزة ، ثم أخذها أبو جعفر عن يونس بن عبد الأعلى عن علي بن كيسة عن سليم عن حمزة" (٤)

ثانياً : تلاميذه الذين تلقوا عنه العلم :

١- الشيخ الإمام العلامة الحافظ القاضي ، أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة، البغدادي ت ٣٥٠هـ ، تلميذ محمد بن جرير الطبري ، ولد سنة ستين ومائتين ، قال الخطيب: كان من العلماء بالأحكام ، وعلوم القرآن والنحو والشعر والتاريخ (٥)

٢- محمد بن محمد بن يعقوب بن إسماعيل بن الحجاج بن الجراح أبو الحسين النيسابوري المعروف بالحجاجي كان أحد قراء القرآن ، وسمع ببغداد من محمد بن جرير الطبري (٦)

٣- احمد بن أبي طالب الكاتب واسمه علي بن محمد بن احمد بن الجهم بن أنبوس ويكنى احمد أبي جعفر سمع محمد بن جرير الطبري (٧)

١ - الطبري، ٣٣/١ ، ٣٤/١ ، ٦٩/ ١

٢ - معجم الأدباء ، ٥ / ٤٢٤١

٣ - الطبري ، ١٨ / ١٩١

٤ - انظر : ترجمة الطبري في معجم الأدباء ، ٥ / ٤٢٤١

٥ - سير أعلام النبلاء ، ١٥ / ٥٤٥

٦ - تاريخ بغداد ، ٤ / ٣٦٣

٧ - تاريخ بغداد ، ٥ / ٥١٦

- ٤- محمد بن داود بن سليمان بن سيار بن بيان الفقيه أبو بكر نزل مصر وحدث بها عن أبي جعفر الطبري (١)
- ٥- محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن أيوب أبو بكر القطان سمع محمد بن جرير الطبري (٢)
- ٦- يحيى بن علي بن يحيى المنجم ، قال الذهبي : وكان من كبار تلامذة محمد بن جرير (٣)
- ٧- أبو الفرج الأصفهاني صاحب الأغاني ، قال ياقوت : " كان يختلف إليه أبو الفرج بن أبي العباس الأصفهاني يقرأ عليه كتبه " ٤

١ - تاريخ بغداد ، ٣ / ١٧١

٢ - السابق ، ٣ / ٤١٨

٣ - سير أعلام النبلاء ، ١٣ / ٤٠٥

٤ - معجم الأدباء ، ٥ / ٢٤٦٥

الفصل السادس مصنفاته

لقد اشتهر الطبري بكثرة مؤلفاته فقد كان أكثر معاصريه إنتاجاً في مختلف العلوم الإسلامية وكثرة مصنفاته تدل على سعة علمه وغزارة معارفه ، فلم يكف يوجد علم من العلوم العربية إلى عصره إلا وقد كتب فيه ، وقد ذكر بعض الذين ترجموا له أنه مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم أربعين ورقة ، وقام بعض تلاميذه بقسمة ما كتبه على أيام حياته منذ بلغ الحلم إلى أن توفي عن نحو ست وثمانين سنة فوجدوا أن نصيب كل يوم منها يصل إلى أربع عشرة ورقة ، وهذا شيء لا يتهدأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق ، ثم قيل عنه : إنه جمع من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأمة (١)

وقال تلميذه القاضي ابن كامل : " لم أر بعد أبي جعفر أجمع للعلم وكتب العلماء ومعرفة اختلاف الفقهاء وتمكنه من العلوم منه " (٢)

وقال عبد العزيز بن محمد : " ... كان جامعاً للعلوم ، وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها (٣)

وعلى الرغم من كثرة مؤلفات الطبري فقد اختفت معظمها منذ عصر بعيد ، ولم يحظ منها بالبقاء إلى يومنا هذا وبالشهرة الواسعة سوى كتابين هما: التفسير، والتاريخ. (٤)

ومن مؤلفات الطبري التي ذكرت في كتب التراجم والأعلام :

١- تهذيب الآثار ، وهو كما يقول الذهبي : " من عجائب كتبه ابتداءً بما أسنده

الصديق ، مما صح عنده عنده ، وتكلم على كل حديث بعلمه وطرقه ، ثم فقهه

١ - انظر : معجم الأدباء ، ٢٤٤٣/٥

٢ - معجم الأدباء ، ٢٤٥٣ / ٥

٣ المرجع السابق ٢٤٥٢/٥

٤ - انظر : كتاب التفسير والمفسرون ، للدكتور : محمد حسين الذهبي ، ص ٢٣ .

واختلاف العلماء وحججهم ، وما فيه من المعاني والغريب والرد على
الملحدين

، فتم منه مسند العشرة ، وأهل البيت والموالي ، وبعض مسند ابن عباس
فمات

قبل تمامه ، قلت : هذا لو تم لكان يجيء في مائة مجلد " (١)

٢- كتاب التفسير ، وهو موضع البحث ، والذي قيل عنه : " لو ادعى عالم أن
يصنف منه عشرة كتب كل كتاب منها يحتوي على علم مفرد مستقصى
لفعل (٢) ، وقال القاضي بن كامل : أملي علينا من كتاب التفسير مائة وخمسين
آية، ثم خرج بعد ذلك إلى آخر القرآن فقرأه علينا وذلك في سنة سبعين
ومائتين، واشتهر الكتاب وارتفع ذكره وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب،
وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد يحييان، ولأهل الإعراب والمعاني معقلان،
وكان أيضاً في

الوقت غيرهما مثل أبي جعفر الرستمي، وأبي حسن بن كيسان، والمفضل بن
سلمة والجعد، وأبي إسحاق الزجاج وغيرهم من النحويين من فرسان هذا
اللسان،

وحمل هذا الكتاب مشرقاً ومغرباً وقرأه كل من كان في وقته من العلماء
وكل

فضله وقدمه " (٢)

٣- كتاب تاريخ الرسل والأنبياء والملوك والخلفاء ، وهو كتاب مشهور ، قال
عنه ياقوت الحموي : " وهذا الكتاب من الأفراد في الدنيا فضلاً ونباهة، وهو
يجمع كثيراً من علوم الدين والدنيا وهو نحو خمسة آلاف ورقة. " (٤)

١ - انظر سير أعلام النبلاء ، ١٤ / ٢٧٣

٢ - المرجع السابق ، ١٤ / ٢٧٣

٣ - معجم الأدباء ، ٥ / ٢٤٥٧

٤ - معجم الأدباء ، ٥ / ٢٤٥٧

٤-كتاب: " ذيل المزيل " المشتمل على تاريخ من قتل أو مات من أصحاب رسول الله ﷺ في حياته أو بعده على ترتيب الأقرب بالأقرب منه أو من قريش من القبائل، ثم ذكر موت من مات من التابعين والسلف بعدهم ثم الخالفين إلى أن بلغ شيوخه الذين سمع منهم وجمالاً من أخبارهم ومذاهبهم، وتكلم في الذب عن ذوي الفضل منهم ممن رمى بمذهب هو برئ منه كنحو الحسن البصري وقتادة وعكرمة وغيرهم ، وفي آخره أبواب حسان من باب من حدث عنه الإخوة أو الرجل وولده ومن شهر بكنيته دون اسمه، أو باسمه دون كنيته، وهو من محاسن الكتب وأفاضلها يرغب فيه طلاب الحديث وأهل التواريخ، وكان خرج إملاءه بعد سنة ثلاثمائة وهو في نحو من ألف ورقة (١)

٥-كتاب: " اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام ، وهو كتاب مشهور بالفضل شرقاً وغرباً ، قصد به إلى ذكر أقوال الفقهاء وهم مالك بن أنس فقيه أهل المدينة بروايتين، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي فقيه أهل الشام، ومن أهل الكوفة سفيان الثوري بروايتين، ثم محمد بن إدريس الشافعي وما حدث به الربيع بن سليمان عنه، ثم من أهل الكوفة أبو حنيفة النعمان بن ثابت، وأبو يوسف يعقوب بن محمد الأنصاري، وأبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني مولى لهم، ثم إبراهيم بن خالد أبو نصر الكلبي... ". وهو نحو ثلاثة آلاف ورقة (٢)

٦- كتاب : " لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام" من جياذ كتبه وهو مجموع مذهبه الذي يعول عليه جميع أصحابه، وهو من أنفس كتبه وكتب الفقهاء، وأفضل أمهات المذاهب وأسدها تصنيفاً ، وهو نحو ألفان وخمسمائة ورقة (٣)

٧-كتاب: " الخفيف في أحكام شرائع الإسلام "، وهو مختصر لطيف ومن جياذ كتبه: كتابه المعروف بكتاب الخفيف في أحكام شرائع الإسلام وهو مختصر

١ - معجم الأدباء ، ٥ / ٢٤٥٧

٢ - السابق ، ٥ / ٢٤٥٧

٣ - السابق ، ٥ / ٢٤٥٨

من كتاب اللطيف، وقد كان أبو أحمد العباس بن الحسن العزيزي أراد النظر في شيء من الأحكام فراسله في اختصار كتاب له، فعمل هذا الكتاب ليقرب متناوله وهو نحو من الأربعمائة ورقة (١)

٨- كتاب: " التبصير "، وهو رسالة إلى أهل طبرستان، يشرح فيها ما نقله من أصول الدين، وابتدأ بتصنيف كتاب: " تهذيب الآثار " وهو من عجائب كتبه، ابتداء بما أسنده الصديق مما صح عنده سنده، وتكلم على كل حديث منه بعلمه وطرقه، ثم فقهه، واختلاف العلماء وحججهم، وما فيه من المعاني والغريب، والرد على الملحدين، فتم منه مسند العشرة وأهل البيت والموالي، وبعض مسند ابن عباس، فمات قبل تمامه، قالت: هذا لو تم لكان يجيء في مئة مجلد.

٩- كتابه: " المسند " المخرج، يأتي فيه على جميع ما رواه الصحابي من صحيح وسقيم ولم يتمه، ولما بلغه أن أبا بكر بن أبي داود تكلم في حديث غدير خم، عمل كتاب: " الفضائل " فبدأ بفضل أبي بكر، ثم عمر، وتكلم على صحيح حدث غدير خم، واحتج لتصحيحه، ولم يتم الكتاب (٢)

١٠- كتاب الفصل بين القراءة ذكر فيه اختلاف القراء في حروف القرآن وهو من جيد الكتب، وفصل فيه أسماء القراء بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام وغيرها، وفيه من الفصل بين كل قراءة فيذكر وجهها وتأويلها والدلالة على ما ذهب إليه كل قارئ لها، واختياره الصواب منها والبرهان على صحة ما اختاره مستظهراً في ذلك بقوته على التفسير والإعراب الذي لم يشتمل على حفظ مثله أحد من القراء، وإن كان لهم - رحمهم الله - من الفضل والسبق ما لا يدفع ذو بصيرة بعد أن صدره بخطبة تليق به " (٣)

١١- كتاب الشروط المسمى أمثلة العدول وهو من جيد كتبه التي يعول عليها أهل مدينة السلام (٤)

١ - السابق ، ٥ / ٢٤٥٩

٢ - سير أعلام النبلاء ، ١٤ / ٢٧٤

٣ - معجم الأدباء ، ٥ / ٢٤٥٨

٤ - معجم الأدباء ، ٥ / ٢٤٥٨

١٢- كتاب بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام، وهذا الكتاب قدم له كتاباً سماه كتاب مراتب العلماء حسناً في معناه، ذكر فيه خطبة الكتاب وحض فيه على طلب العلم والتفقه وغمز فيه على من اقتصر من أصحابه على نقله دون التفقه بما فيه. ثم ذكر فيه العلماء ممن تفقه مذهبه من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أخذ عنهم، ثم من أخذ عنهم ثم من أخذ عن من أخذ عنهم من فقهاء الأمصار. بدأ بالمدينة لأنها مهاجر النبي ﷺ ومن خلفه أبو بكر وعمر وعثمان ومن بعدهم، ثم بمكة لأنها الحرم الشريف، ثم العراقيين الكوفة والبصرة ثم الشام وخراسان، ثم خرج إلى كتاب الصلاة بعد ذكر الطهارة، وذكر في هذا الكتاب اختلاف المختلفين واتفقهم فيما تكلموا فيه على الاستقصاء والتبيين في ذلك والدلالة لكل قائل منهم، والصواب من القول في ذلك، وخرج منه نحو ألفي ورقة (١)

١٣- كتاب "آداب النفوس" كتابه المسمى بكتاب أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة، وربما سماه بأدب النفس الشريفة والأخلاق الحميدة، وربما زاد في ترجمته المشتمل على علوم الدين والفضل والورع والإخلاص والشكر والكلام في الرياء والكبر والتخاضع والخشوع والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبدأ فيه بالكلام في الوسوسة وأعمال القلوب، ثم ذكر شيئاً كثيراً من الدعاء وفضل القرآن وأوقات الإجابة ودلائلها، وما روى من السنن وأقوال الصحابة والتابعين في ذلك، وقطع الإملاء في بعض الكلام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان ما خرج منه نحو خمسمائة ورقة (٢) . وله المزيد من الكتب (٣)

١ - معجم الأدباء ، ٥ / ٢٤٥٨

٢ - معجم الأدباء ، ٥ / ٢٤٦٠

٣ - انظر المرجع السابق / ٥ - ٢٤٥٢ - ٢٤٦٢

الفصل السابع وفاته

بعد حياة مليئة بالمتابعة والتضحية ، وبعد جهود كبيرة قضاها الإمام الطبري في تحصيل العلم ونشره ، وبعد وضع كتاباً في التفسير يعد أساساً لكتب التفسير ، وبعد جهود مختلفة في علوم الحديث واللغة والتاريخ والفقه وغيرها ، حتى قد جمعت مؤلفاته وقسمت على تاريخ حياته منذ بلوغه الحلم وحتى وفاته ، فكانت النتيجة أربعة عشرة ورقة في كل يوم لمدة ست وثمانون سنة ، وهي الفترة التي عاشها الإمام الطبري ، وقد صدق المؤرخ بقوله وهذا أمر لا يتهيأ لمخلوق إلا بعناية الخالق (١).

انتقل الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري إلى جوار ربه في وقت المغرب من عشية الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة ودفن في أضحى النهار من يوم الاثنين غد ذلك اليوم في داره برحبة يعقوب ، ولم يغير شبيهه وكان السواد في شعر رأسه ولحيته كثيراً ، وكان اسمر إلى الأدمة أعين نحيف الجسم مديد القامة فصيح اللسان ولم يؤذن به أحد ، واجتمع عليه من لا يحصيهم عدداً إلا الله وصلى على قبره عدة شهور ليلاً ونهاراً " (٢)

وقال ابن خلكان : " توفي يوم السبت آخر النهار ، ودفن يوم الأحد في داره ، في السادس والعشرين من شوال سنة عشر وثلاثمائة ببغداد ، رحمه الله تعالى ، ورأيت بمصر في القرافة الصغرى عند سفح المقطم قبراً يزار ، وعند رأسه حجر عليه مكتوب هذا قبر ابن جرير الطبري والناس يقولون : هذا صاحب التاريخ ، وليس بصحيح ، بل الصحيح أنه ببغداد ، وكذلك قال ابن يونس في تاريخ مصر المختص بالغرباء :

إنه توفي ببغداد " (٣)

١ - انظر : معجم الأدباء ، ٥ ، ٢٤٤٣ .

٢ - المرجع السابق ، ٥ / ٢٤٤١ .

٣ - وفيات الأعيان ، ٤ / ١٩٢ .

قال الخطيب البغدادي : " ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب ومن ذلك قول :
أبي سعيد بن الأعرابي في مرثية له طويلة ، منها :

حَدَّثَ مُفْطِعٌ وَخَطَبٌ جَالٍ يَلُوكُ دَقَّ عَنْ مِثْلِهِ
اصطبار الصَّبُورِ

قَامَ نَاعِيِ الْعُلُومِ اجْمَعُ لَمَّا *** قَامَ
نَاعِيِ مُحَمَّدٍ دَبَّ بِبَنٍ جَرِيرِ
فَهَوْتُ أَنجُمُ لَهَا
زَاهِرَاتٍ *** مُؤَذِّنَاتٍ
رُسُومُهَا بِالرُّسُومِ

يَا أَبَا جَعْفَرٍ مَضِيَّتْ حَمِيْدًا *** غَيْرَ وَإِنْ فِي
الْجِدِّ وَالتَّشْمِيرِ

بَيْنَ أَجْرٍ عَلَى اجْتِهَادِكَ مَوْفُورٌ *** وَسَعَى إِلَى التَّقْوَى
مَشْكُورِ

مَسْتَحَقًّا بِهِ الْخُلُودَ لَدَى جَنَّةِ *** عَدْنِ
فِي غَيْطِ وَسُرُورِ

ورثاه أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بقوله :

لَنْ تَسْتَطِيْعَ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعْقِيْبًا
*** فاستنجد الصبر أو فاستشعر الحُوبَا

وَأَفْزَعُ إِلَى كَنْفِ التَّسْلِيمِ وَارْضَ بِمَا *** قَضَى الْمُهَيْمَنُ مَكْرُوهًا
وَمَحْبُوبًا

وقال :

لَكِنْ فُقْدَانِ مَنْ أَضْحَى بِمَصْرَعِهِ *** نُورُ الْهُدَى وَبِهَاءِ الْعِلْمِ
مَسْلُوبًا

إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَمْ تَتَلَفْ بِرُجُوعِهِ *** بَلْ أَتَلَفَتْ عِلْمًا
لِلدِّينِ مِنْصُوبًا

وقال :

لا يَأْمَنُ العَجْزُ وَالتَّقْصُرُ مَادِحَهُ *** ولا يَخَافُ
عَلَى الإِطْنَابِ تَكْذِيبًا
وَدَتُ بَقَاعُ بِلَادِ اللَّهِ لِيُوجِعُوا جُعْلَانَهُ
*** قَبْرًا لَهُ فَحَبَّاهَا جِسْمَهُ طَيْبَةً بَابًا
كَانَتْ حَيَاتُكَ لِلدُّنْيَا
وَسَاكِنُهُ *** نُورًا فَأَصْبَحَ عَنْهَا النُّورُ مَحْجُوبًا
لو تَعَلَّمَ الأَرْضُ مَا وَارَتْ لَقَدْ خَشَعَتْ *** أَقْطَارُهَا لَكَ
إِجْلَالًا وَتَرْحِيمًا (١)

١ - تاريخ بغداد ، وله المزيد من الأبيات ، انظر: ٥٥٥ / ٢

الباب الثاني

شخصية الطبري النحوية

الفصل الأول : مصادر النحوية ومذهبه النحوي

الفصل الثاني : موقفه من المذهبين البصري والكوفي

الفصل الثالث: اعتداده بأصالة اللفظ القرآني ودلالته النحوية

الفصل الرابع : اعتراضاته على بعض آراء النحويين مع بيان رأيه .

الفصل الخامس : عرضه لآراء النحويين المختلفة

الفصل السادس : استخدامه أسلوب الحجة والإقناع

الفصل السابع : موقفه من القراءات القرآنية

الفصل الثامن : نماذج توضح دقته في التفسير وإعراب

الفصل الأول

مصادر الطبري النحوية ومذهبه النحوي

ذكر المؤرخون أن الطبري قد استمد مصادره النحوية من كتاب : "علي بن حمزة الكسائي ، ومن كتاب يحيى بن زياد الفراء ، ومن كتاب أبي الحسن الأخفش ، ومن كتاب أبي علي قطرب ، وغيرهم مما يقتضيه الكلام عند حاجته إليه إذ كان هم المتكلمون في المعاني وعنهم يؤخذ معانيه وإعرابه، وربما لم يسمهم إذا ذكر شيئاً من كلامهم..." (١) ، وعلى الرغم من استمداد الطبري مصادره من هؤلاء العلماء الكبار وغيرهم إلا أن الطبري لا يقف موقف الناقل فقط بل نجده يحلل ويرجح الأقوال المختلفة ، كما يفعل في التفسير ، يقول صاحب كتاب التفسير والمفسرون : " تتجلى طريقة ابن جرير في تفسيره بكل وضوح إذا نحن قرأنا فيه وقطعنا في القراءة شوطاً بعيداً، فأول ما نشاهده أنه إذا أراد أن يفسر الآية من القرآن يقول: "القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا" ثم يفسر الآية ويستشهد على ما قاله بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين من التفسير المأثور عنهم في هذه الآية، وإذا كان في الآية قولان أو أكثر، فإنه يعرض لكل ما قيل فيها، ويستشهد على كل قول بما يرويه في ذلك عن الصحابة أو التابعين ، ثم هو لا يقتصر على مجرد الرواية، بل نجده يتعرض لتوجيه الأقوال ، ويرجح بعضها على بعض، كما نجده يتعرض لناحية الإعراب إن دعت الحال إلى ذلك، كما أنه يستتبط الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من الآية، مع توجيه الأدلة وترجيح ما يختار" (٢)

وهذا المنهج الذي سلكه الطبري في التفسير ينطبق على منهجه في دراسته لأقوال النحويين المختلفة .

ويعد الطبري من أصحاب المذهب الكوفي ، ويدل على ذلك أمران:

١ - انظر : معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، ٢ / ٣٦٨ .

٢ - كتاب التفسير والمفسرون ، تأليف: د. محمد حسين الذهبي ، مكتبه وهبه ، ط ٧ ، ٢٠٠٠م ، ص ٢٤ .

الأول : استخدامه مصطلحات المذهب الكوفي ومثالاً لذلك يقول الطبري : وأما قوله: ﴿ولما يأتكم﴾ ، فإنّ عامة أهل العربية يتأولّونه بمعنى: ولم يأتكم، ويزعمون أن(ما) صلة وحشو ، وقد بينت القول في(ما) التي يسميها أهل العربية (صلة)، ما حكمها؟ في غير هذا الموضع بما أغنى عن إعادته... (١) ، والشاهد في كلام الطبري استخدامه لكلمة (الصلة) وهو مصطلح مستخدم عند الكوفيين ويقابله عند البصريين مصطلح (الزيادة) (٢)

ويقول الطبري : " وإنما نصبّ قوله " حَذَرَ الموت " على نحو ما تنصب به التكرمة في قولك: " زُرْتُكَ تَكْرِمَةً لَكَ " ، تريد بذلك : من أجل تكرمك، وكما قال جلّ ثناؤه ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ (٣) على التفسير للفعل (٤) ، والشاهد استخدامه مصطلح "التفسير" وهو مصطلح كوفي يقابله عند البصريين مصطلح " المفعول لأجله" (٥)

ومصطلح "التفسير" عند الكوفيين يقابله كذلك مصطلح "التمييز" عند البصريين ، قال الطبري : " إن الله جل ثناؤه افتتح ذكر قسمة الموارد في هاتين الآيتين بقوله: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ﴾ (٦) ، ثم ختم ذلك بقوله: ﴿وصية من الله﴾ ، أخبر أن جميع ذلك وصية منه به عباده ، فنصبُ قوله: " وصية " على المصدر من قوله: ﴿يُوصِيكُمُ

١ - الطبري ، ٤ / ٢٨٩

٢ - انظر : كتاب المصطلح النحوي ، نشأته وتطوره حتى أو خر القرن الثالث الهجري ،

تأليف عوض حمد القوزي ، جامعة الرياض ، ط ١ ، ١٤٠١هـ ، ص ١٩٤

٣ - سورة الأنبياء ، الآية ٩٠

٤ - الطبري ، ١ / ٣٥٤

٥ - كتاب المصطلح النحوي ، ص ١٨٠

٦ - سورة النساء ، من الآية ١١

﴿ ، أولى من نصبه على التفسير من قوله: "فلكل واحد منهما السدس" (١) ،
والشاهد استخدم الطبري مصطلح "التفسير" ويقابله "التمييز" عند البصريين (٢)
ومن المصطلحات التي يستخدمها الكوفيون "القطع" ويقابله عند البصريين "الحال"
قال الطبري في قوله تعالى : ﴿ ذَلِكِ الْكِتَابُ لَأَرْبَبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٣) قوله ﴿ هدى
﴿ يحتمل أوجهًا من المعاني : أحدها: أن يكون نصبًا، لمعنى القطع من الكتاب؛
لأنه نكرة والكتاب معرفة ، فيكون التأويل حينئذ: ألم ذلك الكتاب هاديًا للمتقين،
و(ذلك) مرفوع بـ(ألم)، و(ألم) به، والكتابُ نعت لـ(ذلك) ، وقد يحتمل أن يكون
نصبًا، على القطع من راجع ذكر الكتاب الذي في (فيه)، فيكون معنى ذلك حينئذ:
ألم الذي لا ريب فيه هاديًا " (٤) ، والشاهد استخدم الطبري مصطلح "القطع" الذي
يقابله عند البصريين "الحال" (٥)

ومن المصطلحات التي استخدمها الطبري "الترجمة" ، والتكرير ، والتبيين" ويقابلها
عند البصريين البدل ، نذكر منها: (التكرير) قال الطبري في تأويل قوله تعالى :
﴿ إِنِّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ (٦) " يقول تعالى ذكره: إن
الذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بطاعة الله، وانتهوا إلى أمره ونهيه، إنا لا
نضيع ثواب من أحسن عملا فأطاع الله، واتبع أمره ونهيه، بل نجازيه بطاعته
وعمله الحسن جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ؛ فإن قال قائل: وأين خبر
(إن) الأولى؟ قيل: جائز أن يكون خبرها قوله: ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾
فيكون معنى الكلام : إنا لا نضيع أجر من عمل صالحا، فترك الكلام الأول،

١ - الطبري ، ٨ / ٦٧

٢ - المصطلح النحوي ، ص ١٨٠

٣ - سورة البقرة ، الآية ٢

٤ - الطبري ، ١ / ٢٣٠

٥ - المصطلح النحوي ، ١٨٦

٦ - سورة الكهف ، الآية ٣٠

واعتمد على الثاني بنية التكرير، كما قيل : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ (١)

بمعنى: عن قتال فيه على التكرير، وكما قال الشاعر: (٢)

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرَبَلَهُ *** سِرْبَالَ مُلْكٍ بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِيمُ

والشاهد استخدم الطبري مصطلح "التكرير" ويقابله "البدل" عند البصريين (٣)

والأمر الثاني الذي يدل على أن الطبري كان كوفي المذهب: قول أبي العباس (٤) :
قال أبو بكر بن مجاهد (٥): " قال أبو العباس يوماً: من بقي عندكم؟ يعني في
الجانب الشرقي ببغداد من النحويين؟ فقلت: ما بقي أحد، مات الشيوخ ، فقال: حتى
خلا جانبكم؟ قلت: نعم إلا أن يكون الطبري الفقيه ، فقال لي: ابن جريـر؟ قلت:
نعم، قال: ذلك من حذاق الكوفيين ، قال أبو بكر: وهذا من أبي العباس كثير ؛ لأنه
كان شديد النفس شرس الأخلاق، وكان قليل الشهادة لأحد بالحدق في علمه" (٦) .

١ - سورة البقرة ، من الآية ٢١٧

٢ - البيت لجرير بن عطية في ديوانه برواية (يكفي الخليفة) ولا شاهد في هذه الرواية ،
ديوان جرير ، دار بيروت للطباعة والنشر ط ، ١٤٠٦هـ ، ص ٤٣١ .

٣ - كتاب المصطلح النحوي ، ص ١٧٩

٤ - تنسب هذه الكنية على عالمين كبيرين في النحو وهما : أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار
الشيباني بالولاء، أبو العباس، المعروف بثعلب (٢٠٠ هـ - ٢٩١هـ) : إمام الكوفيين في
النحو واللغة وكان راوية للشعر، محدثاً، مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة، ثقة حجة ، ولد
ومات في بغداد ، وأصيب في أواخر أيامه بصمم فصدته فرس فسقط في هوة فتوفي على
الأثر ، الأعلام ١ / ٢٦٧ ، وأطلقت على محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الازدي، أبو
العباس، المعروف بالميرد (٢١٠هـ - ٢٨٦هـ) : إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة
الأدب والأخبار، مولده بالبصرة ووفاته ببغداد ، الأعلام ٧ / ١٤٤ ، والراجح أنه هو الذي
سأل ؛ لبعده عن الكوفيين من (ثعلب) الذي هو إمام الكوفيين في زمانه

٥ - كبير العلماء بالقراءات في عصره من أهل بغداد (٢٤٥هـ - ٣٢٤هـ) ، الأعلام ، ١ /

وعلى الرغم من انتماء الطبري إلى المذهب الكوفي إلا أننا نجد في كثير من آرائه لا يلتزم بقواعد المذهب الكوفي ، فمرة يتفق مع الكوفيين ومرة أخرى يتفق مع البصريين ، وقد يختلف مع الاثنين ، وهذا دليل على أن الإمام الطبري ليس متعصباً لمذهب نحوي معين وإنما يختار من الآراء ما يراها موافقة مع ميوله مستعيناً في ذلك بهداية الآيات ، وما تؤيده الأحاديث الصحيحة والآثار والإجماع وكلام العرب.

الفصل الثاني

موقف الطبري من المذهبين البصري والكوفي

على الرغم من أن الطبري كان ينتمي إلى المذهب الكوفي إلا أنه كان لا يتقيد بمذهبه في جميع آرائه واختياراته ، فنجد مرة يتفق مع البصريين ومرة أخرى يخالفهم والحال كذلك مع الكوفيين ، إلا أن موافقة الطبري أو مخالفته للمذهب الواحد لا تعني موافقته أو مخالفته لجميع الآراء في المذهب نفسه ، فمن المعلوم أن المذهب الواحد يحتوي على آراء مختلفة ، فمثلاً قد يخالف رأياً للأخفش في المذهب البصري ويتفق مع سيبويه ، وقد يخالف رأياً للفراء في المذهب الكوفي ويتفق مع الكسائي ، ولهذا نجد يقول : " قال بعض نحوي الكوفة ، أو قال بعض نحوي البصرة " .

ومخالفة الطبري لبعض الآراء النحوية لا تعني اعتراضه التام لهذه الآراء ، وإنما تعني ترجيح بعض الآراء عليها ؛ وذلك وفقاً لما تقتضيه الحجج ، ونلاحظ أن الطبري في بعض الأحيان قد يميل إلى الآراء المختلفة دون أن يرجح أحدها على الآخر ، وهذا الأمر يدل بوضوح على شخصية الطبري النحوية ، فهو غير متعصب لمذهب بعينه ، أو رأي بعينه ، بل يعتمد على فكره السليم في حسن اختياره وآرائه ونعرض أمثلة لذلك :

١/ اتفاق الطبري مع بعض الكوفيين ، قال الطبري في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ

إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَلَدَخَلْتَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿١﴾ " اختلف أهل العربية في معنى (اللام) التي في قوله : "لأكفرن" ، فقال بعض نحويي البصرة: (اللام) الأولى على معنى القسم يعني (اللام) التي في قوله: ﴿لَنْ أَقْمَمَ الصَّلَاةَ﴾ ، قال: والثانية معنى قسمٍ آخر، وقال بعض نحويي الكوفة: بل (اللام) الأولى وقعت موقع اليمين، فاكتفى بها عن اليمين يعني بـ(اللام الأولى) : ﴿لَنْ أَقْمَمَ الصَّلَاةَ﴾ ، قال: و(اللام) الثانية يعني قوله: ﴿لَأَكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ جواب لها، يعني(اللام) التي في قوله : ﴿لَنْ أَقْمَمَ الصَّلَاةَ﴾ ، واعتلّ لقيه ذلك بأن قوله: ﴿لَنْ أَقْمَمَ الصَّلَاةَ﴾ غير تام ولا مستغنٍ عن قوله: "لأكفرن عنكم سيئاتكم" ، وإذ كان ذلك كذلك ، فغير جائز أن يكون قوله: "لأكفرن عنكم سيئاتكم" قسما مبتدأ، بل الواجب أن يكون جواباً لليمين إذ كانت غير مستغنية عنه" (٢)

٢/ اتفاق الطبري مع بعض البصريين، قال الطبري في قوله تعالى : ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣).

" واختلف أهل العربية فيمن عني بالهاء والميم اللتين في قوله: ﴿وملائهم﴾ ، فقال بعض نحويي البصرة: عني بها الذرية، وكأنه وجه الكلام إلى: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه، على خوف من فرعون﴾ وملا الذرية من بني إسرائيل.

وقال بعض نحويي أهل الكوفة: عني بهما فرعون، قال: وإنما جاز ذلك وفرعون واحد ؛ لأن الملك إذا ذكر بخوفٍ أو سفرٍ أو قدومٍ من سفرٍ ، ذهب الوهم إليه

١ - سورة المائدة من الآية ١٢

٢ - تفسير الطبري ، ١٠/١٢٤

٣ - سورة يونس الآية ٨٣

والى من معه، وقال: ألا ترى أنك تقول: "قدم الخليفة فكثر الناس"، تريد، بمن معه "وقدم فغلت الأسعار"، لأنك تنوي بقدومه قدوم من معه.

قال: وقد يكون أن تريد أن بـ(فرعون) آل فرعون، وتحذف (الآل)، فيجوز، كما قال: ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ﴾ (١)، يريد أهل القرية، والله أعلم، قال: ومثله قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ (٢)

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: (الهاء والميم) عائدتان على "الذرية"، ووجه معنى الكلام إلى أنه: على خوف من فرعون، وملاً الذرية؛ لأنه كان في ذرية القرن الذين أرسل إليهم موسى من كان أبوه قبطياً وأمه إسرائيلية، فمن كان كذلك منهم، كان مع فرعون على موسى " (٣) .

٣/ اختلاف الطبري مع بعض نحاة المذهبين: قال الطبري في قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ (٤) "وتأويل قوله: (حطة)، فعلة، من قول القائل: "حط الله عنك خطاياك فهو يحطها حطة"، بمنزلة الردة والحدة والمدة من حددت ومددت.

وختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك، ذكر من قال ذلك: حدثنا الحسن بن يحيى قال، أخبرنا عبد الرزاق قال، أخبرنا معمر: ﴿وقولوا حطة﴾، قال قال: الحسن وقتادة: أي احطط عنا خطايانا.

حدثنا يونس قال، أخبرنا ابن وهب قال، قال ابن زيد: ﴿وقولوا حطة﴾، يحط الله بها عنكم ذنوبكم وخطيئكم، وحدثت عن عمار بن الحسن قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع قوله: (حطة)، قال: يحط عنكم خطاياكم، وحدثنا القاسم بن الحسن قال، حدثنا الحسين قال، حدثني حجاج قال، قال ابن جريج، قال ابن عباس: ﴿وقولوا حطة﴾ قال: يحط عنكم خطاياكم .

١ - سورة يونس الآية ٨٢

٢ - سورة الطلاق الآية ١

٣ - الطبري، ١٥، ١٦٧

٤ - سورة الأعراف، من الآية ١٦١

وقال آخرون: معنى ذلك ، قولوا: "لا إله إلا الله"، كأنهم وجهوا تأويله: قولوا الذي يحط عنكم خطاياكم ، وهو قول لا إله إلا الله ، ذكر من قال ذلك: حدثني المثنى بن إبراهيم وسعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري قالوا أخبرنا حفص بن عمر ، قال حدثنا الحكم بن أبان ، عن عكرمة: ﴿وقولوا حطة﴾ ، قال: قولوا : "لا إله إلا الله" ،

وقال آخرون بمثل معنى قول عكرمة ، إلا أنهم جعلوا القول الذي أمروا بقبيله : الاستغفار ، ذكر من قال ذلك: حدثنا الحسن بن الزبير بن النخعي ، حدثنا أبو أسامة ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس: ﴿وقولوا حطة﴾ قال : أمروا أن يستغفروا.

وقال آخرون نظير قول عكرمة ، إلا أنهم قالوا: القول الذي أمروا أن يقولوه، هو أن يقولوا: هذا الأمر حق كما قيل لكم ، ذكر من قال ذلك: حدثت عن المنجاب قال، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس في قوله: ﴿وقولوا حطة﴾ ، قال: قولوا هذا الأمر حق كما قيل لكم .

واختلف أهل العربية في المعنى الذي من أجله رفعت "الحطة" فقال بعض نحويي البصرة: رفعت "الحطة" بمعنى: " قولوا " ليكون منك حطة لذوننا، كما تقول للرجل: سَمَعُكَ.

وقال آخرون منهم: هي كلمة أمرهم الله أن يقولوها مرفوعة ، وفرض عليهم قبيلها كذلك .

وقال بعض نحويي الكوفيين: رفعت "الحطة" بضمير (هذه) ، كأنه قال: وقولوا: (هذه) حطة.

وقال آخرون منهم: هي مرفوعة بضمير معناه الخبر ، كأنه قال: قولوا ما هو حطة، فتكون "حطة" حينئذ خبرا لـ(ما).

قال أبو جعفر الطبري: "والذي هو أقرب عندي في ذلك إلى الصواب، وأشبه بظاهر الكتاب: أن يكون رفع "حطة" بنية خبر محذوف قد دل عليه ظاهر التلاوة ،

وهو دخولنا الباب سجدا حطةً ، فكفى من تكريره بهذا اللفظ، ما دل عليه الظاهر من التنزيل ، وهو قوله: ﴿وادخلوا الباب سجدا﴾ ، كما قال جل ثناؤه :

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّايَ رَبِّكُمْ ﴾ (١) يعني: موعظتنا إياهم معذرة إلى ربكم ، فكذلك عندي تأويل قوله: ﴿وقولوا حطة﴾ ، يعني بذلك: وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية ، وادخلوا الباب سجدا، وقولوا: دخولنا ذلك سجدا حطة لذنوبنا، وهذا القول على نحو تأويل الربيع بن أنس وابن جريج وابن زيد، الذي ذكرناه آنفا .

قال أبو جعفر الطبري: وأما على تأويل قول عكرمة ، فإن الواجب أن تكون القراءة بالنصب في "حطة" ، لأن القوم إن كانوا أمروا أن يقولوا: "لا إله إلا الله" ، أو أن يقولوا: "تستغفر الله" ، فقد قيل لهم: قولوا هذا القول ، فـ(قولوا) واقع حينئذ على "الحطة" ؛ لأن "الحطة" - على قول عكرمة - هي قول "لا إله إلا الله" ، وإذا كانت هي قول "لا إله إلا الله" ، فالقول عليها واقع ، كما لو أمر رجل رجلا بقول الخير فقال له: "قل خيرا" نصبا ، ولم يكن صوابا أن يقول له: " قل خيرا" ، إلا على استكراه شديد.

وفي إجماع القراء على رفع "الحطة" بيان واضح على خلاف الذي قاله عكرمة من التأويل في قوله: ﴿وقولوا حطة﴾ ، وكذلك الواجب على التأويل الذي روينا عن الحسن وقتادة في قوله: ﴿وقولوا حطة﴾ ، أن تكون القراءة في "حطة" نصبا ؛ لأن من شأن العرب - إذا وضعوا المصادر الأفعال وحذفوا الأفعال - أن ينصبوا المصادر، كما قال الشاعر (٢):

أُبَيِّدُوا بِأَيْدِي عَصْبَةٍ وَسَيُوفِّهِمْ ***
عَلَى أُمَّهَاتِ الْهَامِ ضَرْبًا شَامِيَا

١ - سورة الأعراف ، الآية ١٦٤ .

٢ - البيت للفرزدق في ديوانه برواية : أناخوا بأيدي طاعة وسيوفه ، شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٦٤٨ .

وكقول القائل للرجل: "سمعا وطاعة" بمعنى: أسمع سمعا وأطيع طاعة ، وكما قال جل ثناؤه: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ (١) بمعنى: نعوذ بالله " (٢)

من الملاحظ في ما سبق أن الطبري في بداية تفسيره للآية استند أولاً على الرواية المأثورة ، ثم وازن ورجح بين الروايات المختلفة ثم استند إلى القراءات القرآنية ، ثم أبدى رأيه من خلال التدبر والاستنباط ، وأخيراً تعرض إلى علماء النحو واللغة وسماهم بأهل العربية ، ومن هنا نجد أن الطبري قبل تناوله وجوه الإعراب واللغة ، نجده قد كون فهماً سليماً ؛ مما مكنه من الموازنة والترجيح بين الآراء النحوية أو حتى الاستدراك على أصحاب المذهبين البصري والكوفي كما نجده يذكر رأيه بقوله: "والذي هو أقرب عندي في ذلك إلى الصواب" ومن هنا تتبين شخصية الطبري النحوية المدققة .

٤/ اختلاف الطبري مع رأي في المذهب واتفاقه مع رأي آخر في المذهب نفسه ، ومثلاً لذلك ، قال الطبري في قوله تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا

وَأَخْرَسِيًّا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣)

يعني جل ثناؤه بالعمل الصالح الذي خلطوه بالعمل السيئ: اعترافهم بذنوبهم، وتوبتهم منها، والآخر السيئ: هو تخلفهم عن رسول الله ﷺ ، حين خرج غازياً، وتركهم الجهاد مع المسلمين ، فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَأَخْرَسِيًّا﴾ ، وإنما الكلام: خلطوا عملاً صالحاً بأخر سيئ؟ قيل: قد اختلف أهل العربية في ذلك.

فكان بعض نحويي البصرة يقول: قيل ذلك كذلك وجائز في العربية أن يكون "بأخر" ، كما تقول "استوى الماء والخشبة" ، أي: بالخشبة ، "وخلطت الماء واللبن".

١ - سورة يوسف من الآية ٢٣

٢ - الطبري ، ٢ / ١٠٩

٣ - سورة التوبة ، الآية ١٠٢

وأنكر آخر أن يكون نظير قولهم "استوي الماء والخشبة"، واعتلَّ في ذلك بأن الفعل في "الخلط" عامل في الأول والثاني، وجائز تقديم كل واحد منهما على صاحبه، وأن تقديم "الخشبة" على "الماء" غير جائز في قولهم: "استوى الماء والخشبة"، وكان ذلك عندهم دليلاً على مخالفة ذلك "الخلط". (١)

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي: أنه بمعنى قولهم: "خلطت الماء واللبن"، بمعنى: خلطته باللبن .

ويلاحظ أن قوله: "والصواب من القول في ذلك عندي" هو عدم تخطئته للرأي الثاني، وإنما يعني هو الأقرب إلى الصواب؛ بسبب ما قدم له من حجج وأدلة. وهذا مثل قوله في الآية: ﴿وَرَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٢)

قال الطبري: "واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: "وَحِفْظًا" فقال بعض نحويي البصرة: "نصب بمعنى: وحفظناها حفظاً، كأنه قال: ونحفظها حفظاً؛ لأنه حين قال: "زَيْنَاهَا بِمَصَابِيحٍ" قد أخبر أنه قد نظر في أمرها وتعهداها، فهذا يدل على الحفظ، كأنه قال: وحفظناها حفظاً، وكان بعض نحويي الكوفة يقول: نصب ذلك على معنى: وحفظاً زيناها؛ لأن الواو لو سقطت لكان إنا زينا السماء الدنيا حفظاً؛ وهذا القول الثاني أقرب عندنا للصحة من الأول" (٣)

٥/ ومثال اتفاقه مع كلا الرأيين (وجه النصب)، قال الطبري في قوله تعالى: ﴿طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَشْقَى (٢) إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى (٣) تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ (٤)

"واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: ﴿تَنْزِيلًا﴾ فقال بعض نحويي البصرة: نصب ذلك بمعنى: نزل الله تنزيلاً، وقال بعض من أنكر ذلك من قبيله هذا من كلامين، ولكن المعنى: هو تنزيل، ثم أسقط هو، واتصل بالكلام الذي

١ - الطبري ٤٤٦/١٤ .

٢ - سورة فصلت ، الآية ١٢ .

٣ - الطبري ، ١٢ / ٤٤١

٤ - سورة طه الآيات ، ١ - ٤

قبله، فخرج منه، ولم يكن من لفظه ، قال الطبري : والقولان جميعا عندي غير خطأ " (١)

الفصل الثالث

اعتداد الطبري بأصالة اللفظ القرآني ودلالاته النحوية

من السمات الظاهرة في تفسير الطبري اعتداده بأصالة اللفظ القرآني فلا يجوز عنده أن يكون هنالك لفظ زائد في جميع القرآن الكريم سواء أكانت الزيادة حرفية أم اسمية وسواء أكان القائل بذلك بصرياً أم كوفياً ، فكل حرف عند الطبري جاء لمعنى فالقرآن في رأيه لا تتاله الضروريات التي تتال الكلام في كثير من الأحيان ؛ لغرض من الأغراض كالشعر والنثر وعلى هذا الأساس وضع الطبري منهجه في التفسير ، كما أن الطبري لا يرى ضرورة في تقدير شيء محذوف من الكلام إذا كان الكلام يفهم من خلال سياقه ، وكذلك نجده يلتزم بالدلالة الأصلية للمفردة إذا لم يدل النص على معنى خلافها.(٢)

ونذكر لذلك ثلاثة أمثلة :

المثال الأول: في الرد على من يزعم أن في القرآن حرف زائد، قال الطبري في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا شَيْئًا ﴾ (٣) : " فإن قال لنا قائل: ما وجه دخول: (من) في قوله: "ومن يعمل من

الصالحات"، ولم يقل: "ومن يعمل الصالحات" ؟ قيل : لدخولها وجهان :

١ - الطبري ، ١٨ / ٢٧٠

٢ - انظر : كتاب الإمام الطبري في ذكرى مرور أحد عشر قرناً على وفاته ، عنوان : النقد

النحوي عند الطبري ، د . كاصد ياسر حسين الزبيدي ، جامعة الموصل ، ص ١٨٨ .

٣ - النساء الآية ١٢٤

أحدهما: أن يكون الله قد علم أن عباده المؤمنين لن يُطبقوا أن يعملوا جميع الأعمال الصالحات، فأوجب وعده لمن عمل ما أطاق منها، ولم يحرمه من فضله بسبب ما عجزت عن عمله منها قوته .

والآخر منهما: أن يكون تعالى ذكره أوجب وعده لمن اجتنب الكبائر وأدى الفرائض، وإن قصر في بعض الواجب له عليه ، تفضلا منه على عباده المؤمنين، إذ كان الفضل به أولى، والصفح عن أهل الإيمان به أحرى.

وقد تقول قوم من أهل العربية ، أنها أدخلت في هذا الموضع بمعنى الحذف ، ويتأوله : ومن يعمل الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن .

وذلك عندي غير جائز ؛ لأن دخولها لمعنى ، فغير جائز أن يكون معناها الحذف " (١) .

ونحو ذلك في قوله تعالى : ﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم ﴾ (٢)

فإن قال قائل: وما وجه دخول (من) ، في قوله: ﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم ﴾ ، وقد أحل الله لنا صيد جوارحنا الحلال ، و(من) إنما تدخل في الكلام مبعضة لما دخلت فيه ؟ قيل: قد اختلف في معنى دخولها في هذا الموضع أهل العربية .

فقال بعض نحويي البصرة: دخلت (من) في هذا الموضع لغير معنى، كما تدخله العرب في قولهم: " كان من مطر " و" كان من حديث " ، قال : ومن ذلك قوله:

﴿ وَيُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ ، وكان غيره من أهل العربية ينكر ذلك ويقول: لم تدخل

(من) إلا لمعنى مفهوم، لا يجوز الكلام ولا يصلح إلا به ، وذلك أنها دالة على التبويض ، وكان يقول: معنى قولهم " قد كان من مطر " و" كان من حديث " ؛ هل

كان من مَطَرٍ مَطَرٍ عندكم ؟ وهل من حديثٍ حَدَّثَ عندكم ؟ ويقول: معنى: ﴿

﴿ وَيُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ (٣) ، أي: ويكفر عنكم من سيئاتكم ما يشاء ويريد

١ - تفسير الطبري ٩ / ٢٤٩

٢ - سورة المائدة من الآية ٤

٣ - سورة البقرة من الآية ٢٧١

قال الطبري: " والصواب من القول في ذلك: أن (من) لا تدخل في الكلام إلا لمعنى مفهوم، وقد يجوز حذفها في بعض الكلام وبالكلام إليها حاجة ؛ لدلالة ما يظهر من الكلام عليها ، فأما أن تكون في الكلام لغير معنى أفادته بدخولها ، فذلك قد بينا فيما مضى أنه غير جائز أن يكون فيما صحّ من الكلام ، ومعنى دخولها في قوله: ﴿ فكلوا مما أمسكن عليكم ﴾ ، للتبعيض، إذ كانت الجوارح تمسك على أصحابها ما أحل الله لهم لحومه، وحرّم عليهم فرثه ودمه ، فقال جل ثناؤه: ﴿ فكلوا ﴾ مما أمسكت عليكم جوارحك الطيبات التي أحلت لكم من لحومها، دون ما حرمت عليكم من خبائثه من الفرث والدم وما أشبه ذلك، مما لم أطيبه لكم ، فذلك معنى دخول (من) في ذلك (١)

والمثال الثاني: في عدم الضرورة إلى تقدير شيء محذوف إذا كانت دلالة الآية واضحة ومثالا لذلك يقول الطبري في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) القول في تأويل قوله تعالى ذكره ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴾ قال أبو جعفر: " اختلف أهل العربية في تأويل ذلك .

فقال بعض نحويي أهل البصرة: هو مما استغني بدلالة الظاهر المذكور عما ترك ذكره له ، وذلك أن معنى الكلام: ورفعنا فوقكم الطور، وقلنا لكم: خذوا ما آتيناكم بقوة ، وإلا قذفناه عليكم.

وقال بعض نحويي أهل الكوفة: أخذ الميثاق قول فلا حاجة بالكلام إلى إضمار قول فيه ، فيكون من كلامين، غير أنه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام - الذي هو بمعنى القول - أن يكون معه (أن) كما قال الله جل ثناؤه ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ ﴾ (٣) قال : ويجوز أن تحذف (أن).

١ - الطبري ، ٩ / ٥٦٩

٢ - سورة البقرة ، الآية ٦٣

٣ - سورة نوح الآية ١

والصواب في ذلك عندنا : أن كل كلام نطق به - مفهوم به معنى ما أريد - ففيه الكفاية من غيره ، ويعني بقوله : ﴿ خذوا ما آتيناكم ﴾ ، ما أمرناكم به في التوراة ، وأصل " الإيتاء " ، الإيعاء (١)

والمثال الثالث في الالتزام بالدلالة الأصلية للمفردة إذا لم يدل السياق على معنى خلافها ، مثال لذلك يقول الطبري في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَبِالْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوزٍ ﴾ (٢)

قال : " فاختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ ، من قدر ما مكثوا في النار قبل دخولهم الجنة ، قالوا : وذلك فيمن أخرج من النار من المؤمنين فأدخل الجنة .

ذكر من قال ذلك : حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الضحاك في قوله : ﴿ وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ﴾ ، قال : هو أيضاً في الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة ، يقول : خالدين في الجنة ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ، يقول : إلا ما مكثوا في النار حتى أدخلوا الجنة .

وقال آخرون : معنى ذلك : ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ ، من الزيادة على قدر مدة دوام السموات والأرض ، قالوا : وذلك هو الخلود فيها أبداً ، ذكر من قال ذلك : حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا يعقوب ، عن أبي مالك ، يعني ثعلبة ، عن أبي سنان : ﴿ وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ﴾ ، قال : ومشيتته خلودهم فيها ، ثم أتبعها فقال : ﴿ عطاء غير مجذوز ﴾ .

قال : " وافتلأ أهل العربية في وجه الاستثناء في هذا الموضع ، فقال بعضهم في ذلك معنيين : أحدهما : أن تجعله استثناءً يستثنيه ولا يفعله ، كقولك : " والله لأضربنك

١ - الطبري ١٦٠/٢

٢ - سورة هود الآية ١٠٨

إلا أن أرى غير ذلك" ، وعزمك على ضربه ، قال: فكذلك قال: ﴿ خالدین فیہا ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ﴾ ، ولا يشاؤه ، وهو أعلم ، قال : والقول الآخر: أن العرب إذا استثنت شيئاً كثيراً مع مثله ، ومع ما هو أكثر منه ، كان معنى (إلا) ومعنى (الواو) سواء ، فمن كان قوله: ﴿ خالدین فیہا ما دامت السموات والأرض ﴾ سوى ما شاء الله من زيادة الخلود، فيجعل (إلا) مكان (سوى) فيصلح، وكأنه قال: "خالدين فيها ما دامت السموات والأرض سوى ما زادهم من الخلود والأبد" ، ومثله في الكلام أن تقول: لي عليك ألف إلا ألفين اللذين " من قبل فلان ، أفلا ترى أنه في المعنى : لي عليك ألف سوى الألفين " ؟ قال: وهذا أحب الوجهين إليّ ؛ لأنّ الله لا خلفَ لوعده ، وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾ ، فدلّ على أن الاستثناء لهم بقوله في الخلود غير منقطع عنهم .

وقال آخر منهم بنحو هذا القول ، وقالوا : جائز فيه وجه ثالثٌ : وهو أن يكون استثنى من خلودهم في الجنة احتباسهم عنها ما بين الموت والبعث ، وهو البرزخ ، إلى أن يصيروا إلى الجنة ، ثم هو خلود الأبد ، يقول: فلم يغيبوا عن الجنة إلا بقدر إقامتهم في البرزخ .

وقال آخر منهم: جائز أن يكون دوام السموات والأرض ، بمعنى : الأبد ، على ما تعرف العرب وتستعمل ، وتستثنى المشيئة من دوامها ، لأنّ أهل الجنة وأهل النار قد كانوا في وقت من أوقات دوام السموات والأرض في الدنيا لا في الجنة ، فكأنه قال: خالدين في الجنة ، وخالدين في النار ، دوام السماء والأرض ، إلا ما شاء ربك من تعميرهم في الدنيا قبل ذلك .

قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، القول الذي ذكرته عن الضحاك ، وهو ﴿ وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدین فیہا ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ﴾ ، من قدر مكثهم في النار، من لدن دخلوها إلى أن ادخلوا الجنة ، وتكون الآية معناها الخصوص ؛ لأن الأشهر من كلام العرب في (إلا) توجيهها إلى معنى الاستثناء ، وإخراج معنى ما بعدها مما قبلها ، إلا أن يكون معها دلالة تدلُّ على

خلاف ذلك ، ولا دلالة في الكلام أعني في قوله: ﴿إلا ما شاء ربك﴾ تدلُّ على أن معناها غير معنى الاستثناء المفهوم في الكلام، فيُوجَّه إليه" (١)

ومثال آخر يقول الطبري في قوله تعالى: ﴿لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَّالٍ﴾ (٢)

قال أبو جعفر الطبري: "اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم: معناه: لله تعالى ذكره معقباتٌ قالوا: (الهاء) في قوله: (له) من ذكر اسم الله . والمعقبات التي تعقب على العبد ، وذلك أن ملائكة الليل إذا صعدت بالنهار أعقبته ملائكة النهار، فإذا انقضى النهار صعدت ملائكة النهار ثم أعقبته ملائكة الليل ، وقوله: ﴿من بين يديه ومن خلفه﴾ ، يعني بقوله: ﴿من بين يديه﴾ ، من قدام هذا المستخفي بالليل والسارب بالنهار ﴿ومن خلفه﴾ ، من وراء ظهره .

ذكر من قال ذلك: حدثنا محمد بن المثنى قال: حدثنا محمد بن جعفر قال: حدثنا شعبة، عن منصور، يعني ابن زاذان، عن الحسن في هذه الآية: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه﴾ قال: الملائكة ، وحدثنا عبد الله بن صالح قال: حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ ، فالمعقبات هن من أمر الله ، وهي الملائكة .

وقال آخرون: بل عني بـ(المعقبات) في هذا الموضع، الحرَس، الذي يتعاقب على الأمير، ذكر من قال ذلك: حدثنا أبو هشام الرفاعي قال: حدثنا ابن يمان قال: حدثنا سفيان عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿له

١ - الطبري ٤٨٩/١٥ .

٢ - سورة الرعد الآية ١١

معقبات من بين يديه ومن خلفه ﴿ قال: ذلك ملك من ملوك الدنيا له حرسٌ من دونه حرسٌ
(١)

وقال الطبري: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، قولٌ من قال: (الهاء)، في قوله:
"له معقبات" من ذكر (من) التي في قوله: ﴿ ومن هو مستخف بالليل ﴾ " وأن المعقبات
من بين يديه ومن خلفه " ، هي حرسه وجلوزته (٢)

، كما قال ذلك من ذكرنا قوله ، وإنما قلنا: " ذلك أولى التأويلين بالصواب " ؛
لأن قوله: ﴿ له معقبات ﴾ أقرب إلى قوله: ﴿ ومن هو مستخف بالليل ﴾ منه إلى عالم
الغيب، فهي لقبها منه أولى بأن تكون من ذكره ، وأن يكون المعنى بذلك هذا،
مع دلالة قول الله: ﴿ وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ﴾ على أنهم المعنيون بذلك ، وذلك
أنه جل ثناؤه ذكر قومًا أهل معصية له وأهل ريبة يستخفون بالليل ويظهرون
بالنهار، ويمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم ، ومنعة تمنعهم من أهل طاعته أن
يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصية الله ، ثم أخبر أن الله تعالى ذكره إذا أراد
بهم سوءاً لم ينفعهم حرسهم، ولا يدفع عنهم حفظهم " (٣)

" وأما قوله: ﴿ يحفظونه من أمر الله ﴾ فإن أهل العربية اختلفوا في معناه ، فقال بعض
نحويي الكوفة: معناه: له معقبات من أمر الله يحفظونه، وليس من أمره يحفظونه،
إنما هو تقديم وتأخير ، قال: ويكون يحفظونه ذلك الحفظ من أمر الله وبإذنه، كما
تقول للرجل: " أجبتك من دعائك إياي ، وبدعائك إياي " .

وقال بعض نحويي البصرة معنى ذلك : يحفظونه عن أمر الله ، كما قالوا: "
أطعمني من جوع ، وعن جوع " و" كساني عن عري ، ومن عُرِّي " .

١ - الطبري ، ١٦ / ٣٧٣

٢ - الجِلَواز بالكسر : الشَّرْطِيّ ، ج الجَلَاوِزَة ، و جَلَوَزَتُهُمْ : شِدَّةُ سَعْيِهِمْ بَيْنَ يَدَيِ الْأَمِيرِ ،
المرجع : تاج العروس من جواهر القاموس ، تأليف : محمد بن محمد بن عبد الرزاق
الحسيني ، الملقَّب بمرتضى الزبيدي ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية للنشر ،
١٥ / ٦٦ ، مادة (جلز).

٣ - الطبري ، ١٦ / ٣٧٤

وقد دللنا فيما مضى على أن أولى القول بتأويل ذلك أن يكون قوله: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ، من صفة حرس هذا المستخفي بالليل، وهي تحرسه ظناً منها أنها تدفع عنه أمر الله، فأخبر تعالى ذكره أن حرسه ذلك لا يغني عنه شيئاً إذا جاء أمره، فقال: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ (١) الشاهد في تفسير الطبري للآية هو ترجيحه في عودة الضمير في له إلى الأقرب

وهو قوله: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ (١٠) له مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴿ (٢) وفسر الأقرب بقوله: "والذي هو مستخف بالليل في ظلمته بمعصية الله "وسارب بالنهار"، يقول: وظاهر بالنهار في ضوئه، لا يخفى عليه شيء من ذلك سواء، عنده سرُّ خلقه وعلاانيتهم؛ لأنه لا يستسرّ عنده شيء ولا يخفى" (٣)

١ - الطبري ، ١٦ / ٣٨٦

٢ - سورة الرعد الآية ١٠

٣ - الطبري ، ١٦ / ٣٦٦

الفصل الرابع اعتراضات الطبري على آراء بعض النحويين

تظهر شخصية الطبري النحوية بجلاء من خلال اعتراضاته على آراء النحويين المختلفة ، وتشمل اعتراضاته نحاة المذهبيين ؛ والهدف منها توضيح ما أخطأ فيه النحويون ، من خلال توجيه كلمة أو آية ، وهو في اعتراضاته يرد أقوال العلماء ويظهر الفساد الذي ينبني عليه قول من يقول في القرآن ، وهو لا يحكم النظر في دلالاته ؛ فليس كل ما جاز في العربية والنحو يجوز أن يحمل عليه كتاب الله ، ومن ذلك قال ابن القيم : " إنه لا يجوز أن يحمل كلام الله عز و جل ويفسر بمجرد الاحتمال النحوي الإعرابي الذي يحتمله تركيب الكلام ويكون الكلام به له معنى ما ، فإن هذا مقام غلط فيه أكثر المعربين للقرآن فإنهم يفسرون الآية ويعربونها بما يحتمله تركيب تلك الجملة ويفهم من ذلك التركيب أي معنى اتفق ، وهذا غلط عظيم يقطع السامع بأن مراد القرآن غيره ، وإن احتمل ذلك التركيب هذا المعنى في سياق آخر وكلام آخر فإنه لا يلزم أن يحتمله القرآن " (١) ويمتاز رد الإمام الطبري على آراء النحويين بأخلاق أهل العلم والإيمان ، في التآني وإحكام النظر والتدبر ، ومثالاً لذلك :

قال الطبري : في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قَاتَلٍ فِيهِ قُلْ قَاتَلٍ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ (٢)

" وأما أهل العربية فإنهم اختلفوا في الذي ارتفع به قوله : " وصدُّ عن سبيل الله "

فقال بعض نحوي الكوفيين: في رفعه وجهان: أحدهما ، أن يكون " الصدُّ " مردوداً (١)

١ - بدائع الفوائد ، تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي ، ط ١ ، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة ، ١٤١٦ - ١٩٩٦

٢ - سورة البقرة ، الآية ٢١٧ .

على " الكبير " ، يريد : قل القتال فيه كبيرٌ وصدُّ عن سبيل الله وكفرٌ به ، وإن شئت جعلت " الصد " كبيراً" ، يريد به : قل القتال فيه كبير، وكبيرٌ الصدُّ عن سبيل الله والكفر به ، قال الطبري : قال فأخطأ (٢) في كلا تأويليه ؛ وذلك أنه إذا رفع "الصد" عطفاً به على "كبير" ، يصير تأويل الكلام: قل القتالُ في الشهر الحرام كبيرٌ وصدُّ عن سبيل الله، وكفرٌ بالله ، وذلك من التأويل خلاف ما عليه أهل الإسلام جميعاً ؛ لأنه لم يدع أحد أن الله تبارك وتعالى جعل القتال في الأشهر الحرم كفرًا بالله ، بل ذلك غير جائز أن يُتَوَهَّم على عاقل يعقل ما يقول أن يقوله ، وكيف يجوز أن يقوله ذو فطرة صحيحة، والله جل ثناؤه يقول في أثر ذلك : " وإخراج أهله منه أكبرُ عند الله " ؟ فلو كان الكلام على ما رآه جائزاً في تأويله هذا ؛ لوجب أن يكون إخراج أهل المسجد الحرام من المسجد الحرام ، كان أعظمَ عند الله من الكفر به ؛ وذلك أنه يقول في أثره : " وإخراج أهله منه أكبر عند الله " ، وفي قيام الحجة بأن لا شيء أعظمُ عند الله من الكفر به ، ما يُبين عن خطأ هذا القول .

وأما إذا رفع "الصد" ، بمعنى ما زعم أنه الوجه الآخر - وذلك رفعه بمعنى: وكبير صدُّ عن سبيل الله ، ثم قيل: " وإخراج أهله منه أكبرُ عند الله " - صار المعنى إلى أن إخراج أهل المسجد الحرام من المسجد الحرام ، أعظمُ عند الله من الكفر بالله والصدُّ عن سبيله، وعن المسجد الحرام ، ومتأوّل ذلك كذلك ، داخل من الخطأ في مثل الذي دخل فيه القائلُ القولَ الأوّل : من تصييره بعض خلال الكفر أعظمَ عند الله من الكفر بعينه ؛ وذلك مما لا يُخيل على أحدٍ خطؤه وفساده .

١ - المردود: البذل ، المرجع : المصطلح النحوي نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، ص ١٦٣ ، والمراد به هنا العطف .

٢ - يقصد الفراء في كتابه معاني القرآن ، ١ / ١٢٤

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول القولَ الأولَ في رفع "الصد" ،
ويزعم أنه معطوف به على "الكبير" ، ويجعل قوله: ﴿ وإخراج أهله ﴾ مرفوعاً على
الابتداء، وقد بينا فسادَ ذلك وخطأ تأويله (١).

قال الطبري : " حدثت عن الحسين بن الفرج، قال، سمعت أبا معاذ الفضل بن
خالد، قال أخبرنا عبيد بن سليمان الباهلي، قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول
في قوله: ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ﴾ " كان أصحاب محمد ﷺ
قتلوا ابن الحضرمي في الشهر الحرام، فغير المشركون المسلمين بذلك، فقال الله :
قتال في الشهر الحرام كبير، وأكبر من ذلك صد عن سبيل الله وكفر به ، وإخراج
أهل المسجد الحرام من المسجد الحرام.

قال الطبري : وهذان الخبران اللذان ذكرناهما عن مجاهد والضحاك ، ينبئان عن
صحة ما قلنا في رفع "الصد" و"الكفر به" ، وأن رافعه "أكبر عند الله" (٢)

١ - الطبري ٤ / ٣١٣

٢ - الطبري ٤ / ٣١٠

الفصل الخامس

عرض الطبري لآراء النحويين المختلفة

المتتبع لتفسير الطبري يجده يتناول آراء النحويين المختلفة بهدف توضيح وجوه التفسير للآية ، ونجده يقف عند بعض الكلمات أو بعض الحروف بهدف توضيحها للقارئ وبيان آراء النحويين المختلفة فيها وهذا الأمر بالإضافة إلى فائدة للقارئ يبين لنا مدى سعة علم الطبري بالنحو ؛ مما جعل البعض يعده من حذاق الكوفيين .

مثالاً لذلك قال الطبري في قوله تعالى: ﴿ إِذِ تَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ (١) "واختلف أهل العربية في وجه توحيد قعيد، وقد ذكر من قبل متلقيان، فقال بعض نحويي البصرة: قيل: ﴿ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ ولم يقل: عن اليمين قعيد، وعن الشمال قعيد، أي أحدهما، ثم استغنى، كما قال: ﴿ نَخْرُجُكُمْ طِفْلاً ﴾ (٢) ثم استغنى بالواحد عن الجمع، كما قال: ﴿ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ﴾ (٣)، وقال بعض نحويي الكوفة ﴿ قَعِيدٌ ﴾ يريد: قعوداً عن اليمين وعن الشمال، فجعل فعيل جمعاً، كما يجعل الرسول للقوم وللاتنين، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) لموسى وأخيه ، وقال الشاعر: (٥)

أَلْكَنِي إِلَيْهَا وَخَيَّرُ الرَّسُولَ ***
أَعْلَمُهُمْ بِنَوَاحِي الْخَبَرِ

١ - سورة ق الآية ١٧

٢ - سورة الحج من الآية ٥

٣ - سورة النساء ، من الآية ٤

٤ - سورة الشعراء ، من الآية ١٦

٥ - البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، جاء نكره في لسان العرب ، قال : أَلْكَنِي إِلَى فُلَانٍ يُرِيدُونَ كُنْ رَسُولِي وَتَحَمَّلْ رِسَالَتِي إِلَيْهِ وَقَدْ أَكْثَرُوا فِي هَذَا اللَّفْظِ قَالَ عَبْدُ بَنِي الْحَسَّاسِ أَلْكَنِي إِلَيْهَا عَمْرًاكَ اللَّهُ يَا فَتَى بَابِي مَا جَاءَتْ إِلَيْنَا تَهَادِيَا ، أنظر : لسان العرب ، تأليف : محمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري ، دار صادر بيروت ، ط ١ ، مادة (لوك) .

فجعل الرسول للجمع، فهذا وجه وإن شئت جعلت القعيد واحدا اكتفاء به من صاحبه

، كما قال الشاعر: (١)

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا *** عِنْدَكَ
رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ

ومنه قول الفرزدق: (٢)

إِنِّي ضَمِنْتُ لِمَنْ أَتَانِي مَا جَاءَنِي ***
وَأَبِي فَكَانَ وَكَانَتْ غَيْرَ غَيْرٍ غَيْرٍ دُورٍ

ولم يقل: غَيْرٍ دُورِيٍّ (٣)

وقال الطبري في قوله تعالى: ﴿لَتَسُوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرْنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ (٤)

" واختلف أهل العربية في وجه توحيد الهاء في قوله: ﴿عَلَى ظُهُورِهِ﴾ وتذكيرها ، فقال بعض نحويي البصرة : تذكيره يعود على ما تركبون وما هو مذكر ، كما يقال : عندي من النساء من يوافقك ويسرك ، وقد تذكر الأنعام وتؤنث ، وقد قال في

١ - البيت لعمر بن عمرو بن أمية القرظي ، في البيان والتبيين ، تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر ، تحقيق : المحامي فوزي عطوي ، دار صعب - بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٨ ، ٤٣٦/١ .

٢ - البيت للفرزدق ، في لسان العرب ، مادة (قعد) ، وليس في ديوانه طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، شرح الأستاذ : علي فاعور ، ط ١٤٠٧ هـ ، وهو من شواهد النحويين في باب التنازع ، فإن قوله كان وكننت يطلب الخبر وهو قوله "غير غدور" ، انظر : الإنصاف في مسائل الخلاف ، بين النحويين البصريين والكوفيين ، تأليف : أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري ، دار الفكر ، دمشق ، ١ / ٩٥

٣ - الطبري ، ٢٢ / ٤٤١

٤ - سورة الزخرف الآية ١٣

موضع آخر: ﴿ نُسْتَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾ (١) وقال في موضع آخر: ﴿ نُسْتَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾ (٢).

وقال بعض نحويي الكوفة: أضيفت الظهر إلى الواحد؛ لأن ذلك الواحد في معنى جمع بمنزلة الجند والجيش، قال: فإن قيل: فهلا قلت: لتستوا على ظهره، فجعلت الظهر واحدا إذا أضفته إلى واحد، قلت: إن الواحد فيه معنى الجمع، فردت الظهر إلى المعنى ولم يقل ظهره، فيكون كالواحد الذي معناه ولفظه واحد، وكذلك تقول: قد كثر نساء الجند، وقلت: ورفع الجند أعينه ولم يقل عينه، قال: وكذلك كل ما أضفت إليه من الأسماء الموصوفة، فأخرجها على الجمع، وإذا أضفت إليه اسما في معنى فعل جاز جمعه وتوحيده، مثل قولك: رفع العسكر صوته، وأصواته أجود وجاز هذا لأن الفعل لا صورة له في الاثنين إلا الصورة في الواحد.

وقال آخر منهم: قيل: لتستوا على ظهره؛ لأنه وصف للفلك، ولكنه وحد (الهاء) لأن الفلك بتأويل جمع، فجمع الظهر ووحد (الهاء)؛ لأن أفعال كل واحد وتأويله الجمع توحد وتجمع مثل: الجند منهزم ومنهزمون، فإذا جاءت الأسماء خرج على الأسماء لا غير، فقلت: الجند رجال، فلذلك جمعت الظهر ووحدت الهاء، ولو كان مثل الصوت وأشباهه جاز الجند رافع صوته وأصواته (٣)

وقال الطبري في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٤)

" واختلف أهل العربية في المعنى الذي من أجله نصب قوله: " خيراً لكم " ، فقال بعض نحويي الكوفة: نصب " خيراً " على الخروج مما قبله من الكلام (١) ؛ لأن

١ - سورة النحل ، من الآية ٦٦

٢ - سورة المؤمنون من الآية ٢١

٣ - الطبري ، ٥٧٥/٢١

٤ - سورة النساء الآية ، ١٧٠

ما قبله من الكلام قد تمّ ، وذلك قوله: " فآمنوا " ، وقال: قد سمعت العرب تفعل ذلك في كل خبر كان تاماً، ثم اتصل به كلام بعد تمامه على نحو اتصال " خير " بما قبله ، فنقول: " لنقومن خيراً لك " و" لو فعلت ذلك خيراً لك " ، و" اتق الله خيراً لك". قال: وأما إذا كان الكلام ناقصاً فلا يكون إلا بالرفع ، كقولك: " إن نتق الله خير لك " ، و﴿ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ (٢)

وقال آخر منهم: جاء النصب في " خير " ؛ لأن أصل الكلام : فآمنوا هو خيرٌ لكم ، فلما سقط (هو)، الذي هو كناية ومصدرٌ، اتصل الكلام بما قبله والذي قبله معرفة ، و"خير" نكرة فانصب لاتصاله بالمعرفة ؛ لأن الإضمار من الفعل قم فالقيام خير لك"، و" لا تقم فترك القيام خير لك "؛ فلما سقط اتصل بالأول ، وقال: ألا ترى أنك ترى الكناية عن الأمر تصلح قبل الخبر، فنقول للرجل: " اتق الله هو خير لك " ، أي: الاتقاء خير لك ، وقال: ليس نصبه على إضمار(يكن)؛ لأن ذلك يأتي بقياس يُبطل هذا ، ألا ترى أنك تقول: " اتق الله تكن محسناً " ، ولا يجوز أن تقول: " اتق الله محسناً " وأنت تضمّر (كان)، ولا يصلح أن تقول: " انصرنا أخانا " وأنت تريد: " تكن أخانا " ؟ وزعم قائل هذا القول أنه لا يجيز ذلك إلا في " أفعل " خاصة ، فنقول: " افعل هذا خيراً لك " و" لا تفعل هذا خيراً لك " و" أفضل لك " ، ولا تقول: " صلاحاً لك " ، وزعم أنه إنما قيل مع "أفعل"؛ لأن " أفعل " يدل على أن هذا أصلح من ذلك.

وقال بعض نحويي البصرة: نصب "خيراً"؛ لأنه حين قال لهم: " آمنوا " ، أمرهم بما هو خيرٌ لهم، فكأنه قال: اعملوا خيراً لكم، وكذلك: ﴿ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ ﴾ (٣) ، قال: وهذا إنما يكون في الأمر والنهي خاصة، ولا يكون في الخبر لا تقول: " إن أنتهي

١ - لم يضع الكوفيون لهذا المصطلح حداً معيناً ؛ ولكنه يدور حول مخالفة اللفظ المتأخر لإحكام اللفظ السابق له بمعنى عدم المماثلة ، أنظر : المصطلح النحوي ، نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري ، ص ١٨٨ .

٢ - سورة البقرة ، ١٨٤

٣ - سورة النساء ، الآية ١٧١

خيراً لي"؟ ولكن يرفع على كلامين، لأن الأمر والنهي يضم فيهما فكأنك أخرجته من شيء إلى شيء ؛ لأنك حين قلت له: "انته" كأنك قلت له: "اخرج من ذا وادخل في آخر"، واستشهد بقول الشاعر عمر بن أبي ربيعة :

فَوَاعِدِيهِ سَرَحْتِ مَعِي مَالِكٍ *** أَوْ
الرُّبِي بَيْنَهُ مِمَّا أَسْهَلَ (١)

كما تقول: "واعديه خيراً لك" ، قال: وقد سمعت نصبَ هذا في الخبر، تقول العرب: "أتي البيت خيراً لي، وأتركه خيراً لي"، وهو على ما فسرت لك في الأمر والنهي.

وقال آخر منهم: نصب " خيراً " بفعل مضمر واكتفى من ذلك المضمر بقوله: " لا تفعل هذا "أو" افعل الخير" ، وأجازه في غير "أفعل" ، فقال: " لا تفعل ذاك صلاحاً لك" .

وقال آخر منهم: نصب "خيراً" على ضمير جواب" يكن خيراً لكم" ، وقال: كذلك كل أمر ونهي (٢)

وقال الطبري في قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولَنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣)

١ - قال البغدادي : يفهم من البيت أن عشيقته أرسلت إليه امرأة تعين له موضع الملاقاة وأمرتها أن تواعده أحد هذين الموضعين ويلتمس مكاناً سهلاً بقرب من ذلك الموضع لأنهما إذا علوا الربا عرف مكانهما وشنع أمرهما ؛ لكن المفهوم من كلام الأعلام : أنه هو الذي أرسل إليها امرأة فإنه : نصب أسهل بإضمار فعل دل عليه ما قبله لأنه لما قال فواعديه سرحتي مالك أو الربا بينهما علم أنه منزعج لها ، داعٍ إلى إتيان أحدهما ، فكأنه قال : انتي أسهل الأمرين عليك ، انظر : خزانة الأدب ، لعبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠هـ - ١٠٩٣هـ ، تحقيق محمد نبيل طريفي/ إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨م ، بيروت ، ١٠٥ / ٢

٢ - الطبري ، ٩ / ٤١٥ .

٣ - سورة الأعراف من الآية ٤٣ .

" فقال بعض نحويي البصرة : هي (أن) الثقيلة، خفت وأضر فيها، ولا يستقيم أن تجعلها الخفيفة ؛ لأن بعدها اسماً، والخفيفة لا تليها الأسماء.

وقد قال الشاعر: (١)

فِي فِتْيَةٍ كَسِيُوفِ الْهِنْدِ، قَدْ عَلِمُوا *** أَنْ هَالِكُ كُلِّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ

وقال آخر: (٢)

أُكَاشِرُهُ وَأَعْلَمُ أَنْ كِلَانَا *** عَلَى مَا سَاءَ صَاحِبِهِ حَرِيصُ

قال: فمعناه: أنه كِلَانَا ، قال: ويكون كقوله: ﴿ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا ﴾ (٣) في موضع (أي) وقوله: ﴿ أَنْ أَقِيمُوا ﴾ (٤) ، ولا تكون (أن) التي تعمل في الأفعال لأنك تقول: "غازني أن قام"، و"أن ذهب" فتقع على الأفعال وإن كانت لا تعمل فيها، وفي كتاب الله : ﴿ وَأَنْطَلِقَ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا ﴾ (٥) أي: امشوا.

وأنكر ذلك من قوله هذا بعض أهل الكوفة، فقال: غير جائز أن يكون مع (أن) في هذا الموضع (هاء) مضمرة ، لأن (أن) دخلت في الكلام لتقي ما بعدها قال : "وأن هذه التي مع "تلكم" هي الدائرة التي يقع فيها ما ضارع الحكاية، وليس بلفظ الحكاية، نحو: "ناديت أنك قائم"، و"أن زيد قائم" و"أن قمت"، فتلي كل الكلام،

١ - البيت للأعشى ميمون بن قيس ، وعجز البيت في ديوانه (أن ليس يدفع عن ذي الحيلة الحيل) ، ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس (لاط ، لات) ص ٥٩، وقال سيبويه : ولا تخفف أن إلا عليه، كما قال: قد علمت أن لا يقول ذلك، أي أنه لا يقول ، المرجع ، الكتاب لسيبويه ، تحقيق : عبد السلام محمد هرون ، ط ٣ ، ٥٢٤٠٨ ، مكتبة الخانجي القاهرة، ٣ / ٧٤ ، وقال عبد القادر البغدادي : والشاهد على أن (أن) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير شأن محذوف وهالك : خبر مقدم وكل : مبتدأ مؤخر والجملة خبرها ، انظر : خزانة الأدب ، ٥ / ٩٠٤ .

٢ - البيت لعدي بن أبي زيد ، ذكره سيبويه وقال : ولا تجئ مخففة هاهنا إلا على ذلك ، الكتاب لسيبويه ٣ / ٧٤ .

٣ - سورة الأعراف من الآية ٤٤ .

٤ - سورة الشورى من الآية ١٣ .

٥ - سورة ص من الآية ٦

وجعلت (أن) وقاية، لأن النداء يقع على ما بعده، وسلم ما بعد (أن) كما سلم ما بعد "القول"،

ألا ترى أنك تقول: " قلت: زيد قائم "، و"قلت: قام"، فتليها ما شئت من الكلام؟ فلما كان النداء بمعنى "الظن" وما أشبهه من "القول" سلم ما بعد (أن)، ودخلت (أن) وقاية، قال: وأما (أي) فإنها لا تكون على (أن) لا يكون (أي) جواب الكلام، و(أن) تكفي من الاسم " (١)

وقال الطبري في أن المصدرية في الآية: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (٢) " ما كان ينبغي للنبي ﷺ والذين آمنوا به ﴿ أن يستغفروا ﴾، يقول: أن يدعوا بالمغفرة للمشركين، ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم "أولي قربي"، ذوي قرابة لهم "من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم"، يقول: من بعد ما ماتوا على شركهم بالله وعبادة الأوثان، وتبين لهم أنهم من أهل النار، لأن الله قد قضى أن لا يغفر لمشرك، فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنه لا يفعله، فإن قالوا: فإن إبراهيم قد استغفر لأبيه وهو مشرك؟ فلم يكن استغفار إبراهيم لأبيه إلا لموعدة وعداها إياه فلما تبين له وعلم أنه لله عدو، خلاه وتركه، وترك الاستغفار له وآثر الله وأمره عليه، فتبرأ منه حين تبين له أمره ".

وقال الطبري: "اختلف أهل العربية في معنى قوله: ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾، فقال بعض نحويي البصرة: معنى ذلك: ما كان لهم الاستغفار وكذلك معنى قوله: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ ﴾ (٣)، وما كان لنفس الإيمان ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾، وقال بعض نحويي الكوفة: معناه: ما كان ينبغي لهم أن يستغفروا لهم، قال:

١ - تفسير الطبري ، ٤٤٤/١٢

٢ - سورة التوبة ، الآية ١١٣

٣ - سورة يونس من الآية ١٠٠

وكذلك إذا جاءت (أن) مع (كان)، فكلها بتأويل: ينبغي، ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُغَلَّ ﴾ (١) ما كان ينبغي له ليس هذا من أخلاقه ، قال: فلذلك إذا دخلت "أن" لتدل على الاستقبال؛ لأن "ينبغي" تطلب الاستقبال (٢)

وقول الطبري قال: بعض نحوي البصرة والكوفة الإشارة إلى قول الأخفش والفراء ، قال الأخفش : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ يقول "وما كان لهم استغفار للمُشْرِكِينَ" وقال ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ، أي ما كان لها الإيمان إلا بإذن الله " (٣)

وجاء قول الفراء في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (٤) "المعنى والله أعلم : ما كان ينبغي لمثل هذا القرآن أن يفترى، وهو في معنى: ما كان هذا القرآن ليفتري ، ومثله ﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة ﴾ (٥) أي ما كان ينبغي لهم أن ينفروا؛ لأنهم قد كانوا نفروا كافةً فلَّ المعنى على أنه لا ينبغي لهم أن يفعلوا مرةً أخرى ، ومثله ﴿ وما كان لني أن يغلَّ ﴾ أي ما ينبغي لني أن يغلَّ ولا يُغَلَّ ، فجاءت (أن) على معنى ينبغي (٦)

١ - سورة آل عمران من الآية ١٦٠

٢ - الطبري ، ١٤ / ٥١٤

٣ - معاني القرآن للأخفش ، تأليف أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ) تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م ، ٣٦٧/١ .

٤ - سورة يونس من الآية ٣٧

٥ - سورة التوبة ، من الآية ١٢٢

٦ - معاني القرآن للفراء ، معاني القرآن للفراء ، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي نجار ، عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ١٣٦ / ٢ .

الفصل السادس استخدام أسلوب الحجة والإقناع

استخدم الإمام الطبري في تفسيره أسلوب الحجة والإقناع وهو أن يطرح عدداً من الأسئلة المختلفة التي تعرض على القارئ ، ثم يرد عليها بأسلوب منهجي وتحليلي بحيث لا يترك في نفس القارئ أي شك ، ومثال لذلك قال الطبري في قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَبَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ (١) ، فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَبَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾ ؟ وهل هلكت قرية إلا بمجيء بأس الله وحلول نقمته وسخطه بها؟ فكيف قيل: "أهلكناها فباءها"؟ وإن كان مجيء بأس الله إياها بعد هلاكها، فما وجه مجيء ذلك قوماً قد هلكوا وبادوا، ولا يشعرون بما ينزل بهم ولا بمساكنهم؟

قيل: إن لذلك من التأويل وجهين، كلاهما صحيح واضح منهجه ، أحدهما:

أن يكون معناه: " وكم من قرية أهلكناها" ، بخذلاننا إياها عن إتباع ما أنزلنا إليها من البينات والهدى، واختيارها إتباع أمر أوليائها المغويتها عن طاعة ربها "فباءها بأسنا" إذ فعلت ذلك "بياتاً أو هم قائلون" ؛ فيكون "إهلاك الله إياها"، خذلانه لها عن طاعته، ويكون "مجيء بأس الله إياهم"، جزاء لمعصيتهم ربهم بخذلانه إياهم.

والآخر منهما: أن يكون "الإهلاك" هو "البأس" بعينه، فيكون في ذكر "الإهلاك" الدلالة على ذكر "مجيء البأس"، وفي ذكر "مجيء البأس" الدلالة على ذكر "الإهلاك".

وإذا كان ذلك كذلك ، كان سواء عند العرب ، بُدئ بالإهلاك ثم عطف عليه بالبأس، أو بدئ بالبأس ثم عطف عليه بالإهلاك ، وذلك كقولهم: "زرتني فأكرمتني"، إذ كانت "الزيارة" هي "الكرامة" ، فسواء عندهم قدم "الزيارة" وأخر "الكرامة" ، أو قدم "الكرامة" وأخر "الزيارة" فقال: " أكرمتني فزرتني " .

^١ - سورة الأعراف الآية ٤ .

وكان بعض أهل العربية يزعم أن في الكلام محذوفاً، لولا ذلك لم يكن الكلام صحيحاً وأن معنى ذلك: وكم من قرية أهلكتها، فكان مجيء بأسنا إياها قبل إهلاكنا، وهذا قول لا دلالة على صحته من ظاهر التنزيل، ولا من خبر يجب التسليم له. وإذا خلا القول من دلالة على صحته من بعض الوجوه التي يجب التسليم لها، كان بيّناً فسادها.

وقال آخر منهم أيضاً: معنى (الفاء) في هذا الموضع معنى (الواو)، وقال: تأويل الكلام: وكم من قرية أهلكتها، وجاءها بأسنا بيّاتاً، وهذا قول لا معنى له، إذ كان لـ(الفاء) عند العرب من الحكم ما ليس للواو في الكلام، فصرفها إلى الأغلب من معناها عندهم، ما وجد إلى ذلك سبيل، أولى من صرفها إلى غيره (١)

فإن قال: وكيف قيل: ﴿فجاءها بأسنا بيّاتاً وهم قائلون﴾ ، وقد علمت أن الأغلب من شأن (أو) في الكلام، اجتلابُ الشك ، وغير جائز أن يكون في خبر الله شك؟ قيل: إن تأويل ذلك خلاف ما إليه ذهبنا ؛ وإنما معنى الكلام : وكم من قرية أهلكتها فجاء بعضها (بأسنا) بيّاتاً، وبعضها وهم قائلون، ولو جعل مكان (أو) في هذا الموضع (الواو)، لكان الكلام كالمحال، ولصار الأغلب من معنى الكلام: أن القرية التي أهلكتها الله جاءها بأسه بيّاتاً وفي وقت القائلة ، وذلك خبرٌ عن البأس أنه أهلك من قد هلك، وأفنى من قد فني ، وذلك من الكلام خَلْفٌ .

ولكن الصحيح من الكلام هو ما جاء به التنزيل، إذ لم يفصل القرى التي جاءها البأس بيّاتاً، من القرى التي جاءها ذلك قائلةً ، ولو فصلت لم يخبر عنها إلا بالواو.

وقيل: "فجاءها بأسنا" خبراً عن "القرية" أن البأس أتاها، وأجرى الكلام على ما ابتدئ به في أول الآية ، ولو قيل: "فجاءهم بأسنا بيّاتاً"، لكان صحيحاً فصيحاً، رداً للكلام إلى معناه ، إذ كان البأس إنما قصد به سكان القرية دون بنيانها، وإن كان قد نال بنيانها ومساكنها من البأس بالخراب، نحو من الذي نال سكانها.

١ - الطبري ٣٠١/١٢ .

وقد رجع في قوله: ﴿أوهم قائلون﴾، إلى خصوص الخبر عن سكانها دون مساكنها، لما وصفنا من أن المقصود بالبأس كان السكان، وإن كان في هلاكهم هلاك مساكنهم وخرابها.

ولو قيل: "أو هي قائلة"، كان صحيحاً، إذ كان السامعون قد فهموا المراد من الكلام. فإن قال قائل: أو ليس قوله: ﴿أوهم قائلون﴾، خبراً عن الوقت الذي أتاها فيه بأس الله من النهار؟ قيل: بلى! ، فإن قال: أو ليس المواقيت في مثل هذا تكون في كلام العرب بالواو الدالّ على الوقت؟ قيل: إن ذلك ، وإن كان كذلك، فإنهم قد يحذفون من مثل هذا الموضع ، استتقالا للجمع بين حرفي عطف، إذ كان (أو) عندهم من حروف العطف ، وكذلك (الواو)، فيقولون: "لقيتني مملقاً أو أنا مسافر"، بمعنى: أو وأنا مسافر، فيحذفون (الواو) وهم يريدونها في الكلام، لما وصفت (١)

١ - الطبري ٣٠٣/١٢

الفصل السابع

موقف الطبري من القراءات القرآنية

لقد اهتم الطبري في تفسيره بالقراءات القرآنية اهتماماً كبيراً وأظهر فيها علمه الواسع بها ، ويعد الطبري من علماء القراءات ، وقد ذكرتُ أن للطبري كتاباً في القراءات ذكر فيه أسماء القراء ، وبين فيه كل قراءة ووجهها واختار الصواب منها وبرهن فيها على صحة اختياره معتمداً على قوته في التفسير والإعراب ، وقوة الطبري في الإعراب جعلته يرجح ويختار القراءات الصحيحة المفضلة لديه من بين عدد من القراءات، ومعلوم أن الإعراب هو أحد أسباب اختلاف القراءات ، وموقف الطبري في اختيار القراءة الصحيحة في تفسيره يقوم على الآتي :

١- إجماع الحجة من القراء والعلماء عليها.

يرى الطبري أن القراءة الصحيحة المختارة لديه هي القراءة التي أجمع عليها الحجة من القراء والعلماء مع إجماعهم على تخطئة غيرها ، وهي التي تكون متوافقة مع أسلوب القرآن الكريم وكلام العرب ، ومثال ذلك يقول الطبري في قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ (١) " قال الطبري : " وقوله ﴿ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ خبرٌ مبتدأ بعد تمام الخبر عما ختم الله جلّ ثناؤه عليه من جوارح الكفار الذين مضت قِصصهم ، وذلك أن "غِشَاوَةٌ" مرفوعة بقوله "وعلى أبصارهم"، فذلك دليل على أنه خبرٌ مبتدأ، وأن قوله "ختم الله على قلوبهم" ، قد تناهى عند قوله "وعلى سمعهم".(١)

١ - سورة البقرة ، الآية ٧ .

٢ - الإعراب : غِشَاوَةٌ مبتدأ ، وجاز الابتداء بها لأن النكرة متى كان خبرها ظرفاً أو حرفاً جر تاماً وقُدِّمَ عليها جاز الابتداء بها ، ويكون تقديم الخبر حينئذٍ واجباً لتصحيحه الابتداء بالنكرة ، والآية من هذا القبيل ، ويُوقف على (سمعهم) ويُبتدأ بما بعده وهو (وعلى أبصارهم غِشَاوَةٌ) فعلى أبصارهم خبرٌ مقدم وغِشَاوَةٌ مبتدأ مؤخر ، تفسير الدر المصون للسمين الحلبي، تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي ، تحقيق د.أحمد محمد الخراط ، دار القلم دمشق ١/١١١ .

وذلك هو القراءة الصحيحة عندنا لمعنيين :

أحدهما: اتفاق الحجة من القراء والعلماء على الشهادة بتصحيحها، وانفراد المخالف لهم في ذلك، وشدوده عما هم على تخطئته مجمعون ، وكفى بإجماع الحجة على تخطئة قراءته شاهداً على خطئها.

والثاني: أن الختم غيرُ موصوفةٍ به العيونُ في شيء من كتاب الله ، ولا في خبر عن رسول الله ﷺ ، ولا موجودٍ في لغة أحد من العرب ، وقد قال تبارك وتعالى في سورة أخرى: ﴿ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ﴾ ، ثم قال: ﴿ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾ (١)، فلم يدخل البصرَ في معنى الختم ، وذلك هو المعروف في كلام العرب، فلم يَجْزُ لنا، ولا لأحدٍ من الناس القراءةُ بنصب الغشاوة ، لما وصفتُ من العلتين اللتين ذكرتُ؛ وإن كان لنصبها مخرجٌ معروفٌ في العربية " . (٢) (٣)

٢- تناسب القراءات مع تفسير الآيات .

يرى الطبري كذلك في القراءة الصحيحة التي يختارها هي التي تتناسب مع التفسير فإذا تناسبت القراءة مع تفسير الآية ؛ ذهب إلى اختيارها ومثالاً لذلك يقول الطبري في قوله تعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ (٤)، قال : " القراء مختلفون في تلاوة: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ فبعضهم يتلوه ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، وبعضهم يتلوه ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ وبعضهم يتلوه ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ بنصب الكاف... ، ولا خلاف بين جميع أهل المعرفة بلغات العرب، أن المَلِك من "المُلْك" مشتق، وأن المالك من "المَلِك" مأخوذٌ ، فتأويل قراءة من قرأ ذلك: ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ، أن الله المُلْك يوم الدين خالصاً دون

١ - سورة الجاثية ، الآية ٢٣ .

٢ - الطبري ، ٢٦٣/١ .

٣ - المخرج المعروف : إضمار فعل لائق ، أي : وَجَعَلَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً ، وقد صرَّح بهذا العامل في قوله تعالى : { وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً } في سورة الجاثية ، انظر، تفسير: كتاب الدر المصون ، ٤٨/١ .

٤ - سورة الفاتحة ، الآية ٤

جميع خلقه، الذين كانوا قبل ذلك في الدنيا ملوكًا جبابرة ينازعونه الملك، ويدافعونه الانفراد بالكبرياء والعظمة والسلطان والجبرية ، فأيقنوا بقاء الله يوم الدين أنهم الصَّغَرَةُ الأَدْلَةُ ... ، كما قال جلّ ذكره وتقدست أسماؤه في تنزيله : ﴿

يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ (١).

وأما تأويلُ قراءة من قرأ : ﴿ مالِكِ يوم الدين ﴾ ، فما: حدثنا به أبو كريب، قال: ... عن عبد الله بن عباس: ﴿ مالِكِ يوم الدين ﴾ ، يقول: لا يملك أحدٌ في ذلك اليوم معه حكمًا كملكهم في الدنيا، ثم قال: ﴿ لَا تَكَلِّمُونَ إِلَّا مَنْ أذنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾ (٢) وقال: ﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴾ (٣) ، وقال: ﴿ وَلَا يَسْمَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى ﴾ (٤)

قال الطبري: وأولى التأويلين بالآية، وأصحُّ القراءتين في التلاوة عندي، التأويلُ الأول، وهي قراءة من قرأ " مَلِكٍ " بمعنى " الملك " ؛ لأن في الإقرار له بالانفراد بالملك، إيجابًا لانفراده بالملك، وفضيلة زيادة الملك على المالك ، إذ كان معلومًا أن لا مَلِكٍ إلا وهو مالكٌ، وقد يكون المالكُ لا ملكًا .

وبعد، فإن الله جلّ ذكره، قد أخبر عباده في الآية التي قبل قوله ﴿ مَلِكِ يوم الدين ﴾ أنه مالكٌ جميع العالمين وسيدهم، ومُصلِحُهُم، والناظرُ لهم، والرحيم بهم في الدنيا والآخرة، بقوله: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ .

وإذا كان جلّ ذكره قد أنبأهم عن ملكه إيّاهم كذلك بقوله: ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، فأولى الصِّقَات من صفاته جلّ ذكره أن يتَّبَع ذلك ما لم يحوهِ قوله ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، مع قرب ما بين الآيتين من المواصلة والمجاورة، إذ كانت حكمته الحكمة التي لا تشبهها حكمة، وكان في إعادة وصفه جلّ ذكره بأنه ﴿ مَلِكِ يوم

١ - سورة غافر الآية ١٦ .

٢ - سورة النبأ الآية ٣٨ .

٣ - سورة طه الآية ١٠٨ .

٤ - سورة الأنبياء الآية ٢٨ .

الدين ﴿﴾ ، إعادة ما قد مضى من وصفه به في قوله ﴿﴾ رب العالمين ﴿﴾ ، مع تقارب الآيتين وتجاوز الصفتين، وكان في إعادة ذلك تكراراً ألفاظ مختلفة بمعان متفقة، لا تفيد سامع ما كرر منه فائدةً به إليها حاجة ، والذي لم يحوهِ من صفاته جلّ ذكره ما قبل قوله: ﴿﴾ مالك يوم الدين ﴿﴾ ، المعنى الذي في قوله: ﴿﴾ ملك يوم الدين ﴿﴾ ، وهو وصفه بأنه الملك.

فبين إذا أن أولى القراءتين بالصواب، وأحقّ التأويلين بالكتاب، قراءة من قرأه ﴿﴾ ملك يوم الدين ﴿﴾ ، بمعنى إخلاص الملك له يوم الدين، دون قراءة من قرأ ﴿﴾ مالك يوم الدين ﴿﴾ الذي بمعنى أنه يملك الحكم بينهم وفصل القضاء، متفرّداً به دون سائر خلقه (١)

قال الطبري : " وأما تأويل ذلك في قراءة من قرأ ﴿﴾ ملك يوم الدين ﴿﴾ ، فإنه أراد: يا مالك يوم الدين ، فنصبه بنية النداء والدعاء، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿﴾ يوسفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا ﴿﴾ (٢) بتأويل: يا يوسف أعرض عن هذا، وكما قال الشاعر من بني أسد، وهو شعر - فيما يقال - جاهلي: (٣)

١ - الطبري ، ١/١٥١ .

٢ - سورة يوسف الآية ، ٢٩ .

٣ - البيت لحضرمي بن عامر ، رواه أبو عليّ القاليّ من أبي بكر بن دريد قال : كان حضرمي بن عامر عاشر عشرة من إخوته فماتوا فورثهم، فقال ابن عم له يقال له جزء: من مثلك مات إخوتك فورثتهم فأصبحت ناعماً جذلاً ! فقال حضرمي :

يزعم جزء ولــــم يــــقــــل ســــدداً *** إني تروحت
ناعماً جــــذلاً
إن كنت أزننتى بها كــــذباً *** جــــزء فلاقيت مثلها
عجلاً

كم كان في إخوتي إذا احتضن الأق *** وام تحت العجاجة الأسلا

من واجد ماجد أخي تقية *** يعطى جزيلاً ويضرب البطل

إِنْ كُنْتَ أَرْنَتَنِي بِهَا كَذِبًا *** جَزْءٌ ،
فَلَا قَيْتَ مِثْلَهَا عَجِلاً

يريد: يا جزء ، وكما قال الآخر: (١)

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ لَا تَتَكْحُونَهَا *** بَنِي شَابَ قَرْنَاهَا تَصْرُؤُ وَتَحْلُبُ

يريد: يا بني شابَ قرناها .

وإنما أوردته في قراءة ذلك - بنصب الكاف من "مالك"، على المعنى الذي
وصفت - حيرته في توجيه قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وجِهته ، مع جر ﴿مالك يوم
الدين﴾ وخفضه، فظنَّ أنه لا يصحَّ معنى ذلك بعد جرِّه ﴿مالك يوم الدين﴾ ، فنصب:
"مالك يوم الدين" ليكون ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ له خطاباً، كأنه أراد: يا مالك يوم الدين، إياك
نعبد وإياك نستعين .

ولو كان علم تأويل أول السورة، وأن ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ أمرٌ من الله عبده بقيل
ذلك - كما ذكرنا قبل من الخبر عن ابن عباس: أن جبريل قال للنبي ﷺ عن الله
تعالى ذكره: قل يا محمد، ﴿الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين﴾ ، وقل أيضاً يا
محمد: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ - وكان عَقَل عن العرب أن من شأنها إذا حكَّت أو

إِنْ جِئْتَهُ خَائِفاً أَمْنَتْ وَإِنْ *** قَالَ سَأَحْبُوكَ نَائِلاً
فَعَلَا

فجلس جزء على شفير بئر وكان له تسعة إخوة فانخسفت بإخوته ونجا هو، فبلغ ذلك حضرمياً
فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، كلمة وافقت قدراً وأبقت حقداً ، المرجع: الأمالي ، تأليف:
أبي علي إسماعيل القاسم القالي البقداي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ١ / ٦٧ .

١ - البيت لتأبط شراً وهو من الأبيات التي يستشهد بها النحويون في الأسماء المركبة تركيب
إسناد ، وفي إضمار جواب الخبر ، وفي عدم جواز ترخيمها ، انظر: شرح قطر الندى ،
لابن هشام الأنصاري ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ط ١١ ، ١٣٨٣ ،
ص ٢١٤ ، والبيت ليس في ديوانه ، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ .

أمرت بحكاية خبر يتلو القولَ أن تخاطبَ ثم تخبرَ عن غائب، وتخيرَ عن الغائب
ثم تعودَ إلى الخطاب، لما في الحكاية بالقول من معنى الغائب والمخاطب، كقولهم
للرجل: قد قلتُ لأخيك: لو قمتَ لقتُ، وقد قلتُ لأخيك: لو قام لقتُ لسهل عليه
مخرجُ ما استصعب عليه وجهته من جر ﴿مالك يوم الدين﴾

ومن نظير ﴿مالك يوم الدين﴾ مجرورًا ، ثم عودَه إلى الخطاب بـ ﴿إياك نعبد﴾ ، لما
ذكرنا قبل، البيتُ السائرُ من شعر أبي كبير الهذلي :

يقول الهزلي : (١)

يَا لَهْفَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةُ خَالِدٍ *** وَيَبْيَاضُ وَجْهَكَ لِلتُّرَابِ الْأَعْرَبِ

فرجعَ إلى الخطاب بقوله: " وبياضُ وجهك " ، بعد ما قد مضى الخبرُ عن خالد
على معنى الخبر عن الغائب.

ومنه قول لبيد بن ربيعة : (٢)

١ - البيت لأبي كبير الهزلي ، قال ابن فارس في باب تحويل الخطاب من الغائب إلى
الشاهد: وقد يجعلون خطابَ الغائب للشاهد، قال الهذلي:

يا ويح نفسي كان جدَّة خالدٍ *** وبياضُ وجهك للتُّرابِ الأعْرَبِ ، فخيرَ عن خالد ثم واجهَ
فقال: وبياض وجهك ، الصاحبى في فقه اللغة ، لابن فارس، ١ / ٥٤

٢ - البيت للبيد بن ربيعة ، قال ابن عبد ربه : دخل الشَّعْبِيُّ على عبد الملك بن مروان،
فوجدَه قد كبا مُهْتَمًّا ، فقالت: ما بال أمير المؤمنين؟ قال: يا شعبيّ، ذكرتُ قولَ زهير :

كأني وقد جاوزت سبْعَ حِجَّاتٍ *** خَلَعْتُ بِهَا عَنِّي عِذَارَ
لجامي

رَمَتْنِي بِنَاتِ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ لَا أَرَى *** فَكَيْفَ بَمَنْ يُرْمَى وَلَيْسَ بِرَامِي

فَلَوْ أَنِّي أَرَمْتُ نِيَّ بِنْبُؤِ رَأَيْتُهَا

*** وَلَكِنِّي أَرَمْتُ بِغَيْرِ سَهْمِ

عَلَى الرَّاحَتَيْنِ تَارَةً وَعَلَى الْعَصَا *** أُنُوءُ ثَلَاثًا بَعْدَهُنَّ

قِيَامِي

قال له الشَّعْبِيُّ: ليس كذلك يا أمير المؤمنين، ولكن كما قال لبيدُ ابن ربيعة، وقد بلغ سبعين

سنة

بَاتَتْ تَشْكِي إِلَى النَّفْسِ مُجْهَشَةً *** وقد حَمَلْتِكِ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَا

فرجع إلى مخاطبة نفسه، وقد تقدم الخبر عنها على وجه الخبر عن الغائب.
ومنه قول الله ، وهو أصدق قيل وأثبت حجة : ﴿ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ (١) ، فخطب ثم رجع إلى الخبر عن الغائب، ولم يقل : وَجَرِينِ بِكُمْ .
والشواهد من الشعر وكلام العرب في ذلك أكثر من أن تحصى، وفيما ذكرنا كفاية لمن وُفِّقَ لفهمه.

فقراءة: ﴿ مالك يوم الدين ﴾ محظورة غير جائزة، لإجماع جميع الحجة من القراء
وعلماء الأمة على رفض القراءة بها " (٢)
٣- موافقة القراءة للمشهور من لغة العرب .

كأني وقد جاوزتُ سَبْعِينَ حَجَّةً *** خلعتُ بها عن مَنْكَبِي رِدَائِيَا ، فلما بلغ سبعا وسبعين
قال:

باتت تَشْكِي إِلَى النَّفْسِ مُجْهَشَةً *** وقد حَمَلْتِكِ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَا
فَإِنْ تَرَادِي ثَلَاثًا تَبْلُغِي أَمَلًا *** وفي الثَلَاثِ وَفِـــــــاء
لِلثَّمَانِيَا ، فلما بلغ مائة سنة قال:
ولقد سئمت من الحياة وطولها *** وسؤال هذا الخلق كيف ليبيد، فلما بلغ مائة سنة وعشرًا
قال:

أليسَ في مائةٍ قد عاشها رجلٌ *** وفي تكاملٍ عشرٍ بعدها عُمرٌ ، فلما بلغ ثلاثين ومائةً وقد
حضرته الوفاة قال: تَمَنَّى ابْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا *** وهل أنا إلا من ربيعةٍ أو مُضَرَ
فَقُومًا وَقُولًا بِالذِّي تَعَلَّمَانَهُ *** ولا تَخْمِشًا وَجْهًا وَلَا تَحْلِقًا شَعْرَ
وَقُولًا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا صَدِيقَهُ *** أضاع ولا خان الخليل ولا غدر
إلى الحَوْلِ ثم اسمُ السلام عليكما *** وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ ، قال الشعبي: فلقد
رأيت السرورَ في وجه عبد الملك طمعاً أن يعيشها. المرجع : العقد الفريد لابن عبد ربه ، ١
/ ٢٧١ .

١ - سورة يونس الآية ٢٢

٢ - الطبري ١/١٥٤

ومن اختيارات الطبري للقراءة الصحيحة هي القراءة التي تقاس على المشهور من كلام العرب فإذا خالفت القراءة الذي اشتهر من كلام العرب فهي قراءة شاذة مردودة ومثال ذلك قال الطبري : " واختلفت القراءة في قراءة قوله: ﴿ وَعَلَّمَ أَنْ فَيَكُمُ ضَعْفًا ﴾ وعلم أن فيكم ضعفاً ﴿ (١)

فقرأه بعض المدنيين وبعض البصريين: ﴿ وَعَلَّمَ أَنْ فَيَكُمُ ضَعْفًا ﴾ ، بضم "الضاد" في جميع القرآن ، وتتوين "الضعف" على المصدر من: " ضَعَفَ الرجل ضَعْفًا ".
وقرأ ذلك عامة قراءة الكوفيين: ﴿ وَعَلَّمَ أَنْ فَيَكُمُ ضَعْفًا ﴾ ، بفتح "الضاد" ، على المصدر أيضاً من " ضَعَفَ " .

وقراه بعض المدنيين: ﴿ ضَعْفَاء ﴾ ، على تقدير "فعلاء" ، جمع "ضعيف" على "ضعفاء" ، كما يجمع "الشريك" ، " شركاء " ، و " الرحيم " ، " رحماء " .
قال الطبري : وأولى القراءات في ذلك بالصواب ، قراءة من قرأه : ﴿ وَعَلَّمَ أَنْ فَيَكُمُ ضَعْفًا ﴾ ، و ﴿ ضَعْفًا ﴾ ، بفتح الضاد أو ضمها ، لأنهما القراءتان المعروفتان ، وهما لغتان مشهورتان في كلام العرب فصيحتان بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الصواب .

فأما قراءة من قرأ ذلك : {ضعفاء} ، فإنها عن قراءة القراءة شاذة ، وإن كان لها في الصحة مخرج ، فلا أحبُّ لقارئ القراءة بها " (٢)
٤ - موافقة القراءة لرسم المصحف العثماني .

يرى الطبري في القراءة الصحيحة التي يختارها أن تكون موافقة لرسم المصحف العثماني ، ومثال ذلك يقول الطبري في قوله تعالى : ﴿ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَسْتَنْهَ ﴾ (٣) : " وأما قوله: ﴿ لَمْ يَسْتَنْهَ ﴾ ففيه وجهان من القراءة :

١ - سورة الأنفال ، الآية ٦٦

٢ - الطبري ، ٥٨ / ١٤ .

٣ - سورة البقرة الآية ٢٥٩ .

أحدهما: ﴿لَمْ يَسَنَّ﴾ بحذف (الهاء) في الوصل، وإثباتها في الوقف، ومن قرأه كذلك فإنه يجعل الهاء في "يتسنه" زائدة صلة، كقوله: ﴿فَبِهْدَاهُمْ أَقْتَدِهِ﴾ (١) وهو قراءة عامة قراءة الكوفة.

والآخر منهما: إثبات (الهاء) في الوصل والوقف، ومن قرأه كذلك فإنه يجعل (الهاء) في "يتسنه" لام الفعل، ويجعلها مجزومة بـ (لم)، ويجعل "فعلت" منه: "تسنهت"، و"يفعل": "أتسنه تسنها"، وقال في تصغير "السنة": "سُنَيْهَة" و"سُنَيْتَة"، "أسنيت عند القوم" و"أسنيت عندهم"، إذا أقمت سنة، وهذه قراءة عامة قراءة أهل المدينة والحجاز.

قال الطبري: والصواب من القراءة عندي في ذلك إثبات (الهاء) في الوصل والوقف، لأنها مثبتة في مصحف المسلمين، وإثباتها وجه صحيح في كلتا الحالتين في ذلك،

ومعنى قوله: ﴿لَمْ يَسَنَّ﴾، لم يأت عليه السنون فيتغير... (٢)

الفصل الثامن

نماذج توضح دقة الطبري في التفسير والإعراب

القارئ لتفسير الطبري يجده يجمع بين الإعراب والتفسير بصورة تدعوا إلى التفكير والتأمل في نظم القرآن الكريم، ومن ذلك يقول الطبري في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَكَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣)، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٤)

١ - سورة الأنعام الآية من ٩٠ .

٢ - الطبري، ٤٦١/٥ .

٣ - سورة النحل الآية ٣٠

٤ - سورة النحل الآية ٢٤

: " يقول تعالى ذكره : وقيل للفريق الآخر ، الذين هم أهل إيمان وتقوى لله ﴿ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا ﴾ يقول: قالوا : أنزل خيراً ، وكان بعض أهل العربية من الكوفيين يقول: إنما اختلف الأعراب في قوله ﴿ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ الرفع وقوله: ﴿ خَيْرًا ﴾ النصب ، والمسألة قبل الجوابين كليهما واحدة ، وهي قوله ﴿ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ ﴾ ؛ لأن الكفار جحدوا التنزيل، فقالوا حين سمعوه : أساطير الأولين : أي هذا الذي جئت به أساطير الأولين ، ولم ينزل الله منه شيئاً ، وأما المؤمنون فصدّقوا التنزيل، فقالوا خيراً ، بمعنى أنه أنزل خيراً، فانتصب بوقوع الفعل من الله على الخير، فلهذا افتراقاً ثم ابتداء الخبر فقال: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ﴾ ...". (١)

ويقول الطبري في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (٢) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : وإذا كنت يا محمد قارئاً القرآن ، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم.

وكان بعض أهل العربية يزعم أنه من المؤخر الذي معناه التقديم ، وكان معنى الكلام عنده: وإذا استعذت بالله من الشيطان الرجيم، فاقراً القرآن ، ولا وجه لما قال من ذلك ؛ لأن ذلك لو كان كذلك لكان متى استعاذ مستعيز من الشيطان الرجيم لزمه أن يقرأ القرآن، ولكن معناه ما وصفناه ، وليس قوله ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ بالأمر اللازم ، وإنما هو إعلام وندب ، وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن من قرأ القرآن ولم يستعذ بالله من الشيطان الرجيم قبل قرأته أو بعدها أنه لم يضيع فرضاً واجباً ، وكان ابن زيد يقول في ذلك نحو الذي قلنا (٣)

١ - الطبري ١٧/١٩٧

٢ - سورة النحل ، الآية ٩٨

٣ - الطبري ، ١٧/٢٩٤

وقال الطبري في قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١)

قال: "إن كنتم صادقين في قبلكم أني إن جعلت خليفتي في الأرض من غيركم عَصَانِي ذرئته وأفسدوا فيها وسفكوا الدماء، وإن جعلتكم فيها أطعموني، واتبعتم أمري بالتعظيم لي والتقديس، فإنكم إن كنتم لا تعلمون أسماء هؤلاء الذين عرضتُهم عليكم من خلقي، وهم مخلوقون موجودون ترونهم وتعاينونهم، وعلمه غيركم بتعليمي إياه؛ فأنتم - بما هو غير موجود من الأمور الكائنة التي لم توجد بعدُ، وبما هو مستتر من الأمور التي هي موجودة عن أعينكم - أحرى أن تكونوا غير عالمين، فلا تسألوني ما ليس لكم به علم، فإني أعلم بما يصلحكم ويصلح خلقي.

وهذا الفعل من الله جل ثناؤه بملائكته - الذين قالوا له: ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا ﴾، من جهة عتابه جل ذكره إياهم - نظيرُ قوله جل جلاله لنبيه نوح صلوات الله عليه إذ قال: ﴿ رَبِّ إِنِّي مِنْ أُمَّةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِنِّي أُنذِرُكَ الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَيْهِمْ وَابْنِ آدَمَ الَّذِي يُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ وَأَنَا صَادِقٌ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴾ (٢) : لا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين ، فكذلك الملائكة سألت ربها أن تكون خُلفاءه في الأرض ليسبّحوه ويقدسوه فيها ، إذ كان ذرية من أخبرهم أنه جاعله في الأرض خليفةً يفسدون فيها ويسفكون الدماء ، فقال لهم جل ذكره : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، يعني بذلك: إني أعلم أن بعضكم فاتحُ المعاصي وخاتمُها، وهو إبليس - منكرًا بذلك تعالى ذكره قولهم - ثم عرفهم موضع هفوتهم في قبيلهم ما قالوا من ذلك، بتعريفهم قصور علمهم عما هم له شاهدون عيانًا فكيف بما لم يروه ولم يُخبروا عنه؟ (٣)

١ - سورة البقرة ، الآية ٣١

٢ - سورة هود الآية ٤٥

٣ - الطبري ، ١ / ٤٩٢

قال الطبري : " وقد زعم بعض نحويي أهل البصرة أن قوله: ﴿ أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ ، لم يكن ذلك ؛ لأن الملائكة ادّعوا شيئاً، إنما أخبر الله عن جهلهم بعلم الغيب، وعلمه بذلك وفضله ، فقال: أنبؤني إن كنتم صادقين ؛ كما يقول الرجل للرجل: " أنبئني بهذا إن كنت تعلم " ، وهو يعلم أنه لا يعلم ؛ يريد أنه جاهلٌ . وهذا قول إذا تدبره متدبر علم أن بعضه مُفسدٌ بعضاً، وذلك أن قائله زعم أن الله جل ثناؤه قال للملائكة - إذ عرض عليهم أهل الأسماء - : ﴿ أنبؤني بأسماء هؤلاء ﴾ ، وهو يعلم أنهم لا يعلمون ذلك ، ولا هم ادّعوا علم شيء يوجب أن يُوبّخوا بهذا القول .

وزعم أن قوله: ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ نظير قول الرجل للرجل: " أنبئني بهذا إن كنت تعلم " ، وهو يعلم أنه لا يعلم، يريد أنه جاهل .

ولا شك أن معنى قوله: ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ إنما هو: إن كنتم صادقين، إما في قولكم، وإما في فعلكم، لأن الصدق في كلام العرب، إنما هو صدق في الخبر لا في العلم ، وذلك أنه غير معقول في لغة من اللغات أن يقال: صدق الرجل بمعنى علم ، فإذا كان ذلك كذلك فقد وجب أن يكون الله جل ثناؤه قال للملائكة - على تأويل قول هذا الذي حكينا قوله في هذه الآية- : ﴿ أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ﴾ وهو يعلم أنهم غيرُ صادقين، يريد بذلك أنهم كاذبون، وذلك هو عين ما أنكره ؛ لأنه زعم أن الملائكة لم تدّع شيئاً، فكيف جاز أن يقال لهم : إن كنتم صادقين فأنبؤني بأسماء هؤلاء؟ مع خروج هذا القول - الذي حكيناه عن صاحبه - من أقوال جميع المتقدمين والمتأخرين من أهل التأويل والتفسير .

وقد حُكي عن بعض أهل التفسير أنه كان يتأول قوله: ﴿ إن كنتم صادقين ﴾ بمعنى: إذ كنتم صادقين .

ولو كانت (إن) بمعنى (إذ) في هذا الموضع لوجب أن تكون قراءتها بفتح ألفها ؛ لأن (إذ) إذا تقدّمتها فعل مُستقبل صارت علة للفعل وسبباً له ، وذلك كقول القائل: " أقوم إذ قمت " ، فمعناه أقوم من أجل أنك قمت ، والأمرُ بمعنى الاستقبال، فمعنى

الكلام - لو كانت (إن) بمعنى (إذ) - : أنبئوني بأسماء هؤلاء من أجل أنكم صادقون ، فإذا وُضعت (إن) مكان ذلك قيل: أنبئوني بأسماء هؤلاء أن كنتم صادقين، مفتوحة الألف ، وفي إجماع جميع قراء أهل الإسلام على كسر الألف من (إن)، دليل واضح على خطأ تأويل من تأول (إن) بمعنى (إذ) في هذا الموضع (١)

وقال الطبري في سبب دخول ألف الاستفهام في الآية ﴿ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أُسِحِّرُ هَذَا وَلَا يُفْحِحُ السَّاحِرُونَ ﴾ (٢)

قال الطبري : " يقول تعالى ذكره: ﴿ فلما جاءهم الحق من عندنا ﴾ ، يعني: فلما جاءهم بيان ما دعاهم إليه موسى وهارون، وذلك الحجج التي جاءهم بها، وهي الحق الذي جاءهم من عند الله ﴿ قالوا إن هذا السحرمين ﴾ ، يعنون أنه يبين لمن رآه وعايينه أنه سحر لا حقيقة له ، قال موسى لهم: ﴿ أتقولون للحق لما جاءكم ﴾ ، من عند الله ﴿ أسحر هذا ﴾ ؟ " (٣)

قال الطبري : " واختلف أهل العربية في سبب دخول ألف الاستفهام في قوله: ﴿ أسحر هذا ﴾ ؟ فقال بعض نحويي البصرة : أدخلت فيه على الحكاية لقولهم ، لأنهم قالوا: " أسحر هذا ؟ فقال : أتقولون : ﴿ أسحر هذا ﴾ ؟ (٤) وقال بعض نحويي الكوفة : إنهم قالوا : " هذا سحر" ، ولم يقولوه بالألف ؛ لأن أكثر ما جاء بغير ألف ، قال : فيقال : فلم أدخلت الألف؟ فيقال : قد يجوز أن تكون من قيلهم وهم يعلمون أنه سحر، كما يقول الرجل للجائزة إذا أتته : أحقُّ هذا ؟ وقد علم أنه حق . قال : وقد يجوز أن تكون على التعجب منهم : أسحر هذا ؟ ما أعظمه ! " (٥)

١ - الطبري ، ١ / ٤٩٣ .

٢ - سورة يونس الآية ٧٧ .

٣ - الطبري ، ١٥ / ١٥٥ .

٤ - ذكره الأخفش في معاني القرآن ، ٣٧ / ٢ .

٥ - ذكره الفراء في معاني القرآن ، ١٤٥ / ٢ .

قال الطبري : وأولى ذلك في هذا بالصواب عندي أن يكون المفعول محذوفاً، ويكون قوله: ﴿أسحر هذا﴾، من قيل موسى ، منكرًا على فرعون وملئه قولهم للحق لما جاءهم: "سحر"، فيكون تأويل الكلام حينئذ : قال موسى لهم: ﴿أتقولون للحق لما جاءكم﴾ وهي الآيات التي أتاهم بها من عند الله حجة له على صدقه : سحر ! أسحر هذا الحق الذي ترونه؟! فيكون "السحر" الأول محذوفاً ، اكتفاءً بدلالة قول موسى ﴿أسحر هذا﴾ ، على أنه مراد في الكلام، كما قال ذو الرمة : (١)

فَلَمَّا لَبِسَ اللَّيْلَ ، أَوْ حِينَ نَصَبَتْ *** لَهُ مِنْ خَدَّآ أَذَانِهَا وَهُوَ جَانِحٌ

يريد: أو حين أقبل، ثم حذف اكتفاءً بدلالة الكلام عليه، وكما قال جل ثناؤه: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ لَيْسُوا وَوُجُوهُكُمْ﴾ (٢) ، والمعنى: بعثناهم ليسوعوا وجوهكم فترك ذلك اكتفاءً بدلالة الكلام عليه، في أشباه لما ذكرنا كثيرة ، يُتَعَبُ إحصاؤها " (٣)

١ - وصف ذو الرمة حميراً ، قال ابن قتيبة : خُبِرْتُ عن الأصمعي أنه قال : أراد أو حين أقبل الليل نصبت أذانيها وكانت مسترخية والليل مائل على النهار ، المرجع أدب الكاتب لابن قتيبة ، تأليف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدينوري، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط٤ ، المكتبة التجارية - مصر ، ١٩٦٣ ، ص ١٨٢ ، والبيت في ديوانه ، شرح الخطيب التبريزي ، تقديم مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٦ هـ ، ص ٣١٣ .

٢ - الإسراء الآية ٧ .

٣ - الطبري ١٥ / ١٥٦ .

الباب الثالث

الجهود النحوية للطبري

الفصل الأول : في تفسير المفردات وذكر استعمالاتها .

الفصل الثاني: في تفسير الجمل وذكر إعرابها .

الفصل الأول
في تفسير المفردات وذكر استعمالاتها
المبحث الأول
في سورة البقرة
المطلب الأول

القول في (إلى) في الآية : ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ﴾

أولاً: تفسير الآية :

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ (١) ، قال : " وهذه الآية نظيرة الآية الأخرى التي أخبر الله جل ثناؤه فيها عن المنافقين بخداعهم الله ورسوله والمؤمنين، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٢)، ثم أكذبهم تعالى ذكره بقوله: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ، وأنهم بقليلهم ذلك يخادعون الله والذين آمنوا ، وكذلك أخبر عنهم في هذه الآية أنهم يقولون - للمؤمنين المصدقين بالله وكتابه ورسوله - بألسنتهم: آمنا وصدقنا بمحمد وبما جاء به من عند الله، خداعاً عن دمائهم وأموالهم وذرائعهم، ودرءاً لهم عنها، وأنهم إذا خلوا إلى مردتهم وأهل العنوت والشر والخبث منهم ، ومن سائر أهل الشرك الذين هم على مثل الذي هم عليه من الكفر بالله وبكتابه ورسوله - وهم شياطينهم وقد دللنا فيما مضى من كتابنا على أن شياطين كل شيء مردته - قالوا لهم: " إنا معكم "، أي إنا معكم على دينكم، وظهراؤكم على من خالفكم فيه، وأولياؤكم دون أصحاب محمد ﷺ ، ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ بالله وبكتابه ورسوله وأصحابه ". (٣)

١ - سورة البقرة الآية ١٤

٢ - سورة البقرة ، من الآية ٨

٣ - تفسير الطبري ، ٢٩٦/١

ثانياً : القول في (إلى) في الآية :

قال الطبري : " فإن قال لنا قائل : أرأيتَ قوله : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾ ؟ فكيف

قيل : ﴿ خلوا إلى شياطينهم ﴾ ، ولم يقل خلّوا بشياطينهم؟ فقد علمتَ أنّ الجاري بين الناس في كلامهم : " خلوتُ بفلان " أكثر وأفشى من : " خلوتُ إلى فلان " ؛ ومن قولك : إن القرآن أفصح البيان ! قيل : قد اختلف في ذلك أهل العلم بلغة العرب ، فكان بعض نحويي البصرة يقول : يقال : " خلوتُ إلى فلان " إذا أريدَ به : خلوتُ إليه في حاجة خاصة ، لا يحتمل - إذا قيل كذلك - إلا الخلاء إليه في قضاء الحاجة ، فأما إذا قيل : " خلوتُ به " احتمل معنيين : أحدهما الخلاء به في الحاجة ، والآخر في السخرية به ، فعلى هذا القول : ﴿ وإذا خلّوا إلى شياطينهم ﴾ ، لا شكّ أفصح منه لو قيل : " وإذا خلوا بشياطينهم " ، لما في قول القائل : " إذا خلوا بشياطينهم " من التباس المعنى على سامعيه ، الذي هو مُنتَفٍ عن قوله : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾ ، فهذا أحد الأقوال .

والقول الآخر : فأن توجّه معنى قوله : ﴿ وإذا خلوا إلى شياطينهم ﴾ ، " وإذا خلوا مع شياطينهم " ، إذ كانت حروف الصّفات يُعاقبُ بعضها بعضاً ، كما قال الله مخبراً عن عيسى ابن مريم أنه قال للحواريين : ﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (١) يريد : مع الله ، وكما توضع (على) في موضع : (من) و(في) و(عن) و(الباء) ، كما قال الشاعر :
(٢)

١ - سورة الصف من الآية ١٤ .

٢ - البيت للقحيف العقيلي بن خمير بن سليم العقيلي ، نحو ١٣٠ هـ - نحو ٧٤٧ م ، شاعر عده الجمحي في الطبقة العاشرة من الإسلاميين ، وكان معاصراً لذي الرمة ، له تشبيب بمحبوبته خرقاء ، وعاش إلى ما بعد يوم " الفلج " الذي قتل فيه يزيد ابن الطثرية سنة ١٢٦ هـ ورثاه ، وشعره مجموع في " ديوان " صغير ، الأعلام ، ١٩١/٥ . والبيت من شواهد النحويين في مجيء (على) بمعنى (عن) ، انظر : شرح ابن عقيل ، تأليف : بهاء الدين عبد

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ *** لَعَمْرُ اللَّهِ أَعَجَبَنِي رِضَاهَا

بمعنى عني (١)

وأما بعض نحويي أهل الكوفة فإنه كان يتأول أن ذلك بمعنى: وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا صرفوا خلاءهم إلى شياطينهم ، فيزعم أن الجالب لـ (إلى)، المعنى الذي دلّ عليه الكلامُ : من انصرافِ المنافقين عن لقاء المؤمنين إلى شياطينهم خالين بهم ، لا قوله " خلوا " .

وعلى هذا التأويل لا يصلح في موضع (إلى) غيرها ، لتغير الكلام بدخول غيرها من الحروف مكانها.

قال الطبري: "وهذا القول عندي أولى بالصواب ؛ لأن لكل حرف من حروف المعاني وجهاً هو به أولى من غيره ، فلا يصلح تحويل ذلك عنه إلى غيره إلا بحجة يجب التسليم لها.

ولـ (إلى) في كل موضع دخلت من الكلام حُكْم، وغيرُ جائز سلْبُها معانيها في أماكنها.

التعليق : اختار الطبري هذا القول وفقاً لمنهجه السائد في تفسيره وهو اعتداده بأصالة اللفظ القرآني ، ولهذا يرى أن الحرف ينبغي أن يوجه إلى المعنى الذي وُضع له في كلام العرب ، ولا يصح عنده تغيير معنى الحرف إلى معنى آخر ، إلا بحجة يجب التسليم لها وفي هذه الآية لا توجد حجة ظاهرة يجب التسليم بها ؛ ولذلك يرى الطبري أن حرف الجر (إلى) موجه إلى معناه الذي عرف به وهو انتهاء الغاية ، وهو الذي أولى بالصواب .

وقد وافق أبو حيان قول الطبري وإن لم يشر إليه صراحة بقوله في الآية : " ويتعدى خلا بـ (الباء) وبـ (إلى) ، والباء أكثر استعمالاً ، وعدل إلى (إلى) ؛ لأنها إذا عدت بالباء احتملت معنيين : أحدهما : الانفراد ، والثاني : السخرية ،

الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث القاهرة ، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه ، ط ٢٠٠٢ ، ١٤٠٠ هـ ، ٣ / ٢٥ .

١ - قول الأخفش في معاني القرآن ، ٣٦ / ١ .

إذ يقال في اللغة : خلوت به ، أي سخرت منه ، و(إلى) لا تحتل إلا معنى واحداً ، و(إلى) هنا على معناها من انتهاء الغاية على معنى تضمين الفعل ، أي صرفوا خلاهم إلى شياطينهم ... ، وقيل : (إلى) بمعنى (الباء) ؛ لأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض، وهذا ضعيف، إذ نيابة الحرف عن الحرف لا يقول بها سيبويه، والخليل " (١).

وقد أجاز الألويسي في تفسيره في الآية: ﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾ احتمال أن يكون من خلوت به أي سخرت منه فمعنى الآية إذا أنها السخرية معهم وحدثهم كما يقال أحمد إليك فلانا وأذمه إليك... " (٢)

المطلب الثاني

القول في (إذ) في الآية : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾

أولاً : تفسير الآية :

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَيَحْنُ نُسُخُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣)

" ... فكان في قوله تعالى ذكره : ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾ (٤)، معنى: اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم، إذ خلقتكم ولم تكونوا شيئاً، وخلقت لكم ما في الأرض جميعاً، وسويت لكم ما في السماء، ثم عطف بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ على المعنى المقتضى بقوله: ﴿كيف تكفرون بالله﴾، إذ

١ - تفسير البحر المحيط ، ٢٠١/١ .

٢ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تأليف : محمود الألويسي أبو

الفضل ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٥٧/١

٣ - سورة البقرة ، الآية ٣٠

٤ - سورة البقرة ، الآية ٢٨

كان مقتضياً ما وصفتُ من قوله: اذكروا نعمتي إذ فعلت بكم وفعلتُ، واذكروا فعلني بأبيكم آدم إذ قلتُ للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفةً: أي مستخلف في الأرض خليفةً، ومُصَيِّرٌ فيها خَلَفًا" (١)

ثانياً : القول في تأويل قوله : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾

قال الطبري : " زعم بعض المنسوبين إلى العلم بلغات العرب من أهل البصرة أن تأويل قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾، وقال ربك ؛ وأن (إِذ) من الحروف الزوائد، وأن معناها الحذف (٢)

واعتلّ لقوله الذي وصفنا عنه في ذلك ببيت الأسود بن يَعْفَر: (٣)
فَإِذَا وَذَلِكَ لَامَهَاةَ لِدِكْرِهِ *** وَالذَّهْرُ يُعَقِّبُ صَالِحًا بِفَسَادٍ
ثم قال: ومعناها: وذلك لامهاة لذكره (٤) حذف إذا، وبيت عبد مناف بن رِبْع الهذلي: (٥)

١ - الطبري ، ٤٤٨/١

٢ - قاله أبو عبيدة وتبعه ابن قتيبة ، انظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، توفي ٩١١هـ ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، الناشر المكتبة التوفيقية ، لا ط ، لات ، ١٧٧/٢

٣ - الأسود بن يعفر النهشلي الدارمي التميمي (نحو ٢٢ ق هـ - نحو ٦٠٠ م)، أبو نهشل، وأبو الجراح: شاعر جاهلي، من سادات تميم ، من أهل العراق ، كان فصيحاً جواداً ، نادى النعمان بن المنذر، ولما أسن كف بصره ، ويقال له (أعشى بني نهشل) ، أشهر شعره داليتة التي مطلعها: (نام الخلي وما أحس رقادي *** والهـم محتضر لدي وسادي) ، الأعلام ، ٣٣٠/١ .

٤ - يقال : وما في فلان مهارة ومهارة أي لا خير فيه ولا طائلَ عنده ، المخصص، لابن سيده ، تأليف: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م ، ط ١ ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، ١٢٠/٥

٥ - عبد مناف بن ربيع (بكسر الراء وسكون الباء) الجربي، من هذيل: شاعر جاهلي، نسبته إلى جريب (كقريش) وهو بطن من هذيل، أورد البغدادي قصيدة له ذكر فيها يوم (أنف) من أيام الجاهلية، بين هذيل وبني ظفر من سليم ، الأعلام / ٤ / ١٦٦ .

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قَتَائِدَةٍ *** شَلَا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرْدَا

وقال: معناه، حتى أسلكوهم (١)

قال الطبري: والأمر في ذلك بخلاف ما قال: وذلك أن (إذا) حرف يأتي بمعنى الجزاء ويدل على مجهول من الوقت ، وغيرُ جائز إبطال حرف كان دليلاً على معنى في الكلام، إذ سواء قيل قائل: هو بمعنى التطوّل (الزيادة) ، وهو في الكلام دليل على معنى مفهوم ، وقيل آخر في جميع الكلام الذي نطق به دليلاً على ما أريد به: وهو بمعنى التطوّل .

وليس لما ادّعى الذي وصفنا قوله في بيت الأسود بن يعفر: أن (إذا) بمعنى التطوّل ، وجه مفهوم ، بل ذلك لو حذف من الكلام لبطل المعنى الذي أراده الأسود بن يعفر من قوله: فَإِذَا وَذَلِكَ لَامَهَاءَ لَذِكْرِهِ ، وذلك أنه أراد بقوله: فإذا الذي نحن فيه، وما مضى من عيشنا ، وأشار بقوله (ذلك) إلى ما تقدم وصفه من عيشه الذي كان فيه "لامهاه لذكراه" يعني لا طعم له ولا فضل، لإعقاب الدهر صالح ذلك بفساد، وكذلك معنى قول عبد مناف بن ربیع :

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قَتَائِدَةٍ *** شَلَا كَمَا تَطْرُدُ الْجَمَالَ الشُّرْدَا

لو أسقط منه (إذا) بطل معنى الكلام ؛ لأن معناه : حتى إذا أسلكوهم في قَتَائِدَةٍ سلکوا شلا فدل قوله "أسلكوهم شلا" على معنى المحذوف، فاستغنى عن ذكره بدلالة (إذا) عليه، فحذف ، كما دلّ ، ما قد ذكرنا فيما مضى من كتابنا على ما تفعل العرب في نظائر ذلك ، وكما قال النمر بن تولب (٢):

١ - المعنى : وصف قوماً هزموا، حتى إذا أدخلوا في قَتَائِدَةٍ (اسم موضع) ، وجعل المنهزمين كالشُرد، واحدهم شريد، كطريق وطرق، وإذا كانوا شرداً، فكيف بهم، إذا طردوا، والشل: الطرد.

٢ - النمر بن تولب بن زهير بن أقيش العكلي (نحو ١٤ هـ - نحو ٦٣٥ م): شاعر مخضرم. عاش عمراً طويلاً في الجاهلية، وكان فيها شاعر "الرباب" ولم يمدح أحداً ولا هجا. وكان من ذوي النعمة والوجاهة، جواداً وهاياً لماله، يشبه شعره بشعر حاتم الطائي، أدرك الإسلام وهو كبير السن، ووفد على النبي صلى الله عليه وسلم فكتب عنه كتاباً لقومه، الأعلام ٨ /

فَإِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَاهَا *** فَسَوْفَ تُصَادِفُهُ أَيَّنَمَا

وهو يريد: أينما ذهب ، وكما تقول العرب : " أتيتك من قبل ومن بعد " تريد من قبل ذلك ومن بعد ذلك ، فكذلك ذلك في (إذا) كما يقول القائل: " إذا أكرمك أخوك فأكرمه، وإذا لا فلا " يريد: وإذا لم يكرمك فلا تكرمه ، ومن ذلك قول الآخر: (١)
فَإِذَا وَذَلِكَ لَا يَضُرُّكَ ضُرُّهُ *** فِي يَوْمٍ أَسْأَلُ نَائِلًا أَوْ أَنْكَدُ

نظير ما ذكرنا من المعنى في بيت الأسود بن يعفر، وكذلك معنى قول الله جل ثناؤه: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ (٢)، لو أَبْطَلت (إِذ) وَحُدِفَت من الكلام، لاستحال عن معناه الذي هو به ، وفيه (إِذ)، فإن قال لنا قائل: فما معنى ذلك ؟ وما الجالب لـ(إِذ)، إذ لم يكن في الكلام قبله ما يُعطف به عليه ؟ قيل له: قد ذكرنا فيما مضى : أن الله جل ثناؤه خاطب الذين خاطبهم بقوله: ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ (٣)، بهذه الآيات والتي بعدها، مُؤَبِّخهم مقبلاً إليهم سوءَ فعالهم ومقامهم على ضلالهم، مع النعم التي أنعمها عليهم وعلى أسلافهم ؛ ومذكراًهم بتعدد نعمه عليهم وعلى أسلافهم ،... فكان مما عدّد من نعمه عليهم أنه خلق لهم ما في الأرض جميعاً ... وكان قوله: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾ مع ما بعده من النعم التي عدّدها عليهم ونبّههم على مواقعها رَدَّ (إِذ) على موضع ﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ ؛ لأن معنى ذلك: اذكروا هذه من نعمي، وهذه التي قلت فيها للملائكة " (٤)

التعليق : ذكر ابن هشام الأنصاري في المغني أربعة أوجه لـ(إِذ) ، منها : أن تكون اسماً للزمن الماضي وذكر لها أربعة استعمالات منها: أن تكون ظرفاً وهو الغالب نحو ﴿ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (٥) ، والثاني أن تكون مفعولاً به نحو

١ - لم أعرف قائله .

٢ - سورة البقرة من الآية ٣٠

٣ - سورة البقرة ، الآية ٢٨

٤ - الطبري ، ٤٤٤/١

٥ - سورة التوبة من الآية ٤٠

﴿ واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم ﴾ (١) ، والغالب على المذكورة في أوائل القصص في التنزيل أن تكون مفعولاً به بتقدير اذكر نحو : ﴿ واذ قال ربك للملائكة ﴾ ﴿ واذ قلنا للملائكة ﴾ ﴿ واذ فرقنا بكم البحر ﴾ (٢) وهو ما ذهب إليه الطبري في تفسيره .
 وذكر ابن هشام لـ (إذ) معنيان آخران : أحدهما التوكيد وذلك بأن تحمل على الزيادة قاله أبو عبيدة وتبعه ابن قتيبة وحملوا عليه آيات منها ﴿ واذ قال ربك للملائكة ﴾ . والثاني : التحقيق كـ (قد) وحملت عليه الآية وليس القولان بشيء " (٣)

المطلب الثالث

القول في (أو) في الآية : ﴿ فِيهِ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾

أولاً : تفسير الآية :

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْتَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٤)

" يعني بذلك كفار بني إسرائيل، وهم - فيما ذكر - بنو أخي المقتول، فقال لهم: ﴿ ثم قست قلوبكم ﴾ : أي جفت وغلظت وعست، كما قال الراجز: وقد قسوت وقسا لداتي (١)

١ - سورة الأعراف ، من الآية ٨٦

٢ - سورة البقرة من الآية ٥٠

٣ - مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تأليف: جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، تحقيق : د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، ط٦ ، دار الفكر بيروت

، ١٩٨٥ م ، ١ / ١١٤

٤ - سورة البقرة ، الآية ٧٤

يقال: (قسا) و(عسا) و(عتا) بمعنى واحد، وذلك إذا جفا وغلظ وصلب ، يقال: منه : قسا قلبه يقسو قسوا وقسوة وقساوة وقساء .

ويعني بقوله: ﴿من بعد ذلك﴾ ، من بعد أن أحيا المقتول لهم الذي ادارعوا في قتله، فأخبرهم بقاتله ، وبالسبب الذي من أجله قتله ...، وكانت قساوة قلوبهم التي وصفهم الله بها، أنهم - فيما بلغنا - أنكروا أن يكونوا هم قتلوا القتل الذي أحياه الله ، فأخبر بني إسرائيل بأنهم كانوا قتلته ، بعد إخباره إياهم بذلك، وبعد ميته الثانية كما حدثني محمد بن سعد ، قال: حدثني أبي ، قال: حدثني عمي ، قال: حدثني أبي: عن أبيه: عن ابن عباس قال: " لما ضرب المقتول ببعضها - يعني ببعض البقرة - جلس حياً، فقيل له: من قتلك؟ فقال: بنو أخي قتلوني ، ثم قبض فقال بنو أخيه حين قبض: والله ما قتلناه ! فكذبوا بالحق بعد إذ رأوه، فقال الله: ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك﴾ فهي كالحجارة أو أشد قسوة " (٢)

ثانياً: قول الطبري في (أو) في الآية :

قال الطبري : "فإن سأل سائل فقال: وما وجه قوله: ﴿فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ ، و (أو) عند أهل العربية، إنما تأتي في الكلام لمعنى الشك ، والله تعالى جل ذكره غير جائز في خبره الشك ؟ قيل: إن ذلك على غير الوجه الذي توهمته من أنه شك من الله جل ذكره فيما أخبر عنه ، ولكنه خبر منه عن قلوبهم القاسية أنها - عند عباده الذين هم أصحابها الذين كذبوا بالحق بعد ما رأوا العظيم من آيات الله - كالحجارة قسوة أو أشد من الحجارة ، عندهم وعند من عرف شأنهم .

وقد قال في ذلك جماعة من أهل العربية أقوالاً ، فقال بعضهم: إنما أراد الله جل ثناؤه بقوله: ﴿فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ ، وما أشبه ذلك من الأخبار التي تأتي

١ - لم أعرف قاتله ، واللدة بالكسر: التربُّ ، وهو الذي يُولد معك في وقتٍ واحد والجمع

لِدَاتٌ ، معجم تاج العروس ، مادة (ولد) .

٢ - الطبري ، ٢ / ٢٣٥ .

—(أو) ، كقوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ (١) ، وكقول الله جل ذكره: ﴿وَإِنَّا أَوْأِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢) (الإبهام على من خاطبه) فهو عالم أي ذلك كان قالوا : ونظير ذلك قول القائل: أكلت بسرة أو رطبة، وهو عالم أي ذلك أكل، ولكنه أبهم

على المخاطب ، كما قال أبو الأسود الدؤلي : (٢)

أَحِبُّ مُحَمَّدًا حُبًّا شَدِيدًا * * * وَعَبَّاسًا وَحَمْنَزَةَ

والوصايا

فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْدًا أُصِيبَهُ * * * وَلَسْتُ بِمُخْطِئٍ إِنْ كَانَ غِيًّا

قالوا: ولا شك أن أبا الأسود لم يكن شاكا في أن حب من سمى - رَشَدَ ؛ ولكنه أبهم على من خاطبه به ، وقد ذكر عن أبي الأسود أنه لما قال هذه الأبيات قيل له: شككت! فقال: كلا والله ! ثم انتزع بقول الله عز وجل: ﴿وَإِنَّا أَوْأِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ، فقال: أو كان شاكا - من أخبر بهذا - في الهادي من الضلال.

وقال بعضهم: ذلك كقول القائل: "ما أطعمتك إلا حلوا أو حامضا"، وقد أطعمه النوعين جميعا، فقالوا: فقائل ذلك لم يكن شاكا أنه قد أطعم صاحبه الحلو والحامض كليهما، ولكنه أراد الخبر عما أطعمه إياه أنه لم يخرج عن هذين النوعين. قالوا : فكذلك قوله: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ ، إنما معناه: فقلوبهم لا تخرج من أحد هذين المتثلين، إما أن تكون مثلا للحجارة في القسوة، وإما أن تكون

١ - سورة الصافات ، الآية ١٤٧ .

٢ - سورة سبأ ، الآية ٢٤ .

٣ - أبو الأسود الدؤلي هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني: (١ ق هـ - ٦٩ هـ - ٦٠٥ - ٦٨٨ م) ، واضع علم النحو وكان معدودا من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان الحاضري الجواب من التابعين ، الأعلام ٣ / ٢٣٧ .

أشد منها قسوة ، ومعنى ذلك على هذا التأويل: فبعضها كالحجارة قسوة ، وبعضها أشد قسوة من الحجارة .

وقال بعضهم: (أو) في قوله: ﴿أشد قسوة﴾ ، بمعنى، وأشد قسوة (١)، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾ (٢) بمعنى: وكفورا، وكما قال جرير بن عطية (٣)

نالَ الخِلافةَ أوْ كانتَ له قدرًا *** كما أتى ربّه موسى على قدرٍ

يعني: نال الخِلافة، وكانت له قدرا ، وكما قال النابغة: (٤)

قالت : ألا ليئمتما هذا الحمامُ أنا *** إلى حمامتنا أو نصفه فـ

وقال آخرون: (أو) في هذا الموضع بمعنى (بل)، فكان تأويله عندهم: فهي كالحجارة بل أشد قسوة، كما قال جل ثناؤه: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألفٍ أو يزيدون﴾ (٥)، بمعنى: بل يزيدون .

وقال آخرون معنى ذلك : فهي كالحجارة أو أشد قسوة عندكم .

١ - انظر معاني القرآن للأخفش ، ١ / ١١٥ .

٢ - سورة الإنسان الآية ٢٤ .

٣ - جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي بن بدر الكلبى اليربوعي، من تميم: (٢٨ - ١١٠ هـ - ٦٤٠ - ٧٢٨ م) أشعر أهل عصره ، ولد ومات في اليمامة، وعاش عمره كله يناضل شعراء زمنه ويساجلهم ، وكان هجاءا مرا ، فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل ، وكان عفيفا، وهو من أغزل الناس شعرا ، الأعلام ١١٩/٢ ، والبيت في ديوانه برواية (إذ كانت) ، ص ٢١١ .

٤ - زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة (نحو ١٨ ق هـ - نحو ٦٠٤ م) : شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها ، الأعلام ٣ / ٥٥ ، والبيت في ديوانه ، تحقيق محمد أبو الفضل ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، دار المعارف ، ص ٢٤ ،

٥ - سورة الصافات ، الآية ١٤٧

قال الطبري : ولكل مما قيل من هذه الأقوال التي حكينا وجه ومخرج في كلام العرب ، غير أن أعجب الأقوال إلي في ذلك ما قلناه أولاً ثم القول الذي ذكرناه عن وجه ذلك إلى أنه بمعنى فهي أوجه في القسوة : إما أن تكون كالحجارة ، أو أشد ، على تأويل أن منها كالحجارة ، ومنها أشد قسوة ؛ لأن (أو) وإن استعملت في أماكن من أماكن (الواو) حتى يلتبس معناها ومعنى (الواو) لتقارب معنيهما في بعض تلك الأماكن - فإن أصلها أن تأتي بمعنى أحد الاثنين ، فتوجيهها إلى أصلها - ما وجدنا إلى ذلك سبيلاً أعجب إلي من إخراجها عن أصلها ، ومعناها المعروف لها .

التعليق : عرض الطبري آراء النحويين في معنى (أو) واختار منها (أو) التي بمعنى التنويع ، وقد وجهها إلى أصلها بمعنى أحد الاثنين وهي أعجب الأقوال عنده ، من معنى (الواو) أو (بل) .

وقد وافق أبو حيان الطبري بقوله في الآية : ﴿ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ، فقال : (أو) : بمعنى الواو ، أو بمعنى (أو) للإبهام ، أو للإباحة ، أو للشك ، أو للتخيير ، أو للتنويع ، أقوال : وذكر المفسرون مثلاً لهذه المعاني ، والأحسن القول الأخير وكان قلوبهم على قسمين : قلوب كالحجارة قسوة ، وقلوب أشد قسوة من الحجارة ، فأجمل ذلك في قوله ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ ، ثم فصل ونوع إلى مثبه بالحجارة ، وإلى أشد منها ، إذ ما كان أشد ، كان مشاركاً في مطلق القسوة ، ثم امتاز بالأشدية ، وانتصاب قسوة على التمييز " (١)

ووافق الإمام النسفي الطبري بقوله : " يعني أن من عرف حالها شبهها بالحجارة (أو) بجوهر أفسى منها وهو الحديد مثلاً ، أو من عرفها شبهها بالحجارة (أو) قال هي أفسى من الحجارة " (٢)

١ - تفسير البحر المحيط ، ١ / ٤٢٨

٢ - تفسير النسفي ، تأليف : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعار ، دار النفائس ، بيروت ٢٠٠٥ ، ١ / ٧٢

وقال الطبري القول نفسه في قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فِجَاءَهَا بِأَسْنَانِ بَيِّنَاتٍ أَوْهُمْ

قَاتِلُونَ ﴾ (١)

أولاً : تفسير الآية :

قال : " قول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : حذر هؤلاء العابدين غيري، والعادلين بي الآلهة والأوثان، سخطي لا أحلّ بهم عقوبتي فأهلكهم، كما أهلكت من سلك سبيلهم من الأمم قبلهم، فكثيراً ما أهلكت قبلهم من أهل قرى عصوني وكذبوا رسلي وعبدوا غيري ﴿ فجاءها بأسنا بيئاتاً ﴾، يقول: فجاءتهم عقوبتنا ونقمتنا ليلاً قبل أن يصبحوا أو جاءتهم " قائلين " ، يعني: نهاراً في وقت القائلة " (١)

ثانياً : القول في (أو) في الآية :

" فإن قال: وكيف قيل: ﴿ فجاءها بأسنا بيئاتاً أوهم قائلون ﴾ ، وقد علمت أن الأغلب

من شأن (أو) في الكلام، اجتلابُ الشك، وغير جائز أن يكون في خبر الله شك ؟ قيل: إن تأويل ذلك خلافُ ما إليه ذهبَ ، وإنما معنى الكلام: وكم من قرية أهلكناها فجاء بعضها بأسنا بيئاتاً وبعضها وهم قائلون، ولو جعل مكان (أو) في هذا الموضع (الواو)، لكان الكلام كالمحال، ولصار الأغلب من معنى الكلام: أن القرية التي أهلكها الله جاءها بأسه بيئاتاً وفي وقت القائلة ، وذلك خبرٌ عن البأس أنه أهلك من

١ - سورة الأعراف ، الآية ٤

٢ - الطبري ، ١٢ / ٢٩٩

قد هلك وأفنى من قد فني ، وذلك من الكلام خَلْفٌ (١) ولكن الصحيح من الكلام هو ما جاء به التنزيل، إذ لم يفصل القرى التي جاءها البأس بيئاتاً، من القرى التي جاءها ذلك قائلةً ، ولو فصلت، لم يخبر عنها إلا بالواو" (٢)

المطلب الرابع

القول في (أَوْ) في قوله تعالى : ﴿أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا﴾

أولاً: تفسير الآية :

قال الطبري في قوله تعالى: ﴿أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ لِيُؤْمِنُوا﴾ (٣) "... وأما (العهد)، فإنه الميثاق الذي أعطته بنو إسرائيل ربهم ليعملن بما في التوراة مرة بعد أخرى، ثم نقض بعضهم ذلك مرة بعد أخرى ، فوبخهم جل ذكره بما كان منهم من ذلك، وعير به أبناءهم إذ سلكوا منهاجهم في بعض ما كان جل ذكره أخذ عليهم بالإيمان به من أمر محمد ﷺ من العهد والميثاق ، فكفروا وجدوا ما في التوراة من نعته وصفته، فقال تعالى ذكره: أو كلما عاهد اليهود من بني إسرائيل ربهم عهدا وأوتقوه ميثاقا، نبذه فريق منهم، فتركه ونقضه ؟" (٤)

ثانياً: القول في (أَوْ) في الآية :

قال الطبري: اختلف أهل العربية في حكم (الواو) التي في قوله: ﴿أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا﴾

، فقال بعض نحويي البصرة : هي (واو) تجعل مع حروف الاستفهام وهي مثل (الفاء) في قوله: ﴿أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ (٥) قال: وهما

١ - أي : خلاف القول

٢ - الطبري ، ١٢ / ٣٠٢

٣ - سورة البقرة الآية ، ١٠٠

٤ - الطبري ، ٢ / ٤٠٠

٥ - سورة البقرة الآية ، ٨٧

زائدتان في هذا الوجه وهي مثل (الفاء) التي في قوله: فالله لتصنعن كذا وكذا، وكقولك للرجل: "أفلا تقوم" ؟ ، وإن شئت جعلت (الفاء) و(الواو) هاهنا حرف عطف.

وقال بعض نحويي الكوفيين: هي حرف عطف أدخل عليها حرف الاستفهام. والصواب في ذلك عندي من القول أنها (واو) عطف، أدخلت عليها (ألف) الاستفهام، كأنه قال جل ثناؤه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ، خذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ وكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم ، ثم أدخل (ألف) الاستفهام على "وكلما" فقال: قالوا سمعنا وعصينا، أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم (١)

قال الطبري: " وقد بينا فيما مضى أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله حرف لا معنى له، فأعنى ذلك عن إعادة البيان على فساد قول من زعم أن (الواو) و(الفاء) من قوله: ﴿أَوْكَلِمَا﴾ و﴿أَفَكَلِمَا﴾ زائدتان لا معنى لهما" (٢)

التعليق: اختلف النحويون في هذه (الواو) التي دخلت عليها همزة الاستفهام ، ولخص السمين الحلبي هذا الاختلاف إلى ثلاثة أقوال ، فقال: "... واختلف النحويون في ذلك على ثلاثة أقوال ، فقال الأخفش: إنَّ الهمزة للاستفهام والواو زائدة ، وهذا على رأيه في جواز زيادتها ، وقال الكسائي: هي (أَوْ) العاطفة التي بمعنى بل ، وإنما حُرِّكَتِ الواوُ ، وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَهَا سَاكِنَةً ، وقال البصريون: هي واوُ العطفِ قُدِّمَتْ عليها همزةُ الاستفهامِ على ما عُرِفَ ، وقد تقدّم أنّ الزمخشري يُقَدِّرُ بينَ الهمزة وحرفِ العطف شيئاً يَعْطِفُ عليه ما بعده ، لذلك قَدَّرَهُ هنا: أَكْفَرُوا بِالآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَكَلَّمَا عَاهَدُوا" (٣)

١ - الطبري ، ٢ / ٢٠٠

٢ - المرجع السابق ، والصفحة نفسها

٣ - الدر المصون ، ١ / ٢٦٢

ووافق أبو حيان الطبري بقوله : " واختلف في هذه الواو ف قيل : هي زائدة قاله الأَخفش ، وقيل : هي أو الساكنة الواو وحركت بالفتح وهي بمعنى بل ، قاله الكسائي ، وكلا القولين ضعيف ، وقيل : واو العطف ، وهو الصحيح " . (١)

وقول الأَخفش : "إن الهمزة للاستفهام والواو زائدة" هو القول الذي نسبه الطبري لبعض البصريين ، وهو دليل على الاختلاف في المذهب الواحد ، ويمكن القول أن الطبري وافق قول بعض البصريين وقول بعض الكوفيين .

ووافق الإمام القرطبي الطبري بقوله في الآية : ﴿ أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا ﴾ قال : الواو واو العطف ، دخلت عليها ألف الاستفهام كما تدخل على الفاء في قوله : ﴿ أَفَأَنْتُمْ أَجَاهِلِيَّةٌ ﴾ (٢) ، ﴿ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصُّمَّ ﴾ (٣) ، ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ ﴾ (٤) ، وعلى (ثم) كقوله : ﴿ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ﴾ (٥) هذا قول سيبويه " (٦)

١ - البحر المحيط ، ١ / ٤٩٢

٢ - سورة المائدة من الآية ٥٠ .

٣ - سورة الزخرف من الآية ٤٠

٤ - سورة الكهف من الآية ٥٠

٥ - سورة يونس ، من الآية ٥١

٦ - الجامع لأحكام القرآن ، تأليف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ) ، تحقيق : أحمد البردوني ، وإبراهيم أطيّش ، دار الكتب المصرية القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٨٤ هـ ، ٢ / ٣٩ .

المطلب الخامس

القول في (أم) في الآية : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ﴾

أولاً: التفسير :

قال الطبري في تفسير الآية : ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَبَدِّلُ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (١) : " اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية ، فقال بعضهم : لرسول الله ﷺ: ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه ، وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك! فأنزل الله في ذلك من قولهما : الآية ، وقال آخرون : أن يريهم الله جهرة ، وقال آخرون : سألت قريش محمداً أن يجعل لهم الصفا ذهباً، فقال: نعم ! وهو لكم كالمائدة لبنى إسرائيل إن كفرتم! فأبوا ورجعوا، فأنزل الله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ ، ... قال الطبري : أتريدون أيها القوم أن تسألوا رسولكم من الأشياء نظير ما سأل قوم موسى من قبلكم فتكفروا - إن منعتموه - بمسألتكم ما لا يجوز في حكمة الله إعطاؤكموه ، أو أن تهلكوا إن كان مما يجوز في حكمته إعطاؤكموه فأعطاكموه ، ثم كفرتم من بعد ذلك كما هلك من كان قبلكم من الأمم التي سألت أنبياءها ما لم يكن لها مسألتها إياهم، فلما أعطيت كفرت، فعوجلت بالعقوبات لكفرها بعد إعطاء الله إياها سؤلها" (٢)

ثانياً: القول في (أم) في الآية :

قال الطبري : " اختلف أهل العربية في معنى (أم) التي في قوله: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ﴾ ، فقال بعض نحويي البصرة: هي بمعنى الاستفهام ، وتأويل الكلام: أتريدون أن تسألوا رسولكم؟ (٣)، وقال آخر منهم : هي بمعنى استفهام مستقبل منقطع من

١ - البقرة ، الآية ١٠٨

٢ - تفسير الطبري ، ٢/٢٩٤

٣ - هذا القول نسبه السيوطي لأبي عبيدة ، انظر: همع الهوامع ، ٣/٢١٠ .

الكلام، كأنك تميل بها إلى أوله، كقول العرب: إنها لإبل يا قوم أم شاء ، ولقد كان كذا وكذا أم حدس نفسي؟" قال: وليس قوله: ﴿أم تريدون﴾ على الشك، ولكنه قاله ليقبح له صنيعهم ، واستشهد لقوله ذلك ببيت الأخطل: (١)

كَذَبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطٍ *** غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرَّبَابِ خِيَالًا

وقال بعض نحويي الكوفة (٢): إن شئت جعلت قوله: ﴿أم تريدون﴾ استفهاما على كلام قد سبقه ، كما قال جل ثناؤه: ﴿الم نَزِيلُ الْكِتَابِ لَارِيبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ (٣)، فجاءت (أم) وليس قبلها استفهام، فكان ذلك عنده دليلا على أنه استفهام مبتدأ على كلام سبقه ...، فلو ابتدأت كلاما ليس قبله كلام ثم استفهمت، لم يكن إلا بـ(الألف) أو بـ(هل) ، قال : وإن شئت قلت في قوله : ﴿أم تريدون﴾ قبله استفهام ، فرد عليه وهو في قوله : ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾ (٤)

قال الطبري: "والصواب من القول في ذلك عندي، على ما جاءت به الآثار التي ذكرناها عن أهل التأويل: أنه استفهام مبتدأ، بمعنى: أتريدون أيها القوم أن تسألوا رسولكم؟ وإنما جاز أن يستفهم القوم بـ(أم)، وإن كانت (أم) أحد شروطها أن تكون نسقا في الاستفهام لتقدم ما تقدمها من الكلام؛ لأنها تكون استفهاما مبتدأ إذا تقدمها سابق من الكلام ، ولم يسمع من العرب استفهام بها ولم يتقدمها كلام ،

١ - الأخطل غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ابن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك (١٩ - ٩٠ هـ - ٦٤٠ - ٧٠٨ م): شاعر، مصقول الألفاظ حسن الديباجة في شعره إبداع، اشتهر في عهد بني أمية بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم ، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم : جرير، والفرزدق، والأخطل ، الأعلام ١٢٣/٥ ، والبيت في ديوانه ، قدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ ، ص ٢٤٥ .

٢ - قول الفراء في معاني القرآن ، ٦٥/١ .

٣ - السجدة الآية ١-٣ .

٤ - هذا نص الفراء في معاني القرآن ٦٥/١

ونظيره قوله جل ثناؤه: ﴿الم تنزل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه﴾ (١) وقد تكون (أم) بمعنى (بل)، إذا سبقها استفهام لا يصلح فيه (أي)، فيقولون: هل لك قبلاً حق، أم أنت رجل معروف بالظلم؟ (٢) وقال الشاعر: (٣)

فوالله ما أدري أسلمى تغولت *** أم النوم أم كل إلي حبيب

يعني: بل كل إلي حبيب .

التعليق: ذكر الطبري آراء البصريين والكوفيين في (أم) في الآية ثم رجح قول بعض البصريين: إن (أم) حرف استفهام مبتدأ واستدل على ذلك بما جاءت به الآثار التي ذكرها وقد رجح قولهم على الرغم من عدم سماع مثل ذلك في كلام العرب، وأجاز كذلك أن تكون (أم) بمعنى (بل).

وخالف أبو حيان الطبري في ترجيحه بقوله: " و(أم) : هنا منقطعة وتقدر المنقطعة بـ(بل) و(الهمزة) ، فالمعنى : بل أتريدون ، فبل تفيد الإضراب عما قبله ، ومعنى الإضراب هنا : هو الانتقال من جملة إلى جملة ، لا على سبيل إبطال الأولى ، وقد تقدم قول من جعل أم هنا معادلة للاستفهام الأول ، وقد بينا ضعف ذلك ، وقالت فرقة : (أم) استفهام مقطوع من الأول ، كأنه قال : أتريدون ، وهذان القولان ضعيفان ، والذي تقرر أن (أم) تكون متصلة ومنفصلة ، فالمتصلة : شرطها أن يتقدمها لفظ همزة الاستفهام ، وأن يكون بعدها مفرد ، أو في تقدير المفرد ، والمنفصلة : ما انخرم الشرطان فيها أو أحدهما ، ويتقدر إذ

١ - الطبري ، ٢ / ٤٩٣

٢ - نص الفراء في معاني القرآن ، ١ / ٦٥

٣ - لم أعرف قائله ، والبيت من شواهد الفراء في معاني القرآن ١ / ٦٥ ، وتغولت: تراعت لي في النوم في صور مختلفة، والشاهد في البيت: أن "أم" الأولى متصلة؛ لأنها معادلة للهمزة، يقول: لا أدري أهو طيف سلمى عرض لي وتراءى، أم هو النوم يخط على صور الأشياء، وهي أضغاث الأحلام، وأما (أم) الثانية فإنها للإضراب: بمعنى (بل) ، الطبري ٤٩٠/١٩ .

ذاك ببل والهمزة معاً ، وأما مجيئها مرادفة للهمزة فقط ، أو مرادفة لبل فقط ، أو زائدة ، فأقوال : ضعيفة (١)

ووافق أحمد بن محمد النيسابوري الطبري بقوله : " قالوا : يا محمد أجعل لنا الصفا ذهباً ووسع لنا أرض مكة ، وفجر الأنهار خلالها تفجيراً نؤمن بك ، فأنزل الله عز وجل ﴿ أم تريدون ﴾ يعني أتريدون والميم صلة لأن (أم) إذا كان بمعنى العطف لا تكون ابتداء ولا تأتي إلا مردودة على استفهام قبلها ، وقيل معناه : بل يريدون " (٢)

المبحث الثاني في سورة النساء المطلب الأول

القول في (اللام) في الآية : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾

أولاً: تفسير الآية :

يقول الطبري في قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) قال الطبري: "يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿ يريد الله ليبين لكم ﴾ ، حاله وحرامه ﴿ ويهديكم سنن الذين من قبلكم ﴾ ، يقول: وليسددكم "سنن الذين من

١ - البحر المحيط ، ١ / ٥١٦ .

٢ - تفسير الكشف والبيان - تأليف : أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري

، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م ، ط ١ ، ١ / ٢٥٧ .

٣ - سورة النساء ، الآية ٢٦ .

قبلكم"، يعني: سُبُل من قبلكم من أهل الإيمان بالله وأنبيائه، ومناهجهم فيما حرم عليكم من نكاح الأمهات والبنات والأخوات وسائر ما حرم عليكم في الآيتين اللتين بيّن فيهما ما حرم من النساء ﴿ويتوب عليكم﴾، يقول: يريد الله أن يرجع بكم إلى طاعته في ذلك، مما كنتم عليه من معصيته في فعلكم ذلك قبل الإسلام، وقبل أن يوحى ما أوحى إلى نبيه من ذلك "عليكم"، ليتجاوز لكم بتوبتكم عما سلف منكم من قبيح ذلك قبل إنابتكم وتوبتكم ﴿والله عليم﴾، يقول: والله ذو علم بما يصلح عباده في أديانهم ودنياهم وغير ذلك من أمورهم، وبما يأتون ويذرون مما أحل أو حرم عليهم، حافظ ذلك كله عليهم "حكيم" بتدبيره فيهم، في تصرفهم فيما صرفهم فيه" (١)

ثانياً: قول الطبري في (اللام) في الآية:

قال الطبري: "واختلف أهل العربية في معنى قوله: ﴿يريد الله ليبين لكم﴾، فقال بعضهم: معنى ذلك: يريد الله هذا من أجل " أن يبين لكم ".
وقال: ذلك كما قال: ﴿وَأْمُرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ (٢) بكسر (اللام)، لأن معناه: أمرت بهذا من أجل ذلك، وقال آخرون: معنى ذلك: يريد الله ﴿أن يبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾ وقالوا: من شأن العرب التعقيب بين (كي) و(لام كي) و(أن)، ووضع كل واحدة منهن موضع كل واحدة من أختها مع "أردت" و"أمرت"، فيقولون: "أمرتك أن تذهب، ولتذهب"، و"أردت أن تذهب ولتذهب"، كما قال الله جل ثناؤه: ﴿وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣)، وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ (٤)، وكما قال: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ (٥)، ثم قال في موضع آخر: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا﴾

١ - الطبري ، ٨ / ٢٠٩ .

٢ - سورة الشورى ، من الآية ١٥

٣ - سورة الأنعام ، الآية ٧١

٤ - سورة الأنعام من الآية ، ١٤

٥ - سورة الصف من الآية ٨

(١) واعتلوا في توجيههم (أن) مع "أمرت" و"أردت" إلى معنى (كي)، وتوجيه (كي) مع ذلك إلى معنى (أن)، لطلب "أردت" و"أمرت" الاستقبال، وأنها لا يصلح معها الماضي، لا يقال: "أمرتك أن قمت"، ولا "أردت أن قمت"، قالوا: فلما كانت (أن) قد تكون مع الماضي في غير "أردت" و"أمرت"، وأكدوا لها معنى الاستقبال بما لا يكون معه ماض من الأفعال بحال، من (كي) و(اللام) التي في معنى (كي)، قالوا: وكذلك جمعت العرب بينهما أحياناً في الحرف الواحد، فقال قائلهم في الجمع: (٢)

أَرَدْتُ لِكَيْمًا أَنْ تَطِيرَ بِقُرْبَتِي * * * فَتَتْرُكَهَا سَنًا بِيَدَاءِ بَلَقَعِ

فجمع بينهما، لاتفاق معانيهن واختلاف ألفاظهن، كما قال الآخر: (٣)

قَدْ يَكْسِبُ الْمَالَ الْهِدَانُ الْجَافِي * * * بِغَيْرِ لَا عَصْفٍ وَلَا اصْطِرَافٍ

فجمع بين (غير) و(لا)، توكيداً للنفي، قالوا: إنما يجوز أن يجعل (أن) مكان (كي)، و(كي) مكان (أن)، في الأماكن التي لا يصحب جالب ذلك ماض من الأفعال أو غير المستقبل، فأما ما صحبه ماض من الأفعال وغير المستقبل، فلا يجوز ذلك لا يجوز عندهم أن يقال: "ظننت ليقوم"، ولا "أظن ليقوم"، بمعنى: أظن أن يقوم لأن (أن)، التي تدخل مع الظن تكون مع الماضي من الفعل، يقال: "أظن أن قد قام زيد"، ومع المستقبل، ومع الأسماء (٤)

قال الطبري: وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي، قول من قال: إن (اللام) في قوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾، بمعنى: يريد الله أن يبين لكم، لما ذكرت من علة من قال إن ذلك كذلك.

١ - سورة التوبة من الآية ٣٢

٢ - لم أعرف قائله، وهو من شواهد النحويين في استعمالات كي، أنظر: كتاب مغني اللبيب، ١ / ٢٤٢

٣ - البيت للعجاج، ذكر في لسان العرب، والهدان: الأحمق، والعصوف: الكد، والاصطراف: التصرف في طلب الكسب، مادة (هدن)، ومادة (عصف) و مادة (صرف)، لسان العرب لابن منظور.

٤ - انظر: معاني القرآن للفراء، ١ / ٢٤١.

التعليق : ذكر السمين الحلبي في هذه المسألة أربعة مذاهب ، فقال: مذهب البصريين: إن مفعول " يريد " محذوف تقديره : يريد الله تحريم ما حرم وتحليل ما حلّ وتشريع ما تقدّم لأجل التبيين لكم ، ونسبه بعضهم لسبويه ، فمتعلّق الإرادة غير التبيين وما عطف عليه ، وإنما تأولوه بذلك لئلا يلزم تعدّي الفعل إلى مفعوله المتأخر عنه باللام وهو ممتنع ، وإلى إضمار (أن) بعد اللام الزائدة . والمذهب الثاني : ويعزى أيضاً لبعض البصريين أن يُقدّر الفعل الذي قبل اللام بمصدر في محل رفع بالابتداء ، والجار بعده خبره ، فيقدر ﴿ يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ ﴾ إرادة الله للتبيين ، وقوله : (١)

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذَكَرَهَا فَكَأَنَّمَا *** تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلٍ

أي : إرادتي ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَمْرًا نُنَسِّمُ ﴾ أي : أمرنا بما أمرنا "به" لنسلم .

الثالث : وهو مذهب الكوفيين أن اللام هي الناصبة بنفسها من غير إضمار (أن) ، وهي وما بعدها مفعول الإرادة ، ومنع البصريون ذلك ؛ لأن اللام تثبت لها الجر في الأسماء ، فلا يجوز أن يُنصبَ بها ، فالنصب عندهم بإضمار (أن) كما تقدم . الرابع : وإليه ذهب الزمخشري وأبو البقاء أن اللام زائدة ، و (أن) مضمرة بعدها ، والتبيين مفعول الإرادة ، قال الزمخشري : ﴿ يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ ﴾ يريد الله أن يبيّن ، فزيدت اللام مؤكدة لإرادة التبيين ، كما زيدت في " لا أبا لك " لتأكيد إضافة الأب ، وهذا كما رأيت خارجاً عن أقوال البصريين والكوفيين ، وفيه أن (أن) تضرمت بعد اللام الزائدة ، وهي لا تضرمت فيما نص النحويون بعد لام وتلك اللام للتعليل أو للجحد. (٢)

١ - البيت لكثير عزة في ديوانه ، جمعه د.إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٣٩١هـ ،

ص ٥٢٣ ، وهو من شواهد النحويين في لام التعليل ، مغني اللبيب ، ١/ ٢٨٥ .

٢ - الدر المصون ، ١ / ١١٠١ .

وقد رجح الطبري المذهب الثالث وهو رأي الكوفيين في أن اللام هي الناصبة بنفسها وذكر أن من شأن العرب التعقيب بين (كي) و (لام كي) و(أن)، ووضع كل واحدة منهن موضع كل واحدة من أختها .

يذكر أن ابن هشام الأنصاري وافق الزمخشري بقوله في الشذور : " وأما اللام فلها أربعة أقسام ..الثالثة : اللام الزائدة وهي الآتية بعد فعل متعد نحو ﴿ يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ﴾ ﴿ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ قال : فهذه الأقسام الثلاثة (التعليلية ، والعاقبة ، والزائدة) يجوز لك إظهار أن بعدهن " (١)

المبحث الثالث سورة الأعراف

المطلب الأول: القول في (ألا) في الآية: ﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾

أولاً : تفسير الآية :

قال الطبري في تفسير الآية : ﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ (٢) " وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن قبيله لإبليس ، إذ عصاه فلم يسجد لآدم إذ أمره بالسجود له ، يقول: قال الله لإبليس: ﴿ ما منعك ﴾ ، أي شيء منعك ﴿ ألا تسجد ﴾ ، أن تدع السجود لآدم ﴿ إذ أمرتك ﴾ ، أن تسجد ، قال ﴿ أنا خير منه ﴾ ، يقول: قال إبليس: أنا خير من آدم ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ .

١ - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تأليف: عبدالله بن يوسف بن عبدالله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام ، تحقيق: عبد الغني الدقر ، الشركة المتحدة للتوزيع - دمشق ، ط١ ، ١٩٨٤ ، ص ٣٨٤ .

٢ - سورة الأعراف ، الآية ١٢ .

ثانياً : القول في (ألا) في الآية :

قال الطبري : " فإن قال قائل: أخبرنا عن إبليس، ألحقته الملامة على السجود، أم على ترك السجود؟ فإن تكن لحقته الملامة على ترك السجود، فكيف قيل له : ﴿ ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك ﴾ ؟ وإن كان النكير على السجود، فذلك خلاف ما جاء به التنزيل في سائر القرآن، وخلاف ما يعرفه المسلمون!".

قال الطبري : "بين أهل المعرفة بكلام العرب اختلافاً ، أبدأ بذكر ما قالوا، ثم أذكر الذي هو أولى ذلك بالصواب ، فقال بعض نحويي البصرة : معنى ذلك: ما منعك أن تسجد و(لا) ها هنا زائدة، كما قال الشاعر:(١)

أَبَى جُودُهُ لَا الْبُخْلَ، وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ *** نَعَمْ، مِنْ فَتَى لَا يَمْنَعُ الْجُوعَ قَاتِلُهُ

وقال: فسرتة العرب: "أبى جوده البخل"، وجعلوا (لا) زائدة حشوًا ها هنا، وصلوا بها الكلام.

قال: وزعم يونس أن أبا عمرو(٢) كان يجر(البخل)، ويجعل(لا) مضافة إليه ، أراد : أبى جوده (لا) التي هي للبخل، ويجعل(لا) مضافة، لأن(لا) قد تكون للجود والبخل، لأنه لو قال له: " امنع الحق ولا تعط المسكين" فقال: (لا) كان هذا جودًا منه(٣)

وقال بعض نحويي الكوفة نحو القول الذي ذكرناه عن البصريين في معناه وتأويله، غير أنه زعم أن العلة في دخول (لا) في قوله: ﴿أن لا تسجد﴾ ، أن في

١ - لم أعرف قائله وهو بلا نسبة في الخصائص طبعة عالم الكتب بيروت ، تحقيق محمد

علي النجار ٢ / ٣٥ ، ومغني اللبيب ، ص ٣٢٧

٢ - تمت الترجمة لهما .

٣ - انظر معاني القرآن ، للأخفش ١ / ٣٢١.

أول الكلام جحدا يعني بذلك قوله: ﴿لم يكن من الساجدين﴾ ، فإن العرب ربما أعادوا في الكلام الذي فيه جحد الجحد، كالأستيناق والتوكيد له ، قال: وذلك كقولهم: (١)
 مَا إِنْ رَأَيْنَا مِثْلَهُنَّ لِمَعْشَرٍ * * * سُودِ الرُّؤُوسِ ، فَوَالِحِ وَفَيُولُ
 فأعاد على الجحد الذي هو (ما) جحداً ، وهو قوله (إن) ، فجمعهما للتوكيد (٢)
قال الطبري : والصواب عندي من القول في ذلك أن يقال: إن في الكلام محذوفاً قد كفى دليلُ الظاهر منه، وهو أن معناه: ما منعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد فترك ذكر (أحوجك)، استغناء بمعرفة السامعين قوله: ﴿إلا إيليس لم يكن من الساجدين﴾ ، أن ذلك معنى الكلام من ذكره ، ثم عمل قوله: ﴿ما منعك﴾ ، في (أن) ما كان عاملاً فيه قبل (أحوجك) لو ظهر، إذ كان قد ناب عنه .
 وإنما قلنا إن هذا القول أولى بالصواب، لما قد مضى من دلالتنا قبل على أنه غير جائز أن يكون في كتاب الله شيء لا معنى له، وأن لكل كلمة معنى صحيحاً، فتبين بذلك فسادُ قول من قال: (لا) في الكلام حشو لا معنى لها (٣)

التعليق: يرى أكثر المفسرين والنحويين في الآية أن (لا) زائدة للتوكيد .

قال الزمخشري : " (لا) في ﴿أَنْ لَا تَسْجُدَ﴾ صلة [زائدة] بدليل قوله : ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ (٤) ومثلها ﴿لَّا يَعلَمُ أَهْلُ الكِتَابِ﴾ (٥) بمعنى ليعلم : فإن قلت : ما فائدة زيادتها ؟ قلت : توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل : ليتحقق علم أهل الكتاب ، وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك ؟ ﴿إِذْ أَمَرْتُكَ﴾

١ - لم أعرف قائله ، والفوالج جمع فالج ، وهو الجمل الضخم ذو السنامين كان يجلب من السند للفحلة ، و الفيول والأفيال والفيلة ، جمع فيل ، مادة : فلج ، وفيل ، لسان العرب لا ين منظور .

٢ - تفسير الطبري ٣٢٥/١٢ .

٣ - تفسير الطبري ٣٢٦/١٢

٤ - سورة ص الآية ٧٥

٥ - سورة الحديد ، الآية ٢٩

لأن أمري لك بالسجود أوجب عليك إيجاباً وأحتمه عليك حتماً لا بد منه ، فإن قلت : لم سأله عن المانع من السجود ، وقد علم ما منعه ؟ قلت : للتوبيخ ، وإظهار معاندته وكفره وكبره" (١)

وقال أبو حيان : "الظاهر أنّ (لا) زائدة تفيد التوكيد والتحقيق كهي في قوله ﴿لئلا يعلم﴾ أي لأن يعلم وكأنه قيل ليتحقق علم أهل الكتاب وما منعك أن تحقق السجود وتلزمه نفسك إذ أمرتك ويدلّ على زيادتها قوله تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ وسقوطها في هذا دليل على زيادتها في ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾ والمعنى أنه وبّخه وقرّعه على امتناعه من السجود وإن كان تعالى عالماً بما منعه من السجود (٢) وقال الفراء : " المعنى - والله أعلم - ما منعك أن تسجد ، و(أن) في هذا الموضع تصحبها لا، وتكون (لا) صلة " (٣)

وقال النحاس: " و (لا) زائدة للتوكيد ... " (٤)

وقال السمين الحلبي : " وقد زعم جماعة أن (لا) في هذه الآية الكريمة غير زائدة ، لكن اختلفت عبارتهم في تصحيح معنى ذلك ، فقال بعضهم : في الكلام حذفٌ يصحُّ به النفي ، والتقدير : ما منعك فأحوجك أن لا تسجد؟ ، وقال بعضهم : المعنى على ما ألجأك أن لا تسجد؟ ، وبعضهم : مَنْ أَمَرَكَ أَنْ لا تسجد؟ وَمَنْ قَالَ لَكَ أَنْ لا تسجد ، أو ما دَعَاكَ أَنْ لا تسجد؟ ، وهذا تمحلُّ مَنْ يَتَحَرَّجُ مِنْ نسبة الزيادة إلى القرآن وقد تقدّم تحقيقه ، وأنَّ معنى الزيادة على معنى "يفهمه أهل العلم" وإلا فكيف يُدعى زيادةً في القرآن بالعرف العام؟ هذا ما لا يقوله أحد من المسلمين " (٥)

وفي قول السمين الحلبي استدراك على قول الطبري .

١ - الكشاف ، ٢ / ٨٦

٢ - البحر المحيط ، ٤ / ٧٣

٣ - معاني القرآن للفراء ، ٢ / ٤٤

٤ - معاني القرآن ، للنحاس ٣ / ١٤

٥ - الدر المصون ، ١ / ١٨٣٧ .

وقد بيّنت أنّ منهج الطبري عدم إقراره بالزيادة في آيات القرآن الكريم ؛ لذلك فسر الآية بقوله : " معناه إن شاء الله ما قلت: "ما منعك من السجود له فأخرجك، أو: فأخرجك ، أو: فاضطرك إلى أن لا تسجد له " ، على ما بيّنت" (١)

المبحث الرابع سورة يونس المطلب الأول

القول في (اللام) في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ . . ﴾ (٢)
أولاً: التفسير :

قال الطبري : " يقول تعالى ذكره : وقال موسى يا ربنا إنك أعطيت فرعون وكبراء قومه وأشرافهم وهم المملأ (زينة) ، من متاع الدنيا وأثاثها (وأموالاً) من أعيان الذهب والفضة ﴿ في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾ ، يقول موسى لربه: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من ذلك ليضلوا عن سبيلك " (٣)
ثانياً : القول في (لام) ليضلوا :

قال الطبري : " وقد اختلف أهل العلم بالعربية في معنى هذه (اللام) التي في قوله: ﴿ ليضلوا ﴾ ، فقال بعض نحويي البصرة : معنى ذلك: ربنا فضلوا عن سبيلك، كما

١ - الطبري ١٢ / ٣٢٦ .

٢ - سورة يونس ، من الآية ٨٨ .

٣ - الطبري ، ١٥ / ١٧٧ .

قال: ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ (١)، أي فكان لهم وهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوًّا وحزنًا ، وإنما التقطوه فكان لهم ، قال : فهذه (اللام) تجيء في هذا المعنى (٢) (لام العاقبة)

وقال بعض نحويي الكوفة : هذه (اللام) ، (لام كي) ومعنى الكلام : ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم ، كي يضلوا ، ثم دعا عليهم .

وقال آخر: هذه اللامات في قوله : ﴿ليضلوا﴾ و﴿ليكون لهم عدوًّا﴾ ، وما أشبهها بتأويل الخفض: آتيتهم ما آتيتهم لضلالهم والتقطوه لكونه لأنه قد آلت الحالة إلى ذلك.

والعرب تجعل (لام كي) ، في معنى (لام الخفض) ، و(لام الخفض) في معنى (لام كي) ، لتقارب المعنى، قال الله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ تُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ (٣)

أي لإعراضكم، ولم يحلفوا لإعراضهم، وقال الشاعر: (٤)

سَمَوْتَ وَلَمْ تَكُنْ أَهْلًا لِتَسْمُو * * * وَلَكِنَّ الْمُضِيعَ قَدْ يُصَابُ

قال: وإنما يقال: "وما كنت أهلا للفعل" ، ولا يقال "لتفعل" إلا قليلا، قال: وهذا منه.

قال الطبري : والصواب من القول في ذلك عندي أنها (لام كي) ومعنى الكلام: ربنا أعطيتهم ما أعطيتهم من زينة الحياة الدنيا والأموال لتفتتهم فيه ، ويضلوا عن سبيلك عبادك، عقوبة منك ، وهذا كما قال جل ثناؤه : ﴿لَأَسْفِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ﴾

﴿ (٥) ﴾

١ - سورة القصص الآية ٨ .

٢ - الأخفش في معاني القرآن ، ٢ / ٣٨ .

٣ - سورة التوبة الآية ٩٥

٤ - لم أعرف قائله ، وورد البيت في لسان العرب في مادة (لوم)

٥ - سورة الجن ، الآية ١٦-١٧

التعليق : وافق الزمخشري الطبري بقوله : " وقد حملت اللام في ليضلوا على التعليل ، على أنهم جعلوا نعمة الله سبباً في الضلال ، فكأنهم أوتوها ليضلوا " (١)

ووافق أبو حيان الطبري بقوله : " واللام في ليضلوا الظاهر أنها لام كي على معنى : أتيتهم ما أتيتهم على سبيل الاستدراج ، فكان الإتيان لكي يضلوا . ويحتمل أن تكون لام الصيرورة والعاقبة كقوله : ﴿ فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ (٢) وكما قال الشاعر : (٣)

وللمنايا تربي كلُّ مُرْضِعَةٍ *** وللخرابِ يُجدُّ الناسُ عُمرانا

وقد ذهب الخليل وتلميذه سيبويه إلى أنها لام العاقبة ، ذكر ذلك النحاس في إعرابه فقال : " ﴿ ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾ لام كي وأصح ما قيل فيها وهو مذهب الخليل وسيبويه أنه لما آل أمرهم إلى هذا كان كأنه لهذا " (٤)

ويظهر أن كلا الاحتمالين لديهما ما يؤيدهما بالدليل وإن كنت أميل إلى أنها لام العاقبة فقد أعطاهم الله الأموال نعمة منه كقوله تعالى لقارون ﴿ وَأَتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَمْسَسْ بِصَيْبِكَ مِنَ الدُّنْيَا وَ أَحْسِنُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ° قال الطبري في تفسير الآية : "يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل قوم قارون له: لا تبغ يا قارون على قومك بكثرة مالك، والتمس فيما آتاك الله من الأموال خيرات الآخرة ، بالعمل فيها بطاعة الله في الدنيا " (٥)

١ - الكشاف ، ٢ ، ٣٤٨

٢ - تفسير البحر المحيط ، ٥ ، ١٨٥

٣ - لم أعرف قائله .

٤ - إعراب القرآن للنحاس ، ٢ / ٢٦٦

٥ - سورة القصص ، الآية ٧٧ .

٦ - الطبري ، ١٩ / ٥٢٤

وقال تعالى بلسان موسى عليه السلام : ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ فكانت العقوبة الكفر والجحود ، والله أعلم .

قال النحاس : " أن معنى اطمس على أموالهم عاقبهم على كفرهم بإهلاك أموالهم ﴿ واشدد على قلوبهم ﴾ قيل معناه غمهم عقوبة لهم .. " (١)

وأما إذا كانت اللام بمعنى " لكي يضلوا عن سبيلك " على سبيل الاستدراج ، فقد قال الزمخشري وكأنه يشير إلي هذا المعنى بقوله : " أو علم ذلك بوحى من الله اشتد غضبه عليهم ، وأفرط مقتته وكرهته لحالهم ، فدعا الله عليهم بما علم أنه لا يكون غيره ، كما تقول : لعن الله إبليس ، وأخزى الله الكفرة ، مع علمك أنه لا يكون غير ذلك ، وليشهد عليهم بأنه لم يبق له فيهم حيلة ، وأنهم لا يستاهلون إلا أن يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه ، كأنه قال : ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال ، وليكونوا ضلالاً " (٢)

المطلب الثاني

القول في موضع (يؤمنوا) في الآية : ﴿ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (٣)

أولاً : تفسير الآية :

قال الطبري : " وأما قوله : ﴿ فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ ، فإن معناه : فلا يصدقوا بتوحيد الله ويقرؤوا بوحدانيته ، حتى يروا العذاب الموجه " (٤)

١ - إعراب القرآن ، للنحاس ٢ / ٢٦٦

٢ - الكشف ، ٢ ، ٣٤٧

٣ - يونس الآية ٨٨

٤ - الطبري ، ١٥ / ١٨٢

ثانياً : القول في موضع (يؤمنوا) في الآية :

واختلف أهل العربية في موضع: (يؤمنوا).

فقال بعض نحويي البصرة: هو نصبٌ ؛ لأن جواب الأمر بالفاء ، أو يكون دُعاء عليهم إذ عصوا ، وقد حكي عن قائل هذا القول أنه كان يقول: هو نصبٌ ، عطفاً على قوله: ﴿ليضلوا عن سبيلك﴾ (١)

وقال آخر منهم، وهو قول نحويي الكوفة: موضعه جزمٌ ، على الدعاء من موسى عليهم، بمعنى: فلا آمنوا، كما قال الشاعر: (٢)

فَلَا يَنْبَسِطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انزَوَى *** وَلَا تَلَقِّنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ

بمعنى: "فلا انبسط من بين عينيك ما انزوى" ، "ولا لقيتني" ، على الدعاء.

التعليق : أجاز السمين الحلبي الوجهين بقوله : " يحتمل النصبَ والجزم ؛ فالنصب من وجهين ، أحدهما : عطفه على " ليضلوا " ، والثاني : نصبه على جواب الدعاء في قوله " اطمس " ، والجزم على أن (لا) للدعاء كقولك : " لا تعذبني يا رب " وهو قريبٌ من معنى " ليضلوا " في كونه دعاءً ، هذا في جانب شبه النهي ، وذلك في جانب شبه الأمر ، و " حتى يروا " غايةٌ لنفي إيمانهم ، والأول قول الأخفش ، والثاني بدأ به الزمخشري ، والثالث قول الكسائي والفراء ، وأنشد قول الشاعر :

فَلَا يَنْبَسِطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنِكَ مَا انزَوَى *** وَلَا تَلَقِّنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ

وعلى القول بأنه معطوفٌ على " ليضلوا " يكون ما بينهما اعتراضاً (٣)

١ - ذكره الأخفش في معاني القرآن

٢ - البيت للأعشى في ديوانه ص ٢٨

٣ - الدر المصون ١ / ٢٣٦٤

المبحث الخامس

سورة هود

المطلب الأول

القول في (الألف) في الآية: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾

أولاً : تفسير الآية :

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ

عَجِيبٌ﴾ (١)

" يقول تعالى ذكره: قالت سارة لما بُشِّرَتْ بإسحاق أنها تلد تعجباً مما قيل لها من ذلك، إذ كانت قد بلغت السن التي لا يلد من كان قد بلغها من الرجال والنساء ، وقيل: إنها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة سنة، (يا ويلتا) وهي كلمة تقولها العرب عند التعجب من الشيء والاستنكار للشيء" (٢)

ثانياً : القول في الألف في الآية:

قال الطبري : " وقد اختلف أهل العربية في هذه الألف التي في: (يا ويلتا) فقال بعض نحويي البصرة: هذه ألف حقيقة ، إذا وقفت قلت: (يا ويلتاه)، وهي مثل ألف الندبة، فلطفت من أن تكون في السكت، وجعلت بعدها (الهاء) لتكون أبين لها ، وأبعد في الصوت ، ذلك لأن الألف إذا كانت بين حرفين كان لها صدئ ك نحو الصوت يكون في جوف الشيء فيتردد فيه ، فتكون أكثر وأبين.

وقال غيره: هذه ألف الندبة، فإذا وقفت عليها فجائز، وإن وقفت على الهاء فجائز ، وقال: ألا ترى أنهم قد وقفوا على قوله: ﴿وَيَدْعُوا الْإِنْسَانَ﴾ (٣) ، فحذفوا الواو وأثبتوها، وكذلك: ﴿مَا كُنَّا نَبْغِي﴾ (٤)، بالياء، وغير الياء؟ قال: وهذا أقوى من ألف الندبة وهائها.

١ - سورة هود الآية ٧٢

٢ - الطبري ٣٩٨/١٥

٣ - سورة الإسراء ، الآية ١١

٤ - سورة الكهف من الآية ٦٤

قال الطبري : والصواب من القول في ذلك عندي أن هذه الألف ألف الندبة، والوقف عليها بالهاء وغير الهاء جائز في الكلام لاستعمال العرب ذلك في كلامهم .

التعليق : يرى الطبري في الألف هي ألف الندبة ويرى غيره كالزمخشري وأبو حيان والسمين الحلبي أن الألف مبدلة من ياء الإضافة يقول الزمخشري : الألف في (يا ويلتا) مبدلة من ياء الإضافة ، وكذلك في (يالهفاً) و (ياعجباً) وقرأ الحسن : (يا ويلتي) بالياء على الأصل" (١)

ويقول السمين الحلبي : " ﴿ يا ويلتي ﴾ : الظاهر كون الألف بدلاً من ياء المتكلم ولذلك أمالها أبو عمرو وعاصم في رواية ، قال : وقيل : هي ألف الندبة ، ويوقف عليها بهاء السكت" (٢)

وقال أبو حيان : " والظاهر أن الألف في يا ويلتا بدل من ياء الإضافة نحو : يا لهفاً ويا عجباً ، وأمال الألف من يا ويلتا عاصم وأبو عمرو والأعشى ، إذ هي بدل من الياء . وقرأ الحسن : (يا ويلتي) بالياء على الأصل ، وقيل : الألف ألف الندبة ، ويوقف عليها بالهاء" (٣)

نلاحظ أن الطبري قد اختار الألف في (يا ويلتا) أنها ألف للندبة ، وظاهر كلام النحويين إنها بدلاً من ياء المتكلم وبجواز أن تكون ألف الندبة . وفي معنى الكلمة قال الفيروزآبادي : " الوَيْلُ : حُلُولُ الشَّرِّ وبهَاءٍ : الفَضِيحَةُ أَوْ هُوَ تَفْجِيعٌ يُقَالُ : وَيْلُهُ وَوَيْلَكَ وَوَيْلِي ، وفي النَّدْبَةِ : وَيْلَاهُ ، وَوَيْلُهُ وَوَيْلَ لَهُ " (٤)

١ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٣٨٨/٢

٢ - الدر المصون ، للسمين الحلبي ، ٢٤٥٣ /١ ،

٣ - تفسير البحر المحيط لأبي حيان ، ، ٢٤٤/٥ ،

٤ - القاموس المحيط ، تأليف محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٦ هـ ، ط ٨ . مادة (ويل)

وقال الشيخ الشعراوي : ساعة تسمع كلمة (يا ويلتي) يكون لها معنيان في الاستعمال : المعنى الأول للويل : هو الهلاك، فكيف ننادي الويل والهلاك؟ وهل يُنادي غير العاقل؟ نعم ، يُنادي؛ لأنه مادام "الويل" و "الويلة" : الهلاك ، كأنك تقول : أنا لم أعد أطيق ما أنا فيه من الهم والغم ، ولا يُخلصني فيه إلا الهلاك ، يا هلاكي تعال فهذا وقتك! إذن فقله : ﴿ يا ويلتي ﴾ يعني يا هلاك تعال ، والمتنبي فطن لهذه المسألة وقال :

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا *** وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا
 والمعنى الثاني : أن تأتي "يا ويلتنا" بمعنى التعجب من أمر لا تعطيه الأسباب ، والأمر العجيب لا تعطيه الأسباب ، وحين لا يعطى السبب يتعجب الإنسان، ولذلك يردّ الأمر إلى الأصل الذي لا يتعجب منه، وها هو ذا سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما جاءه الضيوف وقدم لهم الطعام ورأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم ونفر منهم ولم يأنس إليهم وأوجس منهم خيفة ، ويقول الحق عن هذا الموقف : ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَتُ وَجْهًا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ (١)

وقال الحق أيضاً في هذا الموقف : ﴿ وامرأته قائمةٌ فضحكتُ فبشّرناها بإسحاقَ ومن وراءِ إسحاقَ يعقوبَ ﴾ (٢) وهنا قالت امرأة سيدنا إبراهيم : ﴿ يا ويلتي اللدُّ وأنا عجوزٌ وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيءٌ عجيبٌ ﴾ (٣)

أي أن الأسباب لا تعطى ، وردّت إلى المُسبّب، ﴿ أتعجبين من أمر الله ﴾ ؟ كان لك أن تتعجبي من الأسباب لأنها تعطلت، أما حين تصل الأسباب إلى الله، فلا عجب" (٤)

١ - سورة الذاريات ، الآيتان ٢٨-٢٩ .

٢ - سورة هود ، الآية ٧١ .

٣ - سورة هود الآية ٧٢ .

٤ - تفسير الشعراوي ، خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم ،

أخبار اليوم ، قطاع الثقافة ، ٥ / ٣٠٨٧ .

المبحث السادس سورة الرعد المطلب الأول

القول في (من) في الآية : ﴿لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ (١)
أولاً : التفسير :

قال تعالى : ﴿لَهُ مَعْقَبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا
بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾

قال الطبري : " اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم: معناه : لله
تعالى ذكره معقباتٌ قالوا: (الهاء) في قوله : (له) من ذكر اسم الله ، و"المعقبات"
التي تعتقب على العبد، وذلك أن ملائكة الليل إذا صعدت بالنهار أعقبته ملائكة
النهار، فإذا انقضى النهار صعدت ملائكة النهار ثم أعقبته ملائكة الليل... ،
وقوله: ﴿من بين يديه ومن خلفه﴾ ، يعني بقوله: ﴿من بين يديه﴾ ، من قدام هذا المستخفي
بالليل والشارب بالنهار ﴿ومن خلفه﴾ ، من وراء ظهره .

وقال آخرون: بل عني بـ(المعقبات) في هذا الموضع، الحرَس، الذي يتعاقب على
الأمير .

قال الطبري : وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، قولٌ من قال: (الهاء) ، في
قوله: ﴿له معقبات﴾ من ذكر(مَنْ) التي في قوله: ﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ وأن
المعقبات من بين يديه ومن خلفه"، هي حرسه وجلوزته (٢) ، كما قال ذلك من
ذكرنا قوله .

وإنما قلنا: "ذلك أولى التأويلين بالصواب"، لأن قوله: ﴿له معقبات﴾ أقرب إلى قوله:
﴿ومن هو مستخف بالليل﴾ منه إلى عالم الغيب، فهي لقربها منه أولى بأن تكون من

١ - سورة الرعد من الآية ١١

٢ - الجلواز بالكسر: الشرطي والجمع الجلوزة ، تاج العروس من جواهر القاموس ، مادة

(جلز)

ذكره، وأن يكون المعنيّ بذلك هذا، مع دلالة قول الله: ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ ﴾ على أنهم المعنيون بذلك.

وذلك أنه جل ثناؤه ذكر قوماً أهل معصية له وأهل ريبة، يستخفون بالليل ويظهرون بالنهار، ويمتنعون عند أنفسهم بحرس يحرسهم، ومنعة تمنعهم من أهل طاعته أن يحولوا بينهم وبين ما يأتون من معصية الله، ثم أخبر أنّ الله تعالى ذكره إذا أراد بهم سوءاً لم ينفعهم حرسهم، ولا يدفع عنهم حفظهم (١)

ثانياً: القول في (من) في الآية :

قال الطبري: " وأما قوله: ﴿ يحفظونه من أمر الله ﴾ فإن أهل العربية اختلفوا في معناه. فقال بعض نحويي الكوفة: معناه: له معقبات من أمر الله يحفظونه [من بين يديه ومن خلفه]، وليس من أمره [يحفظونه]، إنما هو تقديم وتأخير، قال: ويكون يحفظونه ذلك الحفظ من أمر الله وبإذنه، كما تقول للرجل: "أجبتك من دعائك إياي، وبدعائك إياي".

وقال بعض نحويي البصريين، معنى ذلك: يحفظونه عن أمر الله، كما قالوا: "أطعمني من جوع، وعن جوع، وكساني عن عري، ومن عري".

وقد دللنا فيما مضى على أن أولى القول بتأويل ذلك أن يكون قوله: ﴿ يحفظونه من أمر الله ﴾، من صفة حرس هذا المستخفي بالليل، وهي تحرسه ظناً منها أنها تدفع عنه أمر الله، فأخبر تعالى ذكره أن حرسه ذلك لا يغني عنه شيئاً إذا جاء أمره، فقال: ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾.

التعليق: قال أبو حيان: " والظاهر أن قوله تعالى: "من أمر الله" متعلق بقوله: يحفظونه، قيل (من) للسبب كقولك: كسوته من عري، ويكون معناها ومعنى الباء سواء، كأنه قال يحفظونه بأمر الله وبإذنه، فحفظهم إياه متسبب عن أمر الله لهم بذلك، قال الزمخشري: يحفظونه من أجل أمر الله تعالى أي: من أجل أن الله تعالى أمرهم بحفظه، وقيل: يحفظونه من بأس الله ونقمته كقولك: حرسه

زيداً من الأسد ، ومعنى ذلك : إذا أذن الله لهم في دعائهم أن يمهلهم رجاء أن يتوب عليه وينيب كقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَكْفُرُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴾ (١) يصير معنى الكلام إلى التضمين أي : يدعون له بالحفظ من نعمات الله رجاء توبته، ومن جعل المعقبات الحرس ، وجعلها في رؤساء الكفار فيحفظونه معناه : في زعمه وتوهمه من هلاك الله ، ويدعون قضاءه في ظنه ، وذلك لجهالته بالله تعالى (٢) والقول الأخير قول الطبري .

ملخص القول: إن النحويين أجازوا عدة تقديرات في معنى (من) ، فبعضهم قدر (من) بمعنى الباء ، وبعضهم قدر محذوفاً تقديره من أجل الله ، أو من بأس الله ، وبعضهم قدر بوجود تقديم وتأخير في الآية .

إلا أن المعهود في تفسير الطبري عدم التكلف في التقدير إذا كان المعنى يفهم من سياق الكلام ، ويؤكد كلامه قوله ﴿ له معقبات ﴾ والضمير يعود إلى الأقرب والأقرب قوله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ (٢)

-
- ١ - سورة الأنبياء من الآية ٤٢ .
 - ٢ - تفسير البحر المحيط ، ٣٦٤/٥ .
 - ٣ - سورة الرعد ، الآية ١٠

الفصل الثاني في تفسير الجمل وذكر إعرابها المبحث الأول في سورة البقرة

المطلب الأول : القول في إعراب (وصد) في : ﴿ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرُ بِهِ ﴾

أولاً: تفسير الآية :

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قَاتَلِ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرُ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ . . . ﴾ (١)

قال الطبري: " يعني بذلك جل ثناؤه: يسألك يا محمد أصحابك عن الشهر الحرام - وذلك رجبٌ - عن قتالٍ فيه ، قل يا محمد: " قتالٌ فيه" - يعني في الشهر الحرام "كبير"، أي عظيمٌ عند الله استحلاله وسفك الدماء فيه ، ومعنى قوله: ﴿ قتال فيه ﴾ ، قل القتال فيه كبير، وإنما قال: ﴿ قل قتال فيه كبير ﴾؛ لأن العرب كانت لا تفرغ فيه الأسنة، فيلقى الرجل قاتل أبيه أو أخيه فيه فلا يهيجه تعظيماً له، وتسميه مضر " الأصم " [شهر رجب] لسكون أصوات السلاح وقعقعتة فيه ، وقوله جل ثناؤه : ﴿ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ومعنى "الصد" عن الشيء، المنع منه ، والدفع عنه ومنه قيل: " صدّ فلان بوجهه عن فلان" إذا عرض عنه فمنعه من النظر إليه ، وقوله: ﴿ وَكُفْرُ بِهِ ﴾ يعني: وكفر بالله ، و(الباء) في(به) عائدة على اسم الله الذي في "سبيل الله" ، وتأويل الكلام: وصدّ عن سبيل الله وكفر به ، وعن المسجد الحرام ، وإخراج أهل المسجد الحرام- وهم أهله وولاته- أكبرٌ عند الله من القتال في الشهر الحرام ، فـ "الصدُّ عن سبيل الله" مرفوع بقوله: ﴿ أكبر عند الله ﴾ ،

١ - الآية ٢١٧ من سورة البقرة .

وقوله: ﴿ وإخراج أهله منه ﴾ عطف على "الصد" ، ثم ابتدأ الخبر عن الفتنة فقال: ﴿

والفتنة أكبر من القتل ﴾ ، يعني: الشرك أعظم وأكبر من القتل... (١)

ثانياً: القول في إعراب (وصد عن سبيل الله) :

قال الطبري : " وأما أهل العربية فإنهم اختلفوا في الذي ارتفع به قوله: ﴿ وصد عن

سبيل الله ﴾ ، فقال بعض نحويي الكوفيين: في رفعه وجهان: أحدهما ، أن يكون

"الصدُّ" مردوداً (٢) على "الكبير" ، يريد: قل القتالُ فيه كبيرٌ وصدُّ عن سبيل الله

وكفرٌ به . وإن شئت جعلت "الصدُّ" كبيراً" ، يريد به: قل القتالُ فيه كبير، وكبيرٌ

الصدُّ عن سبيل الله والكفر به (٣)

قال الطبري : "قال فأخطأ [الفراء] في كلا تأويليه ، وذلك أنه إذا رفع "الصد"

عطفاً به على "كبير" ، يصير تأويل الكلام: قل القتالُ في الشهر الحرام كبيرٌ وصدُّ

عن سبيل الله وكفرٌ بالله ، وذلك من التأويل خلاف ما عليه أهل الإسلام جميعاً ؛

لأنه لم يدع أحد أن الله تبارك وتعالى جعل القتال في الأشهر الحرم كفرًا بالله ، بل

ذلك غير جائز أن يتوهم على عاقل يعقل ما يقول أن يقوله ، وكيف يجوز أن

يقوله ذو فطرة صحيحة والله جل ثناؤه يقول في أثر ذلك: ﴿ وإخراج أهله منه أكبر عند

الله ﴾ ؟! فلو كان الكلام على ما رآه جائزاً في تأويله هذا، لوجب أن يكون إخراج

أهل المسجد الحرام من المسجد الحرام، كان أعظم عند الله من الكفر به ، وذلك

أنه يقول في أثره: ﴿ وإخراج أهله منه أكبر عند الله ﴾ ، وفي قيام الحجة بأن لا شيء

أعظم عند الله من الكفر به ما يبين عن خطأ هذا القول ، وأما إذا رفع "الصد" ،

بمعنى ما زعم أنه الوجه الآخر - وذلك رفعه بمعنى: وكبير صدُّ عن سبيل الله،

١ - الطبري ، ٤ / ٣٠١ .

٢ - الترجمة ، والتبيين ، والتكرير ، والمردود ، مصطلحات كوفية لما يسمى عند البصريين بدلاً ، انظر كتاب المصطلح النحوي ، ص ١٦٢ .

٣ - الفراء في معاني القرآن ، ١ / ١٢٤ .

ثم قيل: " وإخراج أهله منه أكبرُ عند الله" - صار المعنى إلى أن إخراج أهل المسجد الحرام من المسجد الحرام أعظمُ عند الله من الكفر بالله والصدِّ عن سبيله ، وعن المسجد الحرام ، ومتأوَّل ذلك كذلك، داخل من الخطأ في مثل الذي دخل فيه القائل القولَ الأوَّل: من تصييره بعض خلال الكفر أعظمَ عند الله من الكفر بعينه ، وذلك مما لا يُخيل على أحدٍ خطؤه وفساده .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول القولَ الأوَّل في رفع "الصد" ، ويزعم أنه معطوف به على "الكبير" ، ويجعل قوله: " وإخراج أهله" مرفوعاً على الابتداء، وقد بينا فسادَ ذلك وخطأ تأويله " (١)

التعليق: يرى الطبري وضع الآية هو : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ ثم ابتداءً بقوله : ﴿ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرُهُ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ قال : " فـ (الصدُّ) عن سبيل الله" مرفوع بقوله : ﴿ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ ، وقوله : ﴿ وإخراج أهله منه ﴾ عطف على "الصد" ، ثم ابتداءً الخبر عن الفتنة فقال : ﴿ والفتنة أكبر من القتل ﴾ .

وقد وافق الزجاج الطبري بقوله : " فلا يجوز ارتفاع قوله وصد عن سبيل الله من أن يكون بالعطف على الخبر الذي هو كبير، كأنه قال قتال فيه كبير وصد وكفر، أي القتال قد جمع أنه كبير وأنه صد وكفر ، أو يكون مرتفعاً بالابتداء وخبره مضمّر محذوف لدلالة كبير المتقدم عليه ، كأنه قال والصد كبير، كقولك : زيد منطلق وعمرو ، أو يكون مرتفعاً بالابتداء والخبر مظهر ، فيكون الصد ابتداء وما بعده من قوله وكفر به وإخراج أهله مرتفع بالعطف على المبتدأ، والخبر قوله أكبر عند الله .

فلا يجوز الوجهان الأولان، وهما جميعاً أجازهما الفراء أما الوجه الأول فلأن المعنى يصير قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والقتال وإن كان كبيراً فيمكن أن يكون صدّاً ؛ لأنه ينفر الناس عنه فلا يجوز أن يكون كفراً ؛ لأن

^١ - الطبري ، ٤ / ٣١٣ .

أحداً من المسلمين لم يقل ذلك، ولم يذهب إليه فلا يجوز أن يكون خبر المبتدأ شيئاً لا يكون المبتدأ، ويمنع من ذلك أيضاً بعد " وإخراج أهله منه أكبر عند الله " ومحال أن يكون إخراج أهله منه أكبر من الكفر، لأنه لا شيء أعظم منه ويمتنع الوجه الثاني أيضاً، لأن التقدير فيه يكون : قتال فيه كبير وكبير الصد عن سبيل الله والكفر به، وكذلك مثله الفراء وقدره فإذا صار كذلك، فكأن المعنى وإخراج أهل المسجد الحرام أكبر عند الله من الكفر، فيكون بعض خلال الكفر أعظم منه كله، وإذا كان كذلك امتنع الأول، وإذا امتنع هذان ثبت الوجه الثالث ، وهو أن يكون قوله وصد عن سبيل الله ابتداء وكفر به وإخراج أهله معطوفان عليه ، وأكبر خبر فيكون المعنى وصد عن سبيل الله، أي منعهم لكم أيها المسلمون عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وإخراجكم منه وأنتم ولاتيه، والذين هم أحق به منهم، وكفر بالله من قتال في الشهر الحرام " (١)

ووافق الطبري في قوله الزمخشري ، قال : " ﴿ وصد عن سبيل الله ﴾ مبتدأ وأكبر خبره يعني: وكبائر قريش من صدّهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله وإخراج أهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون ﴾ أكبر عند الله ﴾ مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطأ والبناء على الظن " (٢) وذكر أبو حيان في تفسيره كلاماً أجاز فيه صحة رأي الفراء من جهة أن الكلام قد تم في الآية ﴿ وصد عن سبيل الله ﴾ ، قال أبو حيان : " وذكر ابن عطية ، والسجاوندي عن الفراء أنه قال : وصد عطف على كبير ، قال ابن عطية : وذلك خطأ ، لأن المعنى يسوق إلى أن قوله : وكفر به ، عطف أيضاً على كبير ، ويجيء من ذلك أن إخراج أهل المسجد منه أكبر من الكفر عند الله ، وهذا بين فساده . انتهى كلام ابن عطية ؛ وليس كما ذكر ، ولا يتعين ما قاله من أن : وكفر به عطف على كبير ، إذ يحتمل أن يكون الكلام قد تم عند قوله : وصد عن سبيل الله ، ويكون قد أخبر عن القتال في الشهر الحرام بخبرين ، أحدهما : أنه

١ - إعراب القرآن المنسوب للزجاج ، تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري ، الناشر : دار الكتب الإسلامية ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني ص ٢٠١ .

٢ - الكشف ، ٢٨٦/١ .

كبير ، والثاني : أنه صد عن سبيل الله ، ثم ابتداءً فقال : والكفر بالله ، وبالمسجد الحرام ، وإخراج أهله منه أكبر عند الله من القتال الذي هو كبير ، وهو صد عن سبيل الله ، وهذا معنى سائغ حسن " (١)

المبحث الثاني

سورة آل عمران

المطلب الأول

القول في المعنى الذي جلب (الباء) في قوله تعالى: ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾

أولاً : تفسير الآية :

قال الطبري : " يقول جل ثناؤه: أُلزِمَ اليهود المكذبون بمحمد ﷺ الذلة أينما كانوا من الأرض، وبأي مكان كانوا من بقاعها، من بلاد المسلمين والمشركين " إلا بحبل من الله ، وحبل من الناس ، وأما "الحبل" الذي ذكره الله في هذا الموضع، فإنه السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذراريهم ، من عهد وأمان تقدم لهم عقده قبل أن يُتَّقُوا في بلاد الإسلام .

ثانياً : القول في المعنى الذي جلب (الباء) في الآية : ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُثْبِتُوا إِلَّا

بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُ وَأَوْ بَغَضَ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٢) قال الطبري: " واختلف أهل

العربية في المعنى الذي جلب (الباء) في قوله: ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ ، فقال

بعض نحوي الكوفة (٣): الذي جلب (الباء) في قوله: "بحبل"، فعل مضمر قد ترك

١ - تفسير البحر المحيط ، ٢ / ١٥٨ .

٢ - سورة آل عمران ، الآية ١١٢ .

٣ - معاني القرآن للفراء ، ١ / ٢٠٩ .

ذكره ، قال: ومعنى الكلام: ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا ، إلا أن يعتصموا بحبل من الله ، فأضمر ذلك واستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر: (١)

رَأْتِي بِحَبْلَيْهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً *** وَفِي الْحَبْلِ رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ فَرُوقُ

وقال : أراد : أقبلت بحبلَيْها، وبقول الآخر: (٢)

حَنْتِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى *** كَأَنِّي خَائِلٌ أَدْنُو لَصِيدِ

قَرِيبُ الْخَطْرِ يَحْسِبُ مَنْ رَأَى *** وَأَسْتُ مَقِيدًا أَنَّى

بَقِيدٌ

فأوجب إعمال فعل محذوف، وإظهار صلته وهو متروك(٣)، وذلك في مذاهب العربية ضعيف، ومن كلام العرب بعيد .

وأما ما استشهد به لقوله من الأبيات، فغير دال على صحة دعواه ؛ لأن في قول الشاعر: "رأيتي بحبلَيْها"، دلالة بينة في أنها رأته بالحبل ممسكاً، ففي إخباره عنها أنها "رأته بحبلَيْها"، إخبارٌ منه أنها رأته ممسكاً بالحبلين، فكان فيما ظهر من الكلام مستغنى عن ذكر "الإمساك"، وكانت (الباء) صلة لقوله: "رأيتي"، كما في قول القائل: "أنا بالله"، مكثف بنفسه ، ومعرفة السامع معناه، أن تكون (الباء) محتاجة إلى كلام يكون لها جالباً غير الذي ظهر، وأن المعنى: "أنا بالله مستعين".

وقال بعض نحويي البصرة (١) قوله: "إلا بحبل من الله" استثناء خارج من أول

الكلام(٢) قال: وليس ذلك بأشد من قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ (٣)

١ - البيت لحميد بن ثور الهلالي ، في ديوانه برواية (رأيتي بنسعيها فردت مخافة ** إلى الصدر روعاء الفؤاد فروق) والنسج: سير ينسج تشد به الرحال ، فردت: أي ردت رأسها نحو صدرها خوفاً ، وفروق : شديدة الخوف ، ديوان حميد بن ثور ، جمع وتحقيق: د.محمد شفيق البيطار ، الكويت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ص ١٦٩ .

٢ - البيت لأبي الطمحان القيني في الأغاني ، تأليف : أبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق : سمير جابر ، دار الفكر - بيروت ، ط٢ ، ١٢ / ٤٠٣ ، أراد قد كبرت وضعف مشيبي حتى صار بمنزلة مشي مخاتل الصيد (الذي ينحني حتى لا يرى) في ضعفه وخفيته .

٣ - من أول الآية : إلا أن يعتصموا بحبل من الله

وقال آخرون من نحويي الكوفة: هو استثناء متصل والمعنى: ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا، أي: بكل مكان إلا بموضع حبل من الله ، كما تقول: ضربت عليهم الذلة في الأمكنة إلا في هذا المكان.

وهذا أيضاً طلب الحق فأخطأ المفصل، وذلك أنه زعم أنه استثناء متصل، ولو كان متصلاً كما زعم، لوجب أن يكون القوم إذا تقفوا بحبل من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة، وليس ذلك صفة اليهود، لأنهم أينما تقفوا بحبل من الله وحبل من الناس، أو بغير حبل من الله عز وجل وغير حبل من الناس، فالذلة مضروبة عليهم، على ما ذكرنا عن أهل التأويل قبل، فلو كان قوله: ﴿إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾، استثناء متصلاً لوجب أن يكون القوم إذا تقفوا بعهد وذمة أن لا تكون الذلة مضروبة عليهم، وذلك خلاف ما وصفهم الله به من صفتهم، وخلاف ما هم به من الصفة ، فقد تبين أيضاً بذلك فساد قول هذا القائل أيضاً.

قال الطبري: ولكن القول عندنا أن (الباء) في قوله: ﴿إلا بحبل من الله﴾، أدخلت لأن الكلام الذي قبل الاستثناء مقتضٍ في المعنى (الباء)، وذلك أن معنى قوله: ﴿ضربت عليهم الذلة أينما تقفوا﴾ ضربت عليهم الذلة بكل مكان تقفوا ، ثم قال: ﴿إلا بحبل من الله وحبل من الناس﴾ على غير وجه الاتصال بالأول، ولكنه على الانقطاع عنه ومعناه: ولكن يتقفون بحبل من الله وحبل من الناس، كما قيل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ (٤) ، فالخطأ وإن كان منصوباً بما عمل فيما قبل الاستثناء، فليس قوله باستثناء متصل بالأول بمعنى: "إلا خطأ"، فإن له قتله كذلك ولكن معناه: ولكن قد يقتله خطأ. فكذا قوله: " أينما تقفوا إلا بحبل من الله" ، وإن كان الذي جلب (الباء) التي بعد (إلا) الفعل الذي يقتضيها قبل (إلا)، فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل

١ - الأخفش في معاني القرآن، ١ / ١٨٠ .

٢ - في معنى (لكن) .

٣ - سورة مريم ، الآية ٦٢ .

٤ - سورة النساء ، الآية ٩٢ .

بالذي قبله، بمعنى: أن القوم إذا لقوا، فالذلة زائلة عنهم، بل الذلة ثابتة بكل حال، ولكن معناه ما بينا آنفا" (١)

التعليق: يرى الطبري أن الاستثناء ظاهره الانقطاع وهو رأي الفراء والزجاج وابن عطية كذلك، غير أن الطبري يرى أن الكلام الذي قبل الاستثناء مقتضي في المعنى (الباء) وهو قول لم يذكره غيره "ضربت عليهم الذلة بكل مكان تقفوا ولكن يتقفون بحبل من الله وحبل من الناس"، قال أبو حيان: "هذا استثناء ظاهره الانقطاع، وهو قول: الفراء، والزجاج. واختيار ابن عطية، لأن الذلة لا تفارقهم، وقدره الفراء: إلا أن يعتصموا بحبل من الله، فحذف ما يتعلق به الجار" (٢)

وقال الزجاج "فـ(الباء) في قوله بحبل متعلق بمحذوف في موضع الحال والتقدير ضربت عليهم الذلة في جميع أحوالهم أينما تقفوا إلا متمسكين بحبل الله فحذف اسم الفاعل وانتقل الضمير إلى الظرف" (٣)

المطلب الثاني

القول في (ليسوا سواء) في الآية: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾

أولاً: تفسير الآية:

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ (٤) "يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿ليسوا سواء﴾، ليس فريقاً أهل الكتاب أهل الإيمان منهم والكفر: سواء يعني بذلك: أنهم غير متساوين، يقول: ليسوا متعادلين، ولكنهم متفاوتون في الصلاح والفساد والخير والشر، وإنما قيل: ﴿ليسوا سواء﴾؛ لأن فيه ذكر الفريقين من أهل الكتاب اللذين ذكرهما الله في قوله: ﴿وَوَآمَنَ

١ - الطبري، ٧ / ١١١ .

٢ - تفسير البحر المحيط، ٣ / ٣٣ .

٣ - إعراب القرآن للزجاج، ص ٢٥٧ .

٤ - سورة آل عمران، الآية ١١٣ .

أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴿١﴾، ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الفريقين عنده، المؤمنة منهما والكافرة فقال: ﴿ليسوا سواء﴾، أي: ليس هؤلاء سواء، المؤمنون منهم والكافرون، ثم ابتدأ الخبرَ جل ثناؤه عن صفة الفرقة المؤمنة من أهل الكتاب، ومدحهم، وأثنى عليهم - بعد ما وصف الفرقة الفاسقة منهم بما وصفها به من الهلع ونخب الجنان ومخالفة الذل والصغار، وملازمة الفاقة والمسكنة، وتحمل خزي الدنيا وفضيحة الآخرة - فقال: ﴿من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وهم يسجدون﴾، الآيات الثلاث، إلى قوله: " والله عليم بالمتقين " (٢)

ثانياً : القول في إعراب (ليسوا سواء) في الآية .

قال الطبري : " فقوله: ﴿أمة قائمة﴾ مرفوعةٌ بقوله: ﴿من أهل الكتاب﴾، وقد توهم جماعة من نحويي الكوفة والبصرة والمقدمين منهم في صناعتهم (٣) : أن ما بعد "سواء" في هذا الموضع من قوله: ﴿أمة قائمة﴾، ترجمةٌ عن "سواء" وتفسيرٌ عنه (٤) ، بمعنى : لا يستوي من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله أناء الليل وأخرى كافرة ، وزعموا أنّ ذكر الفرقة الأخرى ترك اكتفاءً بذكر إحدى الفرقتين، وهي "الأمة القائمة" ، ومثّلوه بقول أبي ذئيب : (٥)

١ - سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

٢ - تفسير الطبري ، ١١٣/٧ .

٣ - يقصد قول الفراء في معاني القرآن ، ٢٠٩/١ .

٤ - الترجمة تعني البديل .

٥ - خويلد بن خالد بن محرت أبو ذؤيب الهذلي، (نحو ٢٧ هـ - نحو ٦٤٨ م) من بني هذيل بن مدركة، من مضر: شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، وسكن المدينة. واشترك في الغزو والفتوح. وعاش إلى أيام عثمان فخرج في جند عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى إفريقية (سنة ٢٦ هـ غازيا، فشهد فتح إفريقية وعاد مع عبد الله بن الزبير وجماعة يحملون بشرى الفتح إلى عثمان (رض) فلما كانوا بمصر مات أبو ذؤيب فيها، وقيل مات بإفريقية، أشهر شعره عينية رثى بها خمسة أبناء له أصيبوا بالطاعون في عام واحد، مطلعها: (أمن المنون وربيته تتوجع)، الأعلام ، ٢ / ٣٢٥ .

عَصَيْتُ إِلَيْهَا الْقَلْبَ: إِنِّي لِأَمْرِهَا *** سَمِيعٌ، فَمَا أَدْرِي أَرُشِدُ طِلَابُهَا ؟
ولم يقل: "أم غير رشد"، اكتفاء بقوله: "أرشد" من ذكر "أم غير رشد"، وبقول
الآخر: (١)

أَرَاكَ فَلَا أَدْرِي أَهْمٌ هَمَمْتُهُ ؟ *** وَذُو الِهْمِّ قَدَمًا خَاشِعٌ مُتَضَائِلٌ
قال الطبري : وهو مع ذلك عندهم خطأ قولُ القائل المرید أن يقول: "سواء أقمّت
أم قعدت" : "سواء أقمّت" حتى يقول: " أم قعدت "، وإنما يجيزون حذف الثاني فيما
كان

من الكلام مكتفياً بواحد دون ما كان ناقصاً عن ذلك ، وذلك نحو: "ما أبالي"
أو "ما أدري"، فأجازوا في ذلك: "ما أبالي أقمّت"، وهم يريدون: "ما أبالي أقمّت أم
قعدت"، لاكتفاء "ما أبالي" بواحد وكذلك في "ما أدري"، وأبوا الإجازة في "سواء"،
من أجل نقصانه، وأنه غير مكثف بواحد، فأغفلوا في توجيههم قوله: ﴿ليسوا سواء من
أهل الكتاب أمة قائمة﴾ على ما حكينا عنهم، إلى ما وجهوه إليه مذاهبهم في العربية إذ
أجازوا فيه من الحذف ما هو غير جائز عندهم في الكلام مع "سواء"، وأخطأوا
تأويل الآية. فـ(سواء) في هذا الموضع بمعنى التمام والاكتفاء، لا بالمعنى الذي
تأوّلوه من حكينا قوله (٢)

التعليق : ذكر الطبري أن "سواء" بمعنى التمام والاكتفاء يعني بذلك أن سواء
تحتاج إلى طرفين ولا تكثف بواحد وقد ذكر الطرفين في الآية السابقة وهي قوله
تعالى : ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ، والطرفان هما
المؤمنون والكافرون فسواء تشير إلى الآية السابقة ، ثم ابتداءً في وصف الفرقة
المؤمنة من أهل الكتاب ، ومدحهم ، وأنتى عليهم وذلك بعد ما وصف الفرقة

١ - لم أعرف قائله ، ونص البيت: أراد فما أدري أهمُّ هَمَمْتُهُ *** وذو الِهْمِّ قَدَمًا خَاشِعٌ
متضائلٌ ، في كتاب :الصناعتين الكتابة و الشعر ، تأليف أبو هلال الحسن بن عبد الله بن
سهل العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار النشر المكتبة
العصرية ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، بيروت، والشاهد لم يأت بالآخر ، ١ / ١٨٢ .

٢ - الطبري ، ١٢٠/٧ .

الفاسقة منهم ، وقوله: " أمة قائمة " مرفوعةً بقوله: " من أهل الكتاب " ، دليل على أن إعراب ليسوا سواءً مكتفٍ بغيره فـ(الواو) اسم ليس وسواءً خبرها وهي جملة تامة ، ومن أهل الكتاب أمة قائمة مبتدأ وخبر .

ووافق السمين الحلبي الطبري " في قوله تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً ﴾ فقال : " الظاهرُ في هذه الآية أن الوقف على "سواء" تامٌ ، فإنَّ الواوَ اسمٌ (ليس) ، و "سواء" خبر ، والواو تعودُ على أهل الكتاب المتقدم ذكرهم ، والمعنى : أنهم منقسمون إلى مؤمن وكافر لقوله : ﴿ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ فانتنى استواؤهم ، و "سواء" في الأصل مصدرٌ فلذلك وحَّد ، وقد تقدَّم تحقيقه أولَ البقرة (١)

وقال أبو حيان : والأصح : أن الواو ضمير عائد على أهل الكتاب ، وسواء خبر (ليس) ، والمعنى : ليس أهل الكتاب مستويين ، بل منهم من آمن بكتابه وبالقرآن ممن أدرك شريعة الإسلام ، أو كان على استقامة فمات قبل أن يدركها ، ومن أهل الكتاب أمة قائمة : مبتدأ وخبر (٢)

وضَعَّف أبو حيان قول الفراء من حيث الحذف فقال: " قال الفراء : " من أهل الكتاب أمة قائمة موصوفة بما ذكر ، وأمة كافرة ، فحذفت هذه الجملة المعادلة ، ودل عليها القسم الأول ... ، ويضعف قول الفراء من حيث الحذف ، ومن حذف وضع الظاهر موضع المضمَر ، إذ التقدير : ليس أهل الكتاب مستويًا منهم أمة قائمة كذا ، وأمة كافرة " (٣)

١ - الدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ، ١/٨٩٩ .

٢ - تفسير البحر المحيط ، ٣ / ٣٦ .

٣ - تفسير البحر المحيط ، ٣ ، ٣٦ .

المبحث الثالث

سورة النساء

المطلب الأول

القول في موقع (من) في الآية : ﴿ مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ ﴾

أولاً : تفسير الآية :

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا . . . (٤٦) ﴾ (١)

قال الطبري : " ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم ﴾ يبدلون معناها ويغيرونها عن تأويله ، وأما قوله: ﴿ عن مواضعه ﴾ ، فإنه يعني: عن أماكنه ووجوهه التي هي وجوهه من الذين هادوا يقولون: سمعنا يا محمد، قولك وعصينا أمرك" (٢)

ثانياً: القول في موقع (من) في الآية:

قال الطبري ولقوله جل ثناؤه: " من الذين هادوا يحرفون الكلم" ، وجهان من التأويل (٣) أحدهما: أن يكون معناه: ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ﴾ ﴿ من الذين هادوا يحرفون الكلم ﴾ ، فيكون قوله: ﴿ من الذين هادوا ﴾ ﴿ (من) صلة (الذين) (٤) ، وإلى هذا القول كانت عامة أهل العربية من أهل الكوفة يوجهون قوله: ﴿ من الذين هادوا يحرفون ﴾ .

١ - سورة النساء ، الآيات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ،

٢ - الطبري ، ٨ ، ٤٣٣ ،

٣ - انظر : معاني القرآن للفراء ، ١ / ٢٤٨

٤ - المقصود صلة الذين في الآية { ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب } ، والصلة في مصطلح الكوفيين الزيادة ، ويظهر هنا أن المقصود بها عطف البيان.

والآخر منهما: أن يكون معناه: من الذين هادوا من يُحرّف الكلم عن مواضعه، فتكون (مَنْ) محذوفة من الكلام، اكتفاء بدلالة قوله: ﴿من الذين هادوا﴾، عليها. وذلك أن (مَنْ) لو ذكرت في الكلام كانت بعضاً لـ(من)، فاكتفى بدلالة (مِنْ)، عليها. والعرب تقول: "منا من يقول ذلك، ومنا لا يقوله"، بمعنى: منا من يقول ذلك، ومنا من لا يقوله فتحذف "مَنْ" اكتفاء بدلالة "مِنْ" عليه، كما قال ذو الرمة:

(١)

فَظَلُّوا، وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ سَابِقٌ لَهُ *** وَأَخْرَ يَثْنِي دَمْعَةَ الْعَيْنِ بِالْهَمَلِ

يعني: ومنهم من دمعه، وكما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ (٢) (٣) وإلى هذا المعنى كانت عامة أهل العربية من أهل البصرة يوجهون تأويل قوله: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم﴾، غير أنهم كانوا يقولون: المضمّر في ذلك "القوم"، كأن معناه عندهم: من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم، ويقولون: نظير قول النابغة: (٤)

١ - ذو الرمة : ذو الرمة (٧٧ - ١١٧ هـ = ٦٩٦ - ٧٣٥ م) غيلان بن عقبة بن نهبس بن مسعود العدوي، من مضر، أبو الحارث، ذو الرمة: شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره.

قال أبو عمرو بن العلاء: فتح الشعر بامرئ القيس وختم بذئ الرمة ، وكان شديد القصر، دميماً، يضرب لونه إلى السواد ، أكثر شعره ، تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين ، وكان مقيماً بالبادية، يحضر إلى اليمامة والبصرة كثيراً ، وامتناز بإجادة التشبيه . قال جرير: لو خرس ذو الرمة بعد قصيدته: " ما بال عينك منها الماء ينسكب " لكان أشعر الناس ، الأعلام ٥ / ١٢٤ ، والبيت في ديوانه برواية : دمعه غالب له ، ص ٥٦ .

٢ - سورة الصافات الآية ، ١٦٤

٣ - انظر معاني القرآن للفراء ، ٢ / ٢٤٨

٤ - النابغة الذبياني زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة ١٨ ق. هـ - ٦٠٥ م ، شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز، كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها، وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة ، الأعلام ، ١ / ٧٥ ، والبيت في ديوانه ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، ط ٢ ، ص ١٢٦ .

كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بَنِي أَقْيِشٍ *** يُقَعِّعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بَشَنًّا

يعني: كأنك جمل من جمال أقيش (١) (٢)

فأما نحويو الكوفة فينكرون أن يكون المضمرة مع (من) إلا (من) أو ما أشبهها. قال الطبري: والقول الذي هو أولى بالصواب عندي في ذلك: قول من قال: قوله: ﴿من الذين هادوا﴾، من صلة "الذين أوتوا نصيباً من الكتاب"، لأن الخبرين جميعاً والصفتين، من صفة نوع واحد من الناس، وهم اليهود الذين وصف الله صفتهم في قوله: ﴿لم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل، فلا حاجة بالكلام إذ كان الأمر كذلك إلى أن يكون فيه متروكاً.

التعليق: ذكر النحويون سبعة أوجه في إعراب الآية نعرض لها بإيجاز، أحدها: أن يكون ﴿من الذين﴾ خبراً مقدماً، و ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ جملةً في محل رفع صفةً لموصوف محذوف هو مبتدأ، تقديره: "من الذين هادوا قومٌ يُحَرِّفُونَ" وحذف الموصوف بعد (من) التبعية جازئاً، وهذا هو مذهب سيبويه والفرسي. الثاني: قول الفراء وهو أن الجار والمجرور خبرٌ مقدم أيضاً، ولكن المبتدأ المحذوف يقدره موصولاً تقديره: "من الذين هادوا من يحرفون"، ويكون قد حمل على المعنى في "يُحَرِّفُونَ"، والبصريون لا يجيزون حذف الموصول لأنه جزء كلمة، وهذا عندهم مؤولٌ على حذف موصوف كما تقدم.

١ - قيل أقيش حي من عكل وجمالهم ضعاف تنفر من كل شيء تراه، وقيل حي من الجن وإنما أراد إنك نفور وليس لك معقود رأي، وقيل بنو أقيش فخذ من أشجع وقيل: حي من اليمن، والقعقة: تحريك الشيء اليابس الصلب. والشن بالفتح: القرية البالية وجمعها شنان وتقعقها يكون بوضع الحصى فيها، وتحريكها فيسمع منها صوت وهذا مما يزيد نفوراً، انظر: خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق محمد نبيل طريفي/ إميل بديع يعقوب، ١٠٣٠هـ - ١٠٩٣هـ، دار الكتب العلمية، سنة ١٩٩٨م، بيروت، ٦٧/٥

٢ - انظر معاني القرآن للأخفش، ١ / ٢٥٩.

الثالث : أن ﴿ من الذين ﴾ خبرٌ مبتدأ محذوف أي : هم الذين هادوا ، و ﴿ يُحَرِّفُونَ ﴾ على هذا حالٌ من ضمير ﴿ هادوا ﴾ ، وعلى هذه الأوجه الثلاثة يكونُ الكلامُ قد تمَّ عند قوله ﴿ نصيراً ﴾ .

الرابع : أن يكونَ ﴿ من الذين ﴾ حالاً من فاعل ﴿ يريدون ﴾ قاله أبو البقاء ، ومنع أن يكونَ حالاً من الضمير في ﴿ أوتوا ﴾ ومن ﴿ الذين ﴾ أعني في قوله : ﴿ ألم ترَ إلى الذين أُوتوا ﴾ قال : " لأنَّ الحال لا تكونُ لشيءٍ واحدٍ إلا بعطفٍ بعضها على بعض " قلت : وهذه مسألةٌ خلافٍ ، من النحويين مَنْ مَنَع ، ومنهم مَنْ جَوَّز وهو الصحيح .

الخامس : (القول الذي رجحه الطبري) أن ﴿ من الذين ﴾ بيانٌ للموصولِ في قوله : ﴿ ألم ترَ إلى الذين أُوتوا ﴾ لأنهم يهودٌ ونصارى فبينهم باليهودِ ، قال الزمخشري ، وفيه نظرٌ من حيث إنه قد فصلَ بينهما بثلاثِ جملٍ وهي : ﴿ والله أعلم ﴾ إلى آخره ، وإذا كان الفارسي قد مَنَعَ الاعتراضَ بجملتين فما بالك بثلاث!! قاله الشيخ (١) ، وفيه نظرٌ فإنَّ الجملَ هنا متعاطفةٌ ، والعطفُ يُصَيِّرُ الشئَ شيئاً واحداً .

السادس : أنه بيانٌ لأعدائكم ، وما بينهما اعتراضٌ أيضاً وقد عُرِفَ ما فيه .

السابع : أنه متعلِّقٌ بـ ﴿ نصيراً ﴾ ، وهذه المادةُ تتعدَّى بـ (من) ، قال تعالى

: ﴿ وَنَصَرْنَا مِنْ الْقَوْمِ ﴾ (٢) ﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ ﴾ (٣) على أحدِ تأويلين : إمَّا

على تضمينِ النصرِ معنى المنعِ أي : منعناه من القومِ ، وكذلك : وكفى بالله مانعاً بنصره من الذين هادوا ، وإمَّا على جعلِ " مِنْ " بمعنى " على " (٤)

١ - أبو حيان في تفسيره .

٢ - سورة الأنبياء من الآية ٧٧ .

٣ - سورة غافر من الآية ٢٩ .

٤ - انظر : الدر المصون للسمين الحلبي ، ١ / ١١٢٨ .

وقال أبو حيان : " وقيل : من الذين هادوا بيان ﴿ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ ؛ لأنهم يهود ونصارى ، وقوله : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض قاله الزمخشري ، وبدأ به ، ويضعفه أن هذه جمل ثلاث ، وإذا كان الفارسي قد منع أن يعترض بجملتين ، فأحرى أن يمنع أن يعترض بثلاث " (١)

وقال الفراء : " وقوله : ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ . . . ﴾ أن شئت جعلتها متصلة بقوله ﴿ أَمْ تَرَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ ﴾ ، ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ ﴾ وإن شئت كانت منقطعة منها مستأنفة، ويكون المعنى: من الذين هادوا من يحرفون الكلم " (٢) واستدراك السمين الحلبي على قول الزمخشري في الوجه الخامس لإعراب الآية يقوي رأي الطبري في وقوع (من) عطف بيان للذين أوتوا نصيباً من الكتاب .

المطلب الثاني

القول في نصب (رفيق) في قوله تعالى : ﴿ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ .

أولاً : التفسير :

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ (٣)

" يعني بذلك جل ثناؤه: ﴿ ومن يطع الله والرسول ﴾ بالتسليم لأمرهما، وإخلاص الرضى بحكهما، والانتهاى إلى أمرهما، والانزجار عما نهيا عنه من معصية الله، فهو مع الذين أنعم الله عليهم بهدايته والتوفيق لطاعته في الدنيا من أنبيائه ، وفي الآخرة إذا

١ - تفسير البحر المحيط ، ٣ / ٢٧٣ .

٢ - معاني القرآن للفراء ، ١ / ٢٤٨ .

٣ - سورة النساء ، الآية ٦٩ .

دخل الجنة ، "والصديقين" وهم جمع "صديق" ،...، "والشهداء" وهم جمع "شهيد" وهو المقتول في سبيل الله سمي بذلك لقيامه بشهادة الحق في جنب الله حتى قتل ، "والصالحين" وهم جمع "صالح" وهو كل من صلحت سريرته وعلايته .
وأما قوله جل ثناؤه : ﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ ، فإنه يعني: وحسن، هؤلاء الذين نعنتهم ووصفهم ، رفقاء في الجنة.

و"الرفيق" في لفظ واحدٍ بمعنى الجميع، كما قال الشاعر: (١)
دَعُونََ الْهَوَى، ثُمَّ ارْتَمَيْنَ قُلُوبِنَا *** بِأَسْهُمِ أَعْدَاءِ، وَهَنَّ صَدِيقُ
بمعنى: وهن صدائق (٢)

ثانياً : القول في عامل النصب في (رفيقاً) :

قال الطبري : " وأما نصب " الرفيق " ، فإن أهل العربية مختلفون فيه .
فكان بعض نحويي البصرة يرى أنه منصوب على الحال ، ويقول: هو كقول
الرجل : " كَرُمُ زَيْدٍ رَجُلًا " ، ويعدل به عن معنى: "نعم الرجل" ، ويقول: إن "نعم"
لا تقع إلا على اسم فيه (ألف ولام)، أو على نكرة (٣)
وكان بعض نحويي الكوفة يرى أنه منصوب على التفسير (٤)، وينكر أن يكون
حالا ويستشهد على ذلك بأن العرب تقول: "كرم زيدٌ من رجل" و"حسن أولئك من
رفقاء"، وأن دخول (من) دلالة على أن "الرفيق" مفسره، قال: وقد حكي عن
العرب: " نَعِمْتُمْ رَجَالًا " ، فدل على أن ذلك نظير قوله : "وحسنتم رفقاء"

قال الطبري : وهذا القول أولى بالصواب ، للعلة التي ذكرنا لقائله .

وقد ذكر أن هذه الآية نزلت ؛ لأن قومًا حزنوا على فقد رسول الله ﷺ حذرًا أن لا يروه في الآخرة (٥)

١ - البيت لجريير في ديوانه ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ط ١٤٠٦ هـ ، ص ٣١٥ .

٢ - تفسير الطبري ، ٨ / ٥٣٠ .

٣ - انظر : معاني القرآن للأخفش ، ١ / ٢٦١ .

٤ - مصطلح كوفي يقابله التمييز عند البصريين .

٥ - الطبري ، ٨ / ٥٣٢ .

التعليق : أجاز أبو حيان الرأيين بقوله : " والرفيق الصاحب ، سمي بذلك للارتفاق به ، وعلى هذا يجوز أن ينتصب رفيقاً على الحال من أولئك ، أو على التمييز ، وإذا انتصب على التمييز فيحتمل أن لا يكون منقولاً ، فيجوز دخول من عليه ، ويكون هو المميز ، وجاء مفرداً إمّا لأن الرفيق مثل الخليل والصديق ، يكون للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد ، وأمّا لإطلاق المفرد في باب التمييز اكتفاء ويراد به الجمع ، ويحسن ذلك هنا كونه فاصلة ، ويحتمل أن يكون منقولاً من الفاعل ، فلا يكون هو المميز والتقدير : وحسن رفيق أولئك ، فلا تدخل عليه من ويجوز أن يكون أولئك إشارة إلى من يطع الله والرسول ، وجمع على معنى من ويجوز في انتصاب رفيقاً الأوجه السابقة " (١)

وأجاز السمين الحلبي الرأيين كذلك بقوله : " قوله : ﴿ وَحَسُنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا ﴾ في نصب "رفيقاً" قولان ، أحدهما : أنه تمييزٌ ، والثاني : أنه حالٌ ، وعلى تقدير كونه تمييزاً في احتمالان ، أحدهما : أن يكون منقولاً من الفاعلية وتقديره : "وحسن رفيق أولئك" فالرفيق على هذا غير المميز ، ولا يجوز دخول (من) عليه . والثاني : ألا يكون منقولاً ، فيكون نفس المميز ، وتدخل عليه (من) وإنما أتى به هنا مفرداً لأحد معنيين : إمّا لأن الرفيق كالخليل والصديق في وقوعها على المفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحدٍ ، وإمّا اكتفاءً بالواحد عن الجمع لفهم المعنى ، وحسن ذلك كونه فاصلةً ، ويجوز في "أولئك" أن يكون إشارة إلى النبيين ومن بعدهم ، وأن يكون إشارة إلى من يطع الله ورسوله (٢)

وقال الألويسي : " وحسن أولئك ذلك رفيقاً أي صاحباً وهو مشتق من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولاً وفعلاً والإشارة يحتمل أن تكون إلى النبيين ومن بعدهم وما فيها من معنى البعد لما مر مرارا ، ورفيقاً حينئذٍ إما تمييز أو حال على معنى أنهم وصفوا بالحسن من جهة كونهم رفقاء للمطيعين أو حال كونهم

١ - البحر المحيط ، ٣ / ٣٠١ .

٢ - الدر المصون ، ١ / ١١٥٤ .

رفقاء لهم ، قال : والجملة على الاحتمالين تذييل مقرر لما قبله مؤكداً للترغيب والتشويق " (١)

المطلب الثالث

القول في إعراب (فتنين) في الآية : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَافِقِينَ فِتْنِينَ ﴾

أولاً: التفسير :

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا ﴾ (٢)

"يعني جل ثناؤه بقوله : فما شأنكم، أيها المؤمنون، في أهل النفاق فتنتين مختلفتين والله أركسهم بما كسبوا"، يعني بذلك: والله ردّهم إلى أحكام أهل الشرك، في إباحة دمائهم وسبّي ذراريهم... نزلت هذه الآية في اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ في قوم كانوا ارتدّوا عن الإسلام بعد إسلامهم من أهل مكة" (٣)

ثانياً : القول في نصب (فتنين) :

قال الطبري : "واختلف أهل العربية في نصب قوله: " فتنتين " .

فقال بعضهم: هو منصوب على الحال، كما تقول: "ما لك قائماً"، يعني: ما لك في حال القيام ، وهذا قول بعض البصريين(٤)

وقال بعض نحويي الكوفيين: هو منصوب على فعل "ما لك"، قال: ولا تُبالِ أكان المنصوب في "ما لك" معرفة أو نكرة ، قال: ويجوز في الكلام أن تقول: "ما لك السائرَ معنا"، لأنه كالفعل الذي ينصب بـ(كان) و(أظن) وما أشبههما، قال: وكل موضع صلحت فيه " فعل" و"يفعل" من المنصوب، جاز نصب المعرفة منه

١ - تفسير الألوسي ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ٧٨/٥ .

٢ - سورة النساء الآية ٨٨ .

٣ - الطبري ، ٨ / ١٣ .

٤ - معاني القرآن للأخفش ، ١ / ٢٦٣ .

والنكرة، كما تنصب (كان) و(أظن)، لأنهن نواقصُ في المعنى، وإن ظننت أنهن
تَمَامَاتٍ (١)

وهذا القول أولى بالصواب في ذلك، لأن المطلوب في قول القائل: " ما لك قائماً"،
" القيام " ، فهو في مذهب (كان) وأخواتها ، و(أظن) وصواحباتها.
التعليق: يوجد خلاف بين البصريين والكوفيين في مجيء فئتين حال أو خبر لكان
المضمرة .

قال أبو حيان : " وانتصب فئتين على الحال عند البصريين من ضمير الخطاب
في لكم ، والعامل فيها العامل في لكم ، وذهب الكوفيون إلى أنه منصوب على
إضمار كان أي : كنتم فئتين ، ويجيزون مالك الشاتم أي : كنت الشاتم ، وهذا عند
البصريين لا يجوز ، لأنه عندهم حال ، والحال لا يجوز تعريفها " (٢)
وقال صاحب اللباب في علوم الكتاب نحو قول أبو حيان : " وفي " فئتين " وجّهان
: أحدهما : أنها حالٌ من الكافِ والميمِ في (لَكُمْ) ، والعاملُ فيها الاستقرارُ الذي
تعلقُ به (لَكُمْ) ؛ ومثله : ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾ (٣) وقد تقدّم أنّ هذه الحالُ
لازمةٌ ؛ لأن الكلامَ لا يَتِمُّ دونها ، وهذا مذهبُ البصريين في كل ما جاء من هذا
التركيب ، والثاني - وهو مذهب الكوفيين - : أنه نصبٌ على خبر (كان)
مُضمرةً ، والتقدير : ما لكم في المنافقين كنتم فئتين ، وأجازوا : " ما لك الشاتم "
أي : ما لك كُنْتَ الشاتمَ ، والبصريون لا يجيزون ذلك ؛ لأنه حالٌ والحالُ لا
تتعرّف ، ويدلُّ على كونه حالاً التزامُ مجيئه في هذا التركيب نكرةً ، وهذا كما
قالوا في " ضربِي زيداً قائماً " : إنّ " قائماً " لا يجوز نصبه على خبر " كان "
المقدّرة ، بل على الحالِ ؛ لالتزام تكثيره " (٤)

١ - انظر : معاني القرآن للفراء ، ١ / ٢٥٧ .

٢ - البحر المحيط ، ٣ / ٣٢٦ .

٣ - سورة المدثر ، الآية ٤٩ .

٤ - اللباب في علوم الكتاب ، تأليف: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي
، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية
بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، ط ١ ، ٦ / ٥٤٤ .

المطلب الرابع

القول في إعراب (المقيمين) في الآية : ﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴾

أولاً : تفسير الآية :

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١)

" هذا من الله جل ثناؤه استثناء، استثنى من أهل الكتاب من اليهود الذين وصف صفتهم في هذه الآيات التي مضت، من قوله: ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء﴾ ، ثم قال جل ثناؤه لعباده، مبيناً لهم حكم من قد هداه لدينه منهم ووفقه لرشده: ما كلُّ أهل الكتاب صفتهم الصفة التي وصفت لكم، لكن الراسخون في العلم منهم"، وهم الذين قد رسخوا في العلم بأحكام الله التي جاءت بها أنبيأؤه، وأتقنوا ذلك، وعرفوا حقيقته ، "والمؤمنون" يعني: والمؤمنون بالله ورسله، هم يؤمنون بالقرآن الذي أنزل الله إليك، يا محمد، وبالكتب التي أنزلها على من قبلك من الأنبياء والرسل، ولا يسألونك كما سألك هؤلاء الجهلة منهم: أن تنزل عليهم كتاباً من السماء، لأنهم قد علموا بما قرؤوا من كتب الله وأنتهم به أنبيأؤهم، أنك الله رسول، واجبٌ عليهم اتباعك، لا يسعهم غير ذلك ، فلا حاجة بهم إلى أن يسألك آية معجزة ولا دلالة غير الذي قد علموا من أمرك بالعلم الراسخ في قلوبهم من إخبار أنبيأئهم إياهم بذلك، وبما أعطيتك من الأدلة على نبوتك، فهم لذلك من علمهم ورسوخهم فيه، يؤمنون بك وبما أنزل إليك من الكتاب، وبما أنزل من قبلك من سائر الكتب ، ثم اختلف في "المقيمين الصلاة"، أهم الراسخون في العلم، أم هم غيرهم؟ " (٢)

ثانياً : القول في إعراب (المقيمين) .

قال الطبري : " قول بعض نحوي الكوفة والبصرة: " والمقيمون الصلاة"، من صفة "الراسخين في العلم"، ولكن الكلام لما تطاول، واعترض بين "الراسخين في

١ - سورة النساء الآية ١٦٢ .

٢ - الطبري ٩ / ٣٩٤ .

العلم"، "والمقيمين الصلاة" ما اعترض من الكلام فطال، نصب "المقيمين" على وجه المدح. قالوا: والعرب تفعل ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته، إذا تطاولت بمدح أو ذم، خالفوا بين إعراب أوله وأوسطه أحياناً، ثم رجعوا بآخره إلى إعراب أوله، وربما أجروا إعراب آخره على إعراب أوسطه ، وربما أجروا ذلك على نوع واحد من الإعراب .

وقال آخرون: بل "المقيمون الصلاة" من صفة غير "الراسخين في العلم" في هذا الموضع، وإن كان "الراسخون في العلم" من "المقيمين الصلاة"، وقال قائلو هذه المقالة جميعاً : موضع "المقيمين" في الإعراب، خفض ، فقال بعضهم: موضعه خفض على العطف على (ما) التي في قوله: "يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك"، ويؤمنون بالمقيمين الصلاة ، ثم اختلف متأولو ذلك هذا التأويل في معنى الكلام ، فقال بعضهم: معنى ذلك: "والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك"، وبقام الصلاة ، قالوا: ثم ارتفع قوله:"والمؤتون الزكاة"، عطفاً على ما في "يؤمنون" من ذكر "المؤمنين"، كأنه قيل: والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك ، هم والمؤتون الزكاة .

وقال آخرون: بل "المقيمون الصلاة": الملائكة ، قالوا: وإقامتهم الصلاة، تسبيحهم ربهم، واستغفارهم لمن في الأرض، قالوا: ومعنى الكلام:"والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك"، وبالملائكة ، وقال آخرون منهم: بل معنى ذلك: "والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك"، ويؤمنون بالمقيمين الصلاة، هم والمؤتون الزكاة، كما قال جل ثناؤه: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) وأنكر قائلو هذه المقالة أن يكون:"المقيمين" منصوباً على المدح. وقالوا: إنما تنصب العربُ على المدح من نعت من ذكرته بعد تمام خبره. قالوا: وخبر "الراسخين في العلم" قوله: "أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً"، قال: فغير جائز نصب "المقيمين" على المدح، وهو في وسط الكلام، ولما يتم خبر الابتداء.

١ - سورة التوبة من الآية ٦١ .

وقال آخرون: معنى ذلك: لكن الراسخون في العلم منهم، ومن المقيمين الصلاة. وقالوا: موضع "المقيمين"، خفض.

وقال آخرون: معناه: والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك، وإلى المقيمين الصلاة. قال الطبري: وهذا الوجه والذي قبله، منكرٌ عند العرب، ولا تكاد العرب تعطف بظاهر على مكنيٍّ في حال الخفض، وإن كان ذلك قد جاء في بعض أشعارها. قال الطبري: وأولى الأقوال عندي بالصواب، أن يكون "المقيمين" في موضع خفض، نسقاً على (ما)، التي في قوله: "بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك" وأن يوجه معنى "المقيمين الصلاة"، إلى الملائكة، فيكون تأويل الكلام: "والمؤمنون منهم يؤمنون بما أنزل إليك"، يا محمد، من الكتاب "وبما أنزل من قبلك"، من كتبي، وبالملائكة الذين يقيمون الصلاة، ثم يرجع إلى صفة "الراسخين في العلم"، فيقول: لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون بالكتب والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر.

التعليق: ذكر الطبري أقوال النحويين المختلفة في ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾، وقد جمعها النحويون في ستة أقوال خمسة على العطف وواحدة على الاختصاص بالمدح وهو قول سيبويه وقال البعض هو الأصح، ذكر أبو حيان الخمسة التي على العطف بقوله: "جوزوا في عطف "والمقيمين" وجوهاً أحدها: أن يكون معطوفاً على بما أنزل إليك، أي يؤمنون بالكتب وبالمقيمين الصلاة، واختلفوا في هذا الوجه من المعنيِّ بالمقيمين الصلاة، فقيل: الأنبياء ذكره الزمخشري وابن عطية، وقيل: الملائكة

ذكره ابن عطية (١)، وقيل: المسلمون، والتقدير: وندب المقيمين، ذكر ابن عطية معناه، والوجه الثاني: أن يكون معطوفاً على الضمير في منهم أي: لكن

١- ابن عطية عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، (٤٨١ هـ - ٥٤٢ هـ)، ١٠٨٨ - ١١٤٨ م) مفسر فقيه أندلسي من أهل غرناطة، عارف بالأحكام والحديث له شعر، ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملتهمين، وتوفي بلورقة، له (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) في عشر مجلدات، الأعلام، ٣/ ٢٨٢.

الراسخون في العلم منهم ، ومن المقيمين ذكره ابن عطية على قوم لم يسمهم ،
الوجه الثالث : أن يكون معطوفاً على الكاف في أولئك أي : ما أنزل إليك وإلى
المقيمين الصلاة، الوجه الرابع: أن يكون معطوفاً على كاف قبلك على حذف
مضاف التقدير: وما أنزل من قبلك وقيل : المقيمين الصلاة ، والوجه الخامس :
أن يكون معطوفاً على كاف قبلك ويعني الأنبياء، ذكره ابن عطية (١) الوجه
السادس: النصب على المدح وهو قول سيبويه، قال الزمخشري: "وقوله

وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴿﴾ نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وهو باب واسع ، وقد كسره
سيبويه على أمثله وشواهد، ولا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط
المصحف : وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب ، ولم يعرف مذاهب العرب
، وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتتان... (٢)

وقال الإمام القرطبي : " واختلف في نصبه على أقوال ستة ؛ أصحها قول سيبويه
بأنه نصب على المدح ؛ أي وأعني المقيمين ؛ قال سيبويه : هذا باب ما ينتصب
على التعظيم ؛ ومن ذلك ﴿﴾ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ ﴿﴾ وأنشد : (٣)

وَكُلُّ قَوْمٍ أَطَاعُوا أَمْرَ سَيِّدِهِمْ ***
إِلَّا نَمِيرًا أَطَاعَتْ أَمْرَ غَاوِيهَا
الظَّاعِنِينَ وَلَمَّا يُظْعِنُوا أَحَدًا ***
وَالْقَائِلُونَ لِمَنْ دَارُ

نُخْلِيهَا

ويروى "أمر مرشدهم".

وأنشد : (٤) : لا يَبْعِدَنَّ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ ***
سُمُّ الْعُنْدَادِ
وَأَفْـَـةَ الْجُرُـُـزِ

١ - البحر المحيط ، ٣ / ٤١٢ ، وانظر : تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز
المؤلف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي
محمد ، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، ط ١ ، ٢ / ١٦٠ .

٢ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، ١ / ٦٢٣ .

٣ - البيت لابن خياط العكلي ، وهو من شواهد سيبويه في كتابه ، ١ / ١٠٤ .

النَّازِلِينَ بِكُلِّ مَعْتَرِكٍ ***
والطَّيِّبُونَ مَعَاذَ الْأُزْرِ
قال النحاس : وهذا أصح ما قيل في ﴿ الْمُقِيمِينَ ﴾ " (٢) (٣)

المبحث الرابع

سورة المائدة

المطلب الأول

القول في (اللام) في الآية : ﴿لَا كُفْرَانَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾

أولاً : تفسير الآية :

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمْهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٤) " يعني جل ثناؤه بذلك بني إسرائيل، يقول لهم جل ثناؤه: لئن أقمتم الصلاة، أيها القوم الذين أعطوني ميثاقهم بالوفاء بطاعتي وإتباع أمري، وآتيتم الزكاة، وفعلتم سائر ما وعدتكم عليه جنّتي ﴿لأكفرن عنكم سيئاتكم﴾ ، لأغطين بعفوي عنكم وصفحي عن عقوبتكم، على سالف أجرامكم التي أجرمتموها فيما بيني

١ - البيت للخرنق بنت بدر بن هفان أخت طرفة بن العبد ، في ديوانها ، شرحه وحققه ، يسري عبد الغني عبد الله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠هـ ، ص ٤٣ .

٢ - الجامع لأحكام القرآن ، ٦ / ١٣

٣- نص النحاس في معاني القرآن:(فيه معنى المدح أي واذكروا المقيمين الصلاة) معاني القرآن للنحاس ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، دار النشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة

ط ١ ، ١٤٠٩ ، ٢٣٨/٢ ،

٤ - سورة المائدة ، الآية ١٢ .

وبينكم على ذنوبكم التي سلفت منكم من عبادة العجل وغيرها من موبقات ذنوبكم ﴿ولأدخلنكم﴾ مع تغطيتي على ذلك منكم بفضلتي يوم القيامة ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ (١)

ثانياً: القول في اللام في الآية :

قال الطبري : "واختلف أهل العربية في معنى (اللام) التي في قوله: ﴿لأَكْفِرَنَّ﴾ ، فقال بعض نحويي البصرة: (اللام) الأولى على معنى القسم يعني (اللام) التي في قوله: ﴿لئن أقمتم الصلاة﴾ قال: والثانية معنى قسم آخر (٢)

وقال بعض نحويي الكوفة: بل (اللام) الأولى وقعت موقع اليمين، فاكتفى بها عن اليمين يعني بـ(اللام) الأولى : ﴿لئن أقمتم الصلاة﴾ ، قال: و(اللام) الثانية يعني قوله: ﴿لأَكْفِرَنَّ عنكم سيئاتكم﴾ جواب لها، يعني(اللام) التي في قوله: ﴿لئن أقمتم الصلاة﴾ واعتلّ لقلبه ذلك بأن قوله: ﴿لئن أقمتم الصلاة﴾ غير تام ولا مستغنٍ عن قوله: ﴿لأَكْفِرَنَّ عنكم سيئاتكم﴾ ، وإذ كان ذلك كذلك ، فغير جائز أن يكون قوله: ﴿لأَكْفِرَنَّ عنكم سيئاتكم﴾ قسماً مبتدأ، بل الواجب أن يكون جواباً لليمين إذ كانت غير مستغنية عنه" (٣)

التعليق : وافق الزمخشري الطبري في قول بعض نحويي الكوفة فقال: " واللام في ﴿لئن أقمتم﴾ موطئة للقسم وفي ﴿لأَكْفِرَنَّ﴾ جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعاً (٤)

وقال أبو حيان: " (اللام) في " لئن أقمتم " هي المؤذنة بالقسم والموطئة بما بعدها ، وبعد أداة الشرط أن يكون جواباً للقسم ، ويحتمل أن يكون القسم محذوفاً ، ويحتمل

١ - الطبري ، ١٠ / ١٢٢ .

٢ - الأخفش في معاني القرآن ، ١ / ٢٢١ .

٣ - الطبري ، ١٠ / ١٢٣

٤ - الكشاف ، ١ / ٦٤٩

أن يكون لأكفرن جواباً لقوله : ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل ، ويكون قوله :
وبعثنا والجملة التي بعده في موضع الحال ، أو يكونان جملتي اعتراض ، وجواب
الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه (١)

المطلب الثاني

القول في رافع (شهادة) و(اثنان) في الآية : ﴿ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ ﴾ .
أولاً : تفسير الآية : قال الطبري في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا
حَضَرَ

أَحَدِكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ . . . ﴾ (٢) "يقول تعالى ذكره للمؤمنين به:
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ ﴾ : ليشهد بينكم ﴿ إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية ﴾ وقت
الوصية ﴿ اثنان ذوا عدل منكم ﴾ نوا رشد وعقل وحجى من المسلمين" (٣)
ثانياً : القول في رافع (شهادة) و (اثنان) :

قال الطبري : "واختلف أهل العربية في الرفع لقوله: ﴿ شهادة بينكم ﴾ ، وقوله: ﴿
اثنان ذوا عدل منكم ﴾ ، فقال بعض نحويي البصرة : معنى قوله: ﴿ شهادة بينكم ﴾ ،
شهادة اثنين ذوي عدل، ثم ألقيت "الشهادة" ، وأقيم "الاثنان" مقامها، فارتفعوا بما
كانت "الشهادة" به مرتفعة لو جعلت في الكلام، قال: وذلك في حذف ما حذف
منه، وإقامة ما أقيم مقام المحذوف نظير قوله: ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ ﴾ (٤) ، وإنما يريد:

١ - البحر المحيط ، ٣ / ٤٦٠

٢ - سورة المائدة ، الآية ١٠٦

٣ - الطبري ، ١١ / ١٥٤

٤ - سورة يوسف من الآية ٢٨ .

وأسأل أهل القرية، وانتصبت "القرية" بانتصاب "الأهل"، وقامت مقامه، ثم عطف قوله: "أو آخران" على "الاثنين".

وقال بعض نحويي الكوفة: رفع "الاثنين" —(الشهادة)، أي: ليشهدكم اثنان من المسلمين، أو آخران من غيركم.

وقال آخر منهم: رفعت "الشهادة" (١)، —(إذا حضر)، وقال: إنما رفعت بذلك، لأنه قال: "إذا حضر" فجعلها "شهادة" محذوفة مستأنفة، ليست بالشهادة التي قد رفعت لكل الخلق، لأنه قال تعالى ذكره: ﴿أَوْ آخِرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾، وهذه شهادة لا تقع إلا في هذا الحال، وليست مما يثبت.

قال الطبري: وأولى هذه الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: "الشهادة" مرفوعة بقوله: "إذا حضر"، لأن قوله: ﴿إِذَا حَضَرَ﴾ بمعنى: عند حضور أحدكم الموت، و"الاثنان" مرفوع بالمعنى المتوهم، وهو: أن يشهد اثنان فاكتفي من قيل: "أن يشهد"، بما قد جرى من ذكر "الشهادة" في قوله: "شهادة بينكم".

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن "الشهادة" مصدر في هذا الموضع، و"الاثنان" اسم، والاسم لا يكون مصدرًا، غير أن العرب قد تضع الأسماء مواضع الأفعال، فالأمر وإن كان كذلك، فصرف كل ذلك إلى أصح وجوه ما وجدنا إليه سبيلاً أولى بنا من صرفه إلى أضعفها.

التعليق: قال السمين الحلبي في قوله تعالى: ﴿شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ﴾: هذه الآية وما بعدها من أشكال القرآن حكماً وإعراباً وتفسيراً، ولم يزل العلماء يستشكلونها ويكفون عنها حتى قال مكي بن أبي طالب - رحمه الله - في كتابه المسمى بالكشف: "هذه الآية في قراءتها وإعرابها وتفسيرها ومعانيها وأحكامها من أصعب آي في القرآن وأشكلها"، قال: "ويحتمل أن يُبسط ما فيها من العلوم في ثلاثين ورقة أو أكثر" قال: وقد ذكرناها مشروحة في كتاب مفرد"، وقال ابن عطية: "وهذا كلام من لم يقع له الثلج في تفسيرها، وذلك بين من كتابه" وقال السخاوي: "لم أر أحداً من العلماء تخلّص كلامه فيها من أولها إلى آخرها"،

١ - الشهادة مبتدأ وإذا حضر خبر .

وقال الواحدي : " وهذه الآية وما بعدها من أغوص ما في القرآن معنى وإعراباً
(١)"

ثم ذكر السمين الحلبي فيها كلاماً نعرض له بإيجاز مع ملاحظة أنه قد استدرك
على الطبري في الوجه الثالث: قال " فأماً قراءة الجمهور ﴿شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ﴾ ففي
تخريجها خمسة أوجه :

أحدها : أنها مرفوعةٌ بالابتداء ، وخبرها "اثنان" ولا بد على هذا الوجه من حذف
مضافٍ : إمّا من الأول ، وإمّا من الثاني ، فتقديره من الأول : ذوا شهادة بينكم
اثنان ، أي صاحباً شهادة بينكم اثنان ، وتقديره من الثاني : شهادة بينكم شهادة
اثنين ، وإنما اضطررنا إلى حذفٍ من الأول أو الثاني ليتصادق المبتدأ والخبر
على شيء واحد (٢)

الثاني : أن ترتفع على أنها مبتدأ أيضاً ، وخبرها محذوف يدلُّ عليه سياق الكلام ،
و" اثنان " على هذا مرتفعان بالمصدر الذي هو " شهادة " والتقدير : فيما فرض
عليكم أن يشهد اثنان ، كذا قدره الزمخشري وهو أحد قولي الزجاج (٣)
الثالث : أن "شهادة" مبتدأ وخبره : "إذا حضر" أي وقوعُ الشهادة في وقتِ حضور
الموت... ولا يجوزُ فيه والحالةُ هذه أن يكونَ (حين) ظرفاً للشهادة لئلا يلزم

١ - الدر المصون في علم الكتاب المكنون ، ١ / ١٤٨٧

٢ - قال: لأن (الشهادة) معنى والاثنان (جثتان) ولا يجيء التقديران المذكوران في نحو : " زيدٌ عدلٌ " وهما جعله نفسَ المصدر مبالغةً أو وقوعه اسم الفاعل ، لأنَّ المعنى يابأهما هنا.

٣ - قال : و(إذا) على هذين الوجهين ظرف لـ(شهادة) أي ليُشْهَدَ وقت حضور الموت - أي أسبابه - ، و(حين الوصية) على هذه الأوجه فيه ثلاثة أوجه ، أوجهها : أنه بدلٌ من (إذا) ولم يذكر الزمخشري غيره ، قال : "وفي إبداله منه دليلٌ على وجوب الوصية". الثاني : أنه منصوبٌ بنفسِ الموت أي : يقع الموت وقت الوصية ، ولا بدُّ من تأويله بأسبابِ الموت؛ لأنَّ وقتَ الموت الحقيقي لا وصيةَ فيه ، الثالث : أنه منصوبٌ بـ(حَضَرَ) أي : حَضَرَ أسبابَ الموت حين الوصية

الإخبارُ عن الموصولِ قبل تمامِ صلتهِ وهو لا يجوزُ لما مرَّ، ولمَّا ذكر الشيخ (١) هذا الوجهَ لم يستدرك هذا ، وهو عجيب منه.

الرابع : أنَّ "شهادة" مبتدأ ، وخبرُها "حين الوصية" (٢)

الخامس : أنَّ "شهادة" مبتدأ ، و "اثنان" فاعلٌ سدَّ مسدَّ الخبر ، ذكره أبو البقاء وغيره وهو مذهبُ الفراء ، إلا أنَّ الفراء قدَّر الشهادةَ واقعةً موقعَ فعلِ الأمرِ كأنه قال : "ليشهد اثنان" فجعله من باب نيابةِ المصدرِ عن فعلِ الطلب ، وهو مثل "الحمدُ لله"

ثم قال ".... وأنَّ رفع "اثنان" من خمسة أوجه :

الأول : كونه خبراً لشهادة بالتأويل المذكور ، الثاني : أنه فاعلٌ بـ (شهادة)

الثالث : أنه فاعلٌ بـ (يشهد) مقدراً ، الرابع : أنه خبر مبتدأ أي : الشاهدان اثنان .

الخامس : أنه فاعلٌ سدَّ مسدَّ الخبر (٣)

١ - هو أبو حيان ، أنظر : اللباب في علوم الكتاب ، تأليف: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، ط ١ ، ٧ / ٥٦٥

٢ - قال : و (إذا) على هذا منصوبٌ بالشهادة ، ولا يجوز أن ينتصبَ بالوصية وإن كان المعنى عليه؛ لأنَّ المصدرَ المؤولَ لا يسبقه معمولُه عند البصريين ولو كان ظرفاً ، وأيضاً فإنه يلزمُ منه تقديمُ المضافِ إليه على المضافِ؛ لأنَّ تقديمَ الم معمولٍ يُؤدِّنُ بتقديمِ العاملِ والعاملُ لا يتقدَّمُ فكذا معمولُه ، انظر : الدر المصون ١ / ١٤٨٩

٣ - الدر المصون ، ١ / ١٤٨٩

المبحث الخامس سورة الأنعام المطلب الأول

القول في جملة القسم (ليجمعنكم) في الآية ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

أولاً : تفسير الآية :

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١)

" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : " قل يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم " لمن ما في السماوات والأرض"، يقول: لمن ملك ما في السماوات والأرض؟ ثم أخبرهم أن ذلك لله الذي استعبد كل شيء، وقهر كل شيء بملكه وسلطانه لا للأوثان والأنداد، ولا لما يعبدونه ويتخذونه إلهًا من الأصنام التي لا تملك لأنفسها نفعًا ولا تدفع عنها ضررًا ، وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ ، يقول: قضى أنه بعباده رحيم، لا يعجل عليهم بالعقوبة، ويقبل منهم الإنابة والتوبة ، وهذا من الله تعالى ذكره استعطاف للمعرضين عنه إلى الإقبال إليه بالتوبة.

ثانياً : القول في جملة القسم في قوله : ﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ .

قال الطبري: " وهذه (اللام) التي في قوله: " ليجمعنكم" ، لام قسم ، ثم اختلف أهل العربية في جالبها، فكان بعض نحوي الكوفة يقول: إن شئت جعلت "الرحمة" غاية كلام ، ثم استأنفت بعدها: " ليجمعنكم" ، قال: وإن شئت جعلته في موضع نصب (٢) يعني: كتب ليجمعنكم كما قال: ﴿ كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ﴾ (٣) ، يريد: كتب أنه من عمل منكم ، قال: والعرب تقول في الحروف التي يصلح معها جوابُ كلام الأيمان بـ(أن) المفتوحة وبـ(اللام)، فيقولون: "أرسلت إليه أن

١ - سورة الأنعام ، الآية ١٢

٢ - على البذل من الرحمة

٣ - سورة الأنعام ، الآية ٥٤

يقوم"، "وأرسلت إليه ليقومن"، قال: وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسُجْنَتَهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (١) ، قال: وهو في القرآن كثير، ألا ترى أنك لو قلت: "بدا لهم أن يسجنوه"، لكان صواباً؟ (٢) وكان بعض نحوي البصرة يقول: نصبت (لام) " ليجمعنكم " ؛ لأن معنى: "كتب" [فرض، وأوجب، وهو بمعنى القسم] ، كأنه قال: والله ليجمعنكم (٣)

قال الطبري : والصواب من القول في ذلك عندي، أن يكون قوله: "كتب على نفسه الرحمة" ، غايةً ، وأن يكون قوله: "ليجمعنكم" خبراً مبتدأ ، ويكون معنى الكلام حينئذ: ليجمعنكم الله أيها العادلون بالله ليوم القيامة الذي لا ريب فيه، لينتقم منكم بكفركم به ، وإنما قلت: هذا القول أولى بالصواب من أعمال "كتب" في "ليجمعنكم" ، لأن قوله: "كتب" قد عمل في الرحمة ، فغير جائز وقد عمل في "الرحمة" أن يعمل في "ليجمعنكم" ؛ لأنه لا يتعدى إلى اثنين (٤)

التعليق : وافق أبو حيان الطبري بقوله: " وهذه الجملة مقسم عليها ولا تعلق لها بما قبلها من جهة الإعراب وإن كانت من حيث المعنى متعلقة بما قبلها كما ذكرنا " (٥)

وقال ابن هشام: " فأما مكي (٦) فقال في قوله تعالى ﴿كَبَّ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ إنَّ لِيَجْمَعَنَّكُمْ بدل من الرحمة وقد سبقه إلى هذا الإعراب غيره ؛ ولكنه زعم

١ - سورة يوسف الآية ٣٥ .

٢ - الفراء في معاني القرآن ، ٢ / ١

٣ - الأخفش في معاني القرآن ، ١ / ٢٣٤ .

٤ - الطبري ، ١١ / ٢٧٩ .

٥ - تفسير البحر المحيط ، ٤ / ٨٦ .

٦ - مكي بن أبي طالب حموش ٣٥٥هـ-٤٣٧هـ ، الأندلسي القيسي، أبو محمد: مقرئ، عالم بالتفسير والعربية، من أهل القيروان ، ولد فيها، وطاف في بعض بلاد المشرق، وعاد إلى بلده، وأقرأ بها، ثم سكن قرطبة سنة ٣٩٣هـ، وخطب وأقرأ بجامعة وتوفى فيها ، له

أن اللام بمعنى أن المصدرية وأن من ذلك ﴿ ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه ﴾ أي أن يسجنوه ولم يثبت مجيء اللام مصدرية وخط مكي فأجاز البدلية مع قوله إن اللام لام جواب القسم والصواب أنها لام الجواب وأنها منقطعة مما قبلها إن قدر قسم أو متصلة به اتصال الجواب بالقسم إن أجري بدا مجرى أقسم كما أجري علم في قوله : " ولقد علمت لتأتين منيتي ... (١) " (٢)

المطلب الثاني

القول في موضع (مَنْ) في الآية : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ ﴾

أولاً : تفسير الآية :

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (٣)

" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : يا محمد، إن ربك الذي نهاك أن تطيع هؤلاء العادلين بالله الأوثان؛ لئلا يضلوك عن سبيله، هو أعلم منك ومن جميع خلقه أي خلقه يضل عن سبيله بزخرف القول الذي يوحى الشياطين بعضهم إلى بعض، فيصدوا عن طاعته وإتباع ما أمر به ﴿ وهو أعلم بالمهتدين ﴾ ، يقول: وهو أعلم أيضاً منك ومنهم بمن كان على استقامة وسداد، لا يخفى عليه منهم أحد ، يقول: واتبع، يا محمد، ما أمرتك به، وانت عما نهيتك عنه من طاعة مَنْ نهيتك عن طاعته، فإني أعلم بالهادي والمضل من خلقي منك" (٤)

كتب كثيرة ، منها (مشكل إعراب القرآن - ط) جزآن، و(الكشف عن وجوه القراءات وعللها - خ)، الأعلام ٢٨٦/٧

١ - البيت للشاعر لبيد بن ربيعة ، وعجز البيت : إن المنايا لا تطيش سهامها ، وهو من شواهد سيبويه على أن (علم) نزل منزلة القسم فيكون جملة لتأتين جواب القسم الذي هو علمت ، وقال : كأنه قال : والله لتأتين منيتي ، الكتاب لسيبويه ١٦٠/ ٩

٢ - مغني اللبيب ، ١ / ٥٣٢

٣ - الأنعام ، الآية ١١٧

٤ - الطبري ، ١٢ / ٦٥

ثانياً : القول في موضع (مَنْ) الآية :

قال الطبري : " واختلف أهل العربية في موضع: (مَنْ) في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ ﴾ " فقال بعض نحويي البصرة : موضعه خفض بنيّة (الباء) ، قال: ومعنى الكلام:

إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ يَضِلُّ (١)

وقال بعض نحويي الكوفة: موضعه رفع ؛ لأنه بمعنى (أي)، والرافع له "يضلُّ" (٢) قال الطبري: والصواب من القول في ذلك أنه رفع بـ(يضل)، وهو في معنى (أي)، وغير معلوم في كلام العرب اسم مخفوض بغير خافض فيكون هذا له نظيراً " (٣)

التعليق : اتفق كثير من النحويين مع الطبري في ضعف القول في مجيء (مَنْ) مجرورة بـ(الباء) ، واختلفوا معه في كونها استفهامية مبتدأ والجملة في موضع نصب بفعل التفضيل ، ورجح أكثرهم أن (مَنْ) منصوبة بفعل مضمر .

قال أبو حيان : " و(مَنْ) قيل في موضع جر على إسقاط حرف الجر وإبقاء عمله ، وهذا ليس بجيد ؛ لأن مثل هذا لا يجوز إلا في الشعر نحو: " زيد أضرب السيف" أي بالسيف ، وقال أبو الفتح : في موضع نصب بأعلم بعد حذف حرف الجر وهذا ليس بجيد ؛ لأن أفعال التفضيل لا يعمل النصب في المفعول به ، وقال أبو علي : في موضع نصب بفعل محذوف أي " يعلم من يضل" ودل على حذفه أعلم ومثله ما أنشده أبو زيد: وأضربَ منا بالسيوف القوانس (٤) أي تضربُ القوانس (٥) وهي إذ ذاك موصولة وصلتها "يضلُّ" ، وجوز أبو البقاء أن تكون موصوفة بالفعل ،

١ - معاني القرآن للأخفش ، ١ / ٣٠٨ .

٢ - معاني القرآن للفراء ، ٢ / ٢٣

٣ - الطبري ، ٦٦/١٢

٤ - البيت لعباس بن مرداس الصحابي وصدر البيت (أكر وأحمي للحقيقة منهم) ، والشاهد :

على أن القوانس منصوب بفعل محذوف لا باضرب ، المرجع : خزانة الأدب ، ٣٢١/٨ .

٥ - القوانس : قيل قَوْنَسُ المرأةَ مَقْدَمٌ رأسها وَقَوْنَسُ البَيْضَةُ من السلاح مَقْدَمُهَا ، لسان

العرب ، مادة (قنس) .

وقال الكسائي والمبرد والزجاج ومكي في موضع رفع وهي استفهامية مبتدأ والخبر "يُضِلُّ" والجملة في موضع نصب بأعلم أي : " أعلم أي الناس يضل " كقوله ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ﴾ وهذا ضعيف لأن التعليق فرع عن جواز العمل وأفعال التفضيل لا يعمل في المفعول به فلا يعلق عنه ، والكوفيون يجيزون إعمال أفعال التفضيل في المفعول به والرد عليهم في كتب النحو (١)

وقال السمين الحلبي : " في "أعلم" هذه قولان أحدهما : أنها ليست للتفضيل بل بمعنى اسم فاعل في قوته كأنه قيل : إن ربك هو يعلم ، قال الواحدي : " ولا يجوز ذلك لأنه لا يطابقُ ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ، والثاني : أنها على بابها من التفضيل . ثم اختلف هؤلاء في محلِّ (مَنْ) : فقال بعض البصريين : هو جرُّ بحرفٍ مقدرٌ حُذِفَ وبقي عمله لقوة الدلالة عليه بقوله ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ وهذا ليس بشيء لأنه لا يُحذَفُ الجارُّ ويبقى أثره إلا في مواضع تقدّم التنبيه عليها ، وما وردَ بخلافها ضرورةً .

وقيل : أنها منصوبةٌ بفعلٍ مقدرٍ يدل عليه أفعال ، قاله الفارسي ، وعليه خرَّج قول الشاعر :

أَكَرَّ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ *** وَأَضْرَبَ مِنَّا بِالسِّيُوفِ الْقَوَانِسَا

فالقوانيسُ نصبٌ بإضمار فعلٍ ، أي : "يَضْرِبُ القوانيس" ، لأن أفعال ضعيفة كما تقرر

وقيل : إنها مرفوعةٌ المحلُّ بالابتداء ، و "يضلُّ" خبره ، والجملة مُعلِّقةٌ لأفعال التفضيل فهي في محل نصبٍ بها ، كأنه قيل : "أعلمُ أيُّ الناس يضلُّ" كقوله : ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى﴾ (٢) وهذا رأي الكسائي والزجاج والمبرد ومكي ، إلا أن الشيخ ردَّ هذا بأن التعليق فرع ثبوت العمل في المفعول به وأفعال لا يعمل فيه فلا يُعلَّقُ ، والراجح من هذه الأقوال نصبُها بمضمر وهو قول الفارسي ، وقواعد

١ - البحر المحيط ، ٤ / ٢١٣

٢ - سورة الكهف من الآية ١٢

البصريين موافقة له ، ولا يجوز أن تكون (مَنْ) في محل جر بإضافة أفعال إليها؛
لئلا يلزم محذور عظيم : وذلك أن أفعال التفضيل لا تُضاف إلا إلى جنسها فإذا
قلت : "زيد أعلم الضالين" لزم أن يكون "زيد" بعضَ الضالين أي متَّصِفٌ بالضلال
، فهذا الوجهُ مستحيل في هذه الآية الكريمة ، هذا عند مَنْ قرأ "يَضِلُّ" بفتح حرف
المضارعة (١)

وقال ابن عطية : " و (مَنْ) في قوله " مَنْ يضل " في موضع نصب بفعل مضمر
تقديره : "يعلم مَنْ" وقيل في موضع رفع كأنه قال: " أي يضل عن سبيله" ذكره
أبو الفتح وضعفه أبو علي وقيل في موضع خفض بإضمار (باء الجر) كأنه قال:
"بمن يضل عن سبيله" وهذا ضعيف قال أبو الفتح هذا هو المراد فحذفت (باء
الجر) ووصل "أعلم" بنفسه قال ولا يجوز أن يكون "أعلم" مضافا إلى (من) ؛ لأن
أفعال التفضيل بعض ما يضاف إليه وهذه الآية خبر في ضمنه وعيد للضالين
ووعد للمهتدين(٢)

وقال ابن هشام في اسم التفضيل: "وأجمعوا على أنه لا ينصب المفعول به مطلقاً
ولهذا قالوا في قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ ﴿إِنْ (مَنْ) لَيْسَتْ مَفْعُولًا
بِأَعْلَمَ ؛ لأنه لا ينصب المفعول ، ولا مضافاً إليه ؛ لأن أفعال بعض ما يضاف إليه
؛ فيكون التقدير أعلم المضلين ، بل هو منصوب بفعل محذوف يدل عليه أعلم أي
: يعلم من يضل ، واسم التفضيل يرفع الضمير المستتر باتفاق تقول "زيد أفضل
من عمرو" فيكون في "أفضل" ضميرٌ مستترٌ عائداً على زيد ، وهل يرفع الظاهر
مطلقاً أو في بعض المواضع ؟ فيه خلاف بين العرب.. " (٣)

١ - الدر المصون ، ٣٧/١٧

٢ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف : أبو محمد عبد الحق ، ٣٩٨/٢

٣ - شرح قطر الندى وبل الصدى، تأليف : أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام
الأنصاري تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ط ١١ ، ١٣٨٣ م ، ١٨٢ .

المبحث السادس

سورة الأعراف

المطلب الأول

القول في إعراب : ﴿ وَلبَّاسُ التَّقْوَى ذَلكَ خَيرٌ ﴾

أولاً : تفسير الآية .

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلبَّاسُ التَّقْوَى ذَلكَ خَيرٌ ذَلكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾ (١) " يقول جل ثناؤه للجهلة من العرب الذين كانوا يتعرَّون للطواف، إتباعاً منهم أمرَ الشيطان، وتركاً منهم طاعةَ الله ، فعرفهم انخداعهم بغروره لهم حتى تمكن منهم فسلبهم من ستر الله الذي أنعم به عليهم، حتى أبدى سوءاتهم وأظهرها من بعضهم لبعض، مع تفضل الله عليهم بتمكينهم مما يسترونها به ، وأنهم قد سار بهم سيرته في أبيهم آدم وحواء اللذين دلاهما بغرور حتى سلبهما ستر الله الذي كان أنعم به عليهما حتى أبدى لهما سوءاتهما فعراهما منه: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴾ ، يعني بإنزاله عليهم ذلك، خلقه لهم، ورزقه إياهم و"اللباس" ما يلبسون من الثياب ﴿ يوارى سوءاتكم ﴾ ، يقول: يستر عوراتكم عن أعينكم وكنى بـ(السوءات) عن العورات ، و"الريش" إنما هو المتاع والأموال عندهم ، وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون سائر المال، يقولون: "أعطاه سرجاً بريشه" ، و"رحلاً بريشه"، أي بكسوته وجهازه ، ويقولون: "إنه لحسن ريش الثياب"، وقد يستعمل "الرياش" في الخصب ورفاهة العيش" (٢)

١ - سورة الأعراف ، الآية ٢٦

٢ - الطبري ، ٣٦٤/١٢ ،

وقال الطبري: "اختلف أهل التأويل في قوله : ﴿ وَلبَّاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ فقال بعضهم: "لباس التقوى"، هو الإيمان... وقال آخرون: هو الحياء... وقال آخرون: هو العمل الصالح... وقال آخرون: بل ذلك هو السَّمَت الحسن في الوجه... وقال آخرون: هو خشية الله... وقال آخرون: "لباس التقوى" في هذه المواضع ستر العورة... فإذا كان ذلك كذلك؛ فتأويل الكلام... ولباس التقوى ذلك الذي قد علمتموه، خير لكم يا بني آدم، من لباس الثياب التي تواري سوءاتكم، ومن الرياش التي أنزلناها إليكم، هكذا فالبسوه... (١)

ثانياً: القول في إعراب الآية :

قال الطبري : " فإن أهل العربية مختلفون في المعنى الذي ارتفع به "اللباس"، فكان بعض نحويي البصرة يقول: هو مرفوع على الابتداء، وخبره في قوله: ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ (٢)، وقد استخطأه بعض أهل العربية في ذلك وقال: هذا غلط، لأنه لم يعد على "اللباس" في الجملة عائد، فيكون " اللباس" إذا رفع على الابتداء وجعل " ذلك خير" خبراً .

وقال بعض نحويي الكوفة: "ولباس"، يرفع بقوله: ولباس التقوى خير، ويجعل " ذلك " من نعتة (٣)

قال الطبري: وهذا القول عندي أولى بالصواب في رفع " اللباس" ؛ لأنه لا وجه للرفع إلا أن يكون مرفوعاً بـ(خير) ، وإذا رفع بـ(خير) لم يكن في ذلك وجه إلا أن يجعل " اللباس" نعتاً ، لا أنه عائد على "اللباس" من ذكره في قوله: (ذلك خير)، فيكون خير مرفوعاً بـ(ذلك) ، و (ذلك) به (٤)

التعليق : ذكر أبو حيان والسمين الحلبي خمسة أوجه في إعراب الآية: قال السمين الحلبي : " وأما الرفعُ فمن خمسة أوجه ، أحدها : (قول بعض البصريين) أن

١ - تفسير الطبري ، ١٢ / ٣٦٦ - ٣٧٠ .

٢ - قول الأخفش في معاني القرآن ، ٥ / ٢ .

٣ - قول الفراء في معاني القرآن ، ٤٦ / ٢ .

٤ - تفسير الطبري ، ١٢ / ٣٦٩ .

يكون "لباس" مبتدأ ، و (ذلك) مبتدأ ثان و (خير) خبر الثاني ، والثاني وخبره خبر الأول ، والرابط هنا اسمُ الإشارة ، قال : " وهذا الوجهُ هو أَوْجَهُ الأَعَارِيبِ فِي هذه الآية الكريمة" (١)

الثاني : أن يكون "لباس" خبرَ مبتدأ محذوف أي : وهو لباس التقوى ، وهذا قول أبي إسحاق الزجاج ، وكان المعنى بهذه الجملة التفسيرُ للباس المتقدم ، وعلى هذا فيكون قوله (ذلك) جملةً أخرى من مبتدأ وخبر ، وَقَدَّرَهُ مكي بأحسنَ مِنْ تقدير الزجاج فقال : "وَسَتَرَ العورة لباس التقوى" .

الثالث : أن يكون (ذلك) فصلاً بين المبتدأ وخبره ، وهذا قول الحوفي ولا أعلم أحداً من النحاة أجاز ذلك .

الرابع : وهو رأي الطبري : " أن يكون "لباس" مبتدأ و(ذلك) بدلٌ منه أو عطفُ بيان له أو نعت و"خير" خبره ، وهو معنى قول الزجاج وأبي علي وأبي بكر ابن الأنباري إلا أن الحوفي قال : وأنا أرى أن لا يكون (ذلك) نعتاً للباس التقوى ؛ لأن الأسماءَ المبهمةَ أعرف ممَّا فيه الألفُ واللامُ وما أضيف إلى الألف واللام ، وسبيل النعت أن يكون مساوياً للمنعوت أو أقلَّ منه تعريفاً ، فإن كان قد تقدَّمَ قولُ أحدٍ به فهو سهوٌ ، قال السمين الحلبي : أمَّا القول به فقد قيل كما ذَكَرْتُهُ عن الزجاج والفارسي وابن الأنباري ، ونصَّ عليه أبو علي في (الحجة) أيضاً وذكره الواحدي، وقال ابن عطية: "هو أنبل الأقوال ذكره أبو علي في الحجة" ، وذكر مكي الاحتمالات الثلاثة : أعني كونه بدلاً أو بياناً أو نعتاً ، ولكن ما بحثه الحوفي صحيح من حيث الصناعة ، ومن حيث إن الصحيح في ترتيب المعارف ما ذَكَرَ من كونِ الإشارات أعرفَ من ذي الأداة ، ولكن قد يقال : القائلُ بكونه نعتاً لا يجعله أعرفَ مِنْ ذي الألف واللام .

الخامس : جوز أبو البقاء أن يكون (لباس) مبتدأ ، وخبره محذوف أي: ولباسُ التقوى ساتر عوراتكم ، وهذا تقديرٌ لا حاجةَ إليه (٢)

١ - أنظر: شرح قطر الندى ص ١١٨

٢ - كتاب الدر المصون للسمين الحلبي ، ١ / ١٨٥٧ ، والبحر المحيط لأبي حيان، ٤ / ٢٨٣

وعند الرجوع إلى قول الطبري نجاه يرى الصواب في إعراب الآية : أن (لباس) مبتدأ و(ذلك) نعت و(خير) خبر، وقد ضعف الحوفي مجيء اسم الإشارة نعتاً ؛ لأن النعت يجب أن يكون مساوياً للمنعوت واسم الإشارة أضعف من المنعوت، وقد جوز مجيء (ذلك) نعتاً في الآية الفارسي وتبعه أبو البقاء وجماعة بناءً على أن النعت قد يكون أعرف من المنعوت (١) وقال في هذا الوجه من الإعراب ابن عطية "هو أنبل الأقوال ذكره أبو علي في الحجة".

وقد أجاز الزمخشري الوجهين بقوله : " ولباس الورع والخشية من الله تعالى ، وارتفاعه عن الابتداء ، وخبره : إمّا الجملة التي هي (ذلكَ خَيْرٌ) كأنه قيل " ولباس التقوى هو خير" ؛ لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر ، وأمّا المفرد الذي هو خير وذلك صفة للمبتدأ ، كأنه قيل " ولباس التقوى المشار إليه خير " ، ولا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى ، أو أن تكون إشارة إلى اللباس الموارى للسوء ؛ لأنّ مواراة السوء من التقوى ، تفضيلاً له على لباس الزينة (٢)

المطلب الثاني

القول في تذكير (قريب) في الآية : ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

أولاً: تفسير الآية :

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣) يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ ، لا تتركوا بالله في الأرض ولا تعصوه فيها، وذلك هو الفساد فيها ، بعد إصلاح

١ - انظر : حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، تأليف: محمد بن علي الصبان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٤١٧هـ ، ١/٤٠٤ .

٢ - تفسير الكشاف للزمخشري ، ٢/٩٣ .

٣ - سورة الأعراف ، الآية ٥٦ .

الله إياها لأهل طاعته ، بابتعائه فيهم الرسل دعاة إلى الحق، وإيضاحه حججه لهم ﴿وادعوه خوفاً وطمعاً﴾ ، يقول: وأخلصوا له الدعاء والعمل، ولا تشركوا في عملكم له شيئاً غيره من الآلهة والأصنام وغير ذلك، وليكن ما يكون منكم في ذلك خوفاً من عقابه وطمعاً في ثوابه ، وإنَّ مَنْ كان دعاؤه إياه على غير ذلك فهو بالآخرة من المكذبين ؛ لأنَّ من لم يخف عقابَ الله ولم يرجُ ثوابه، لم يبال ما ركب من أمر يسخطه الله ولا يرضاه ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾ ، يقول تعالى ذكره: إن ثواب الله الذي وعد المحسنين على إحسانهم في الدنيا قريب منهم ، وذلك هو رحمته ؛ لأنه ليس بينهم وبين أن يصيروا إلى ذلك من رحمته وما أعدَّ لهم من كرامته إلا أن تفارق أرواحهم أجسادهم" (١)

ثانياً: القول في تذكير قريب في الآية :

يقول الطبري : " ولذلك من المعنى ذُكر قوله: " قريب " وهو من خبر "الرحمة" ، و"الرحمة" مؤنثة ؛ لأنه أريد به القرب في الوقت لا في النسب ، والأوقات بذلك المعنى إذا وقعت أخباراً للأسماء أجرتها العرب مجرى الحال، فوحدتها مع الواحد والاثنتين والجميع وذكَّرتها مع المؤنث، فقالوا: "كرامة الله بعيد من فلان" و"هي قريب من فلان"، كما يقولون: "هند قريب منا"، و"الهندان منا قريب" ، و"الهندات منا قريب" ؛ لأن معنى ذلك: هي في مكان قريب منا، فإذا حذفوا المكان وجعلوا "القريب" خلفاً منه ذكروه ووحدوه في الجمع كما كان المكان منكرًا وموحداً في الجمع ، وأما إذا أنثوه، أخرجوه مثلى مع الاثنتين، ومجموعاً مع الجميع، فقالوا: "هي قريبة منا" ، و"هما منّا قريبتان" ، كما قال عروة: (٢)

١ - الطبري ، ١٢ / ٤٨٧

٢ - عروة بن حزام بن مهاجر الضني، من بني عذرة (نحو ٣٠ هـ): شاعر، من متيمي العرب ، كان يحب ابنة عم له اسمها " عفراء " نشأ معها في بيت واحد، لان أباه خلفه صغيراً، فكفله عمه ، ولما كبر خطبها عروة ، فطلبت أمها مهرا لا قدرة له عليه، فرحل إلى عم له باليمن، وعاد، فإذا هي قد زوجت بأموي من أهل البلقاء (بالشام) فلحق بها، فأكرمه زوجها، فأقام أياماً وودعها وانصرف، فضنى حبا، فمات قبل بلوغ حيَّه ، ودفن في وادي

عَشِيَّةَ لَا عَفْرَاءَ مِنْكَ قَرِيبَةً *** فَتَدْنُو وَلَا عَفْرَاءَ مِنْكَ بَعِيدًا

فأنت "قريبة" وذكر "بعيداً" على ما وصفت ، ولو كان "القريب"، من "القرابة" في النسب ، لم يكن مع المؤنث إلا مؤنثاً، ومع الجميع إلا مجموعاً (١) وكان بعض نحويي البصرة يقول: ذكر "قريب" وهو صفة لـ (الرحمة)، وذلك كقول العرب: "ريح خريق" ، و"ملحفة جديد" ، و"شاة سديس" ، قال: وإن شئت قلت: تفسير "الرحمة" هاهنا المطر ونحوه فلذلك ذكر، كما قال: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا﴾ (٢) فذكر ؛ لأنه أراد الناس ، وإن شئت جعلته كـ بعض ما يذكرون من المؤنث (٣) ، كقول الشاعر: (٤)

فَلَا مِزْنَةَ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا *** وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا

وقد أنكر ذلك من قبله بعض أهل العربية، ورأى أنه يلزمه إن جاز أن يذكر "قريباً"، توجيهاً منه للرحمة إلى معنى المطر، أن يقول: "هند قام"، توجيهاً منه لـ (هند) وهي امرأة، إلى معنى: "إنسان" ، ورأى أن ما شبه به قوله: ﴿إِنْ رَحِمَهُ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْحَسَنِينَ﴾ بقوله: ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا﴾ غير مُشَبَّه ، وذلك أن "الطائفة" فيما زعم مصدر، بمعنى "الطيب" ، كما "الصيحة" و"الصياح" بمعنى ، ولذلك قيل: ﴿وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ (٥) (١)

القرى (قرب المدينة) له "ديوان شعر مطبوع" صغير ، الأعلام ٢٢٦/٤ ، ولم أقف على هذا البيت في ديوانه ، تحقيق أنطوان محسن القوال ، دار الجيل بيروت ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ .

١ - انظر معاني القرآن للفراء ، ٥١/ ٢ .

٢ - سورة الأعراف ، الآية ٨٧ .

٣ - انظر: معاني القرآن للأخفش ، ١ / ٣٢٧ .

٤ - البيت لعامر بن جوين الطائي ، وهو من شواهد سيبويه ، ٩٩/١ ، والمعنى: يصف الشاعر: سحابةً، وأرضاً نافعتين، و "المزنة" السحابة البيضاء و "ودق المطر" قطر "وأبقلت الأرض" خرج بقلها ، والشاهد فيه : جاءت أبقل بالتنكير؛ لأن تأنيث الأرض غير حقيقي، وليس في اللفظ علامة تأنيث .

٥ - سورة هود ، الآية ٦٧ .

التعليق: ذكر العلماء أقوالاً تزيد على العشرة في قوله : " قَرِيبٌ " ولم يقل قريبة في وصف الرحمة ، ذكرها أبو حيان بقوله : " والرحمة مؤنثة فقياسها أن يخبر عنها إخبار المؤنث فيقال قريبة ، فقيل : ذكر على المعنى ؛ لأنّ الرحمة بمعنى الرحم والترحم ، وقيل : ذكر لأنّ الرحمة بمعنى الغفران والعفو قاله النضر بن شميل واختاره الزجاج ، وقيل بمعنى المطر قاله الأخفش أو الثوب قاله ابن جبير ، فالرحمة في هذه الأقوال بدل عن مذكر ، وقيل : التذكير على طريق النسب أي ذات قرب ، وقيل : قريب نعت لمذكر محذوف أي شيء قريب ، وقيل : قريب مشبه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول نحو خصيب وجريح كما شبه فعيل به فقيل شيئاً من أحكامه فقيل في جمعه فعلاء كأسير وأسراء وقتيل وقتلاء كما قالوا : رحيم ورحماء وعليم وعلماء ، وقيل : هو مصدر جاء على فعيل كالضغيث وهو صوت الأرنب والنقيق وإذا كان مصدر أصح أن يخبر به عن المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والمجموع بلفظ المصدر ، وقيل لأن تأنيث الرحمة غير حقيقي قاله الجوهري ، وهذا ليس بجيد إلاّ مع تقديم الفعل أما إذا تأخر فلا يجوز إلا التأنيث تقول الشمس طالعة ولا يجوز طالع إلا في ضرورة الشعر بخلاف التقديم فيجوز أطالعة الشمس وأطالع الشمس كما يجوز طلعت الشمس وطلع الشمس ولا يجوز طلع إلا في الشعر ، وقيل : فعيل هنا بمعنى المفعول أي مقربة فيصير من باب كفّ خصيب وعين كحيل قاله الكرمانى ، وليس بجيد لأن ما ورد من ذلك إنما هو من الثلاثي غير المزيد وهذا بمعنى مقربة فهو من الثلاثي المزيد ومع ذلك فهو لا ينقاس ، وقال الفراء إذا استعمل في النسب والقراية فهو مع المؤنث بقاء ولا بدّ تقول هذه قريبة فلان وإن استعملت في قرب المسافة أو الزمن فقد تجيء مع المؤنث بقاء وقد تجيء بغير تاء تقول: "دارك مني قريب" و "فلانة منا قريب" ، ومنه هذا وقول الشاعر :

عشية لا عفراء منك قريبة *** فتدنو ولا عفراء منك بعيد

فجمع في هذا البيت بين الوجهين ، قال ابن عطية : هذا قول الفراء في كتابه وقد مرّ في كتب بعض المفسرين ، وردّ الزجاج وقال هذا على الفراء هذا خطأ ؛ لأنّ سبيل المذكر والمؤنث أن يجريا على أفعالهما وقال من احتج له هذا كلام العرب ، قال تعالى : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾ (١) ،

وقال الشاعر : (٢)

له الويل إن أمسى ولا أمّ هاشم *** قريب ولا البسباسة ابنة يشكرا
وقال أبو عبيدة "قريب" في الآية ليس بصفة للرحمة وإنما هو ظرف لها وموضع فتجىء هكذا في المؤنث والاثنين والجمع وكذلك بعيد فإن جعلوها صفة بمعنى مقتربة قالوا قريبة وقريبتان وقريبات ، قال علي بن سليمان وهذا خطأ ولو كان كما قال لكان قريب منصوباً كما تقول إنّ زيدا قريباً منك انتهى وليس بخطأ لأنه يكون قد اتسع في الظرف فاستعمله غير ظرف كما تقول هند خلفك وفاطمة أمامك بالرفع إذا اتسعت في الخلف والأمام وإنما يلزم النصب إذا بقيتا على الظرفية ولم يتسع فيهما وقد أجازوا أنّ قريباً منك زيد على أن يكون قريباً اسم إنّ وزيد الخبر فاتسع في قريب واستعمل اسماً لا منصوباً على الظرف والظاهر عدم تقييد قرب الرحمة من المحسن بزمان بل هي قريب منه مطلقاً وذكر الطبري أنه وقت مفارقة الأرواح للأجساد تتألم الرحمة (٣).

وذكر ابن هشام الأنصاري من الأمور التي يكتسبها الاسم بالإضافة تذكير المؤنث ، وقال : " ويحتمل أن يكون منه ﴿ إن رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ (٤) ،

١ - سورة الأحزاب من الآية ٦٣

٢ - البيت لامرئ القيس في ديوانه ، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة - بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م ، ص ٩٧ ، والشاهد : ذكّر قريباً ، وهو خبرٌ عن أمّ هاشم ، فعلى هذا يجوز قريبٌ مني ، يُريدُ قربَ المكانِ ، وقريبةٌ مني ، يريدُ قربَ النسبِ ، اللسان مادة (قرب)

٣ - البحر المحيط ، ٤ / ٣١٦

٤ - مغني اللبيب ، ص ٦٦٦ .

ومن خلال ما سبق نجد أن الطبري قد اختار رأي الفراء الذي ذكر فيه أن العرب تَوَنَّثَ القريب في النسب وهم لا يختلفون في التأنيث ، أما في القرب أو البعد من حيث المسافة أو الزمن فإنهم يذكرون ويؤنثون ، كما قال الله تبارك وتعالى :

﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾ (١) (٢)

المطلب الثالث

القول في تأنيث (اثنتي عشرة) في الآية : ﴿وَقَطَعْنَا لَهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ سَبَاطًا أُمَّمًا﴾

أولاً : التفسير :

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿وَقَطَعْنَا لَهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ سَبَاطًا أُمَّمًا﴾ (٣).

يقول تعالى ذكره: " فرقناهم يعني قوم موسى من بني إسرائيل، فرقهم الله فجعلهم قبائل شتى، اثنتي عشرة قبيلة... " (٤)

ثانياً : القول في تأنيث الاثنتي عشرة في الآية:

قال الطبري : "واختلف أهل العربية في وجه تأنيث "الاثنتي عشرة"، و"الأسباط" جمع مذكر، فقال بعض نحويي البصرة: أراد اثنتي عشرة فرقة، ثم أخبر أن الفرق "أسباط"، ولم يجعل العدد على "أسباط" (٥)

وكان بعضهم يستخِلُّ (٦) هذا التأويل ويقول لا يخرج العدد على غير التالي ما يتلو العدد وهو "أسباط" وهو الظاهر في الكلام ، وتقديره : " اثنتي عشرة فرقة

١ - سورة هود من الآية ٨٣ .

٢ - انظر : معاني القرآن للفراء ٥١/٢ .

٣ - سورة الأعراف ، الآية ١٦٠ .

٤ - الطبري ١٣/١٧٤ .

٥ - معاني القرآن للأخفش ، ٣٤١/١ .

٦ - استخِلَّ الشيء أي استوهنه واستضعفه ووجد فيه خللاً ، وهو قياس جيد في العربية ، ذكره المحقق : محمود محمد شاكر في تفسير الطبري ، ١٣/١٧٤ . وجاء في لسان العرب :

أسباطاً" ثم حذف "فرقة" وإضمارها ، يوجب أن يجرى العدد على ما يتلوه ولكن "الفرق" قبل "الاثنتي عشرة"، حتى تكون "الاثنتا عشرة" مؤنثة على ما قبلها، ويكون الكلام: وقطعناهم فرقا اثنتي عشرة أسباطاً فيصح التأنيث لما تقدّم.

وقال بعض نحويي الكوفة: إنما قال "الاثنتي عشرة" بالتأنيث و"السبط" مذكر؛ لأن الكلام ذهب إلى "الأمم" فغلب التأنيث ، وإن كان "السبط" ذكراً (١) ، وهو مثل قول

الشاعر: (٢)

وَإِنَّ كِلَابًا هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ * * * وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ قَبَائِلِهَا الْعَشْرِ

ذهب بـ(البطن) إلى القبيلة والفصيحة ، فلذلك جمع " البطن" بالتأنيث ، وكان آخرون من نحويي الكوفة يقولون: إنما أنثت " الاثنتا عشرة " و"السبط" مذكر لذكر "الأمم".

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن "الاثنتي عشرة" أنثت لتأنيث "القطعة"، ومعنى الكلام: وقطعناهم قطعاً اثنتي عشرة ثم ترجم عن "القطع" بـ(الأسباط)، وغير جائز أن تكون "الأسباط" مفسرة عن "الاثنتي عشرة" وهي جمع، لأن التفسير فيما فوق "العشر" إلى "العشرين" بالتوحيد لا بالجمع (٣) و"الأسباط" جمع لا واحد، وأما "الأمم"، فالجماعات و"السبط" في بني إسرائيل نحو "القرن"، وقيل: إنما فرقوا أسباطاً لاختلافهم في دينهم ، وذلك كقولهم: "عندي اثنتا عشرة امرأة"، ولا يقال: "عندي اثنتا عشرة نسوة"، فبيّن ذلك أن "الأسباط" ليست بتفسير للاثنتي عشرة، وأن القول في ذلك على ما قلنا (٤)

الخلل الفساد والوهن في الأمر وهو من ذلك كأنه ترك منه موضع لم يُبرم ولا أحكم وفي رأيه خلل أي انتشار وتفرق ، مادة (خلل) .

١ - الفراء في معاني لقرآن ، ٢ / ٦٨ .

٢ - لم أعرف قائله ، وهو من شواهد سيبويه في باب : تكسير الواحد للجمع ، ١ / ٣١١ .

٣ - يقصد بالتفسير التمييز وهو اصطلاح الكوفيين .

٤ - الطبري ، ١٣ / ١٧٦ .

التعليق : ذكر الزمخشري وجهاً رابعاً ، قال : " فما وجه مجيئه مجموعاً ؟ وهلاً قيل : اثني عشر سبطاً ؟ قلت : لو قيل ذلك لم يكن تحقيقاً ؛ لأنّ المراد : وقطعناهم اثنتي عشرة قبيلة ، وكل قبيلة أسباط لا سبط ، فوضع أسباطاً موضع قبيلة ، و"أمماً" بدل من اثنتي عشرة بمعنى : وقطعناهم أمماً لأنّ كل أسباط كانت أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد " (١)

وذكر الإمام البغوي وجهاً خامساً ، قال : "قيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره : وقطعناهم أسباطاً أمماً اثنتي عشرة ، والأسباط القبائل واحداً سبط (٢)

وقال الزجاج : "وجه الآية أن أسباطاً بدل من اثني عشرة وليس تميز والتميز محذوف والتقدير اثنتي عشرة فرقة " (٣)

وقال ابن هشام : " فليس "أسباطاً" تمييزاً بل بدل من "اثنتي عشرة" والتميز محذوف أي اثنتي عشرة فرقة " (٤)

والقول الذي ذكره ابن هشام الأنصاري هو قول أكثر النحويين والمفسرين في إعراب الآية (٥)، ولم أقف على قول الإمام الطبري في كتب النحو ويظهر أنه انفرد بهذا الرأي.

١ - الكشاف ، ٢ / ١٥٩ ، والأسباط تعرب تمييزاً .

٢ - تفسير معالم التنزيل ، تأليف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، المتوفى ٥١٦ هـ ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٤ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م ، ٢٩٢/٣ .

٣ - إعراب القرآن للزجاج ، ص ٩١٠ .

٤ - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تأليف : عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام ، تحقيق : عبد الغني الدقر ، الشركة المتحدة للتوزيع - دمشق ، ط١ ، ١٩٨٤ ، ص ٦٠١ .

٥ - أنظر : تفسير البحر المحيط ، ٤/٤٠٥ ، ومعاني القرآن للأخفش ، ٣٤١/١ ، واللباب في علوم القرآن ، ٣٤٩/٩ .

المبحث السابع

سورة يونس

المطلب الأول

القول في الرفع للجزاء في الآية ﴿ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا ﴾

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ﴾ (١)
أولاً : تفسير الآية :

قال الطبري : " يقول تعالى ذكره والذين عملوا السيئات في الدنيا، فعصوا الله فيها، وكفروا به وبرسوله ﴿ جزاء سيئة ﴾ ، من عمله السيئ الذي عمله في الدنيا ﴿ بمثلها ﴾ من عقاب الله في الآخرة ﴿ وترهقهم ذلة ﴾ ، يقول: وتغشاهم ذلة وهوان، بعقاب الله إياهم ﴿ ما لهم من الله من عاصم ﴾ ، يقول: ما لهم من الله من مانع يمنعهم ، إذا عاقبهم ، يحول بينه وبينهم " (٢)

ثانياً : القول في الرفع للجزاء في الآية :

قال الطبري : " واختلف أهل العربية في الرفع لـ (الجزاء) فقال بعض نحوي الكوفة: رُفِعَ بِإِضْمَارِ (لهم)، كأنه قيل: ولهم جزاء السيئة بمثلها، كما قال : ﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ﴾ (٣) ، والمعنى: فعليه صيام ثلاثة أيام، قال: وإن شئت رفعت الجزاء بالباء في قوله: ﴿ وجزاء سيئة بمثلها ﴾ (٤) .

وقال بعض نحوي البصرة : "الجزاء" مرفوع بالابتداء ، وخبره ﴿ بمثلها ﴾ ، قال: ومعنى الكلام: جزاء سيئة مثلها، وزيدت (الباء) ، كما زيدت في قوله: "بحسبك

١ - سورة يونس من الآية ٢٧

٢ - الطبري ٧٣/١٥

٣ - سورة البقرة الآية ١٩٦

٤ - انظر معاني القرآن للفرّاء ، ٢ / ١٣٣

قول السوء" (١) ، وقد أنكر ذلك من قوله بعضهم ، فقال: يجوز أن تكون (الباء) في "حسب" زائدة ؛ لأن التأويل: إن قلت السوء فهو حسبك فلما لم تدخل في الخبر، أدخلت في "حسب" ، "حسبك أن تقوم" : إن قمت فهو حسبك فإن مُدح ما بعد "حسب" أدخلت (الباء) ، فيما بعدها ، كقولك: "حسبك يزيد"، ولا يجوز "حسبك زيد"، لأن زيذاً الممدوح ، فليس بتأويل خبرٍ .

قال الطبري : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، أن يكون "الجزاء" مرفوعاً بإضمارٍ ، بمعنى: فلهم جزاء سيئة بمثلها؛ لأن الله قال في الآية التي قبلها: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ، فوصف ما أعدَّ لأوليائه، ثم عقب ذلك بالخبر عما أعدَّ الله لأعدائه، فأشبهه بالكلام أن يقال: وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة، وإذا وُجِّه ذلك إلى هذا المعنى ، كانت الباء صلة للجزاء " (٢)

التعليق: اختلف أهل العربية في إعراب الآية ، وقد اختار الطبري رأي الفراء الذي ذكره في معاني القرآن ورجحه بقوله : " والأول أعجب إلي " ، ويقصد أن يكون الجزاء مرفوعاً بإضمار (لهم) كأنك قلت: فلهم جزاء السيئة بمثلها (٣)

وجاء اختيار الطبري وفقاً لتناسب الآية مع الآية السابقة لها ، وهي قوله ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ ، و (الباء) عنده ليست زائدة ، وإذا قدرت (الباء) بأنها ليست زائدة فللنحويين عدة تقديرات ، قال أبو حيان: " وقيل : ليست بزائدة [الباء] ، والتقدير: [جزاء سيئة] مقدر بمثلها ، أو مستقر بمثلها ، وقيل : محذوف ، فقدّره الحوفي : لهم جزاء سيئة قال : ودل على تقدير لهم قوله : ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ حتى تشاكل هذه بهذه ، وقدره أبو البقاء جزاء سيئة بمثلها واقع ، و(الباء) في قولهما متعلقة بقوله : جزاء ، والعائد من هذه الجملة الواقعة خبراً عن الذين محذوف

١ - انظر معاني القرآن للأخفش ٣٧٢/١ .

٢ - الطبري ٧٥/١٥

٣ - انظر معاني القرآن للفراء ١٣٣/٢ .

تقديره : جزاء سيئة منهم ، كما حذف في قولهم : السمن منوان بدرهم ، أي :
منوان منه بدرهم " (١) .

ورجح ابن هشام اختيار الطبري بقوله : " إن الظاهر أن (الباء) في بمثلها متعلقة
بالجزاء فإذا كان جزاء سيئة مبتدأ احتيج إلى تقدير الخبر أي واقع قاله أبو البقاء
أو لهم قاله الحوفي وهو أحسن لإغناؤه عن تقدير رابط بين هذه الجملة ومبتدئها
وهو الذين وعلى ما اخترناه يكون جزاء عطفاً على الحسنى فلا يحتاج إلى تقدير
آخر وأما قول أبي الحسن وابن كيسان إن بمثلها هو الخبر وأن (الباء) زيدت في
الخبر كما زيدت في المبتدأ في بحسبك درهم فمردود عند الجمهور وقد يؤنس
قولهما بقوله ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ " (٢)

^١ - البحر المحيط ، ١٥٠/٥

^٢ - مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ، ص ٥١٢ .

المبحث الثامن

سورة هود

المطلب الأول

القول في موضع (من) في الآية : ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ (١)

أولاً : تفسير الآية :

قال الطبري : " قوله : ﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ﴾ ، يقول : لا مانع اليوم من أمر الله الذي قد نزل بالخلق من الغرق والهلاك ، إلا من رحمنا فأنقذنا منه ، فإنه الذي يمنع من شاء من خلقه ويعصم ، فـ(مَنْ) في موضع رفع ؛ لأن معنى الكلام : لا عاصم يعصم اليوم من أمر الله إلا الله " (٢)
ثانياً : قول الطبري في (مَنْ) :

قال الطبري : " وقد اختلف أهل العربية في موضع (مَنْ) في هذا الموضع ، فقال بعض نحوي الكوفة: هو في موضع نصب ؛ لأن المعصوم بخلاف العاصم ، والمرحوم معصوم ، قال : كأن نصبه بمنزلة قوله: ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ (٣) ، قال : ومن استجاز : " اتِّبَاعُ الظَّنِّ " ، والرفع في قوله: (٤)

وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أَنْيَسُ * * * إِلَّا الْيَعْفِيرُ وَإِلَّا الْعَيْسُ

لم يجز له الرفع في (مَنْ) ؛ لأن الذي قال : " إلا اليعافير" ، جعل أنيس البر ، اليعافير وما أشبهها ، وكذلك قوله: " إلا اتباع الظن" ، يقول علمهم ظن ، قال :

١ - سورة هود من الآية ٤٣

٢ - الطبري ، ٣٣٢/١٥

٣ - النساء الآية ١٧٥

٤ - البيت لبشر بن أبي حازم ، ، واليعفور ولد البقرة الوحشية وقيل تيوس الطباء ، والعيس

: الإبل البيض ، المرجع : كتاب حياة الحيوان الكبرى ، للكامل الدميري ، بولاق ، ٢٥٦/٢

، ٣١/٢ ، ولم أقف على البيت في ديوانه ، تحقيق : د. عزة حسن ، دمشق ، مديرية إحياء

التراث القديم ١٣٧٩ هـ .

وأنت لا يجوز لك في وجه أن تقول: المعصوم هو عاصم في حال، ولكن لو جعلت العاصم في تأويل معصوم ، [كأنك قلت]: " لا معصوم اليوم من أمر الله" ، لجاز رفع (من) ، قال: ولا ينكر أن يخرج المفعول على فاعل ، ألا ترى قوله: ﴿ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴾ (١) معناه ، والله أعلم : مدفوق وقوله: ﴿ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ (٢) ، معناها: مرضية؟ قال الشاعر: (٣)

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُغْيَتِهَا *** وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي
ومعناه: المكسؤ.

وقال بعض نحويي البصرة: ﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ﴾ ، على : " لكن من رحم" (٤)، ويجوز أن يكون على: لا إذا عصمة: أي: معصوم، ويكون ﴿ إلا من رحم ﴾ ، رفعا بدلا من العاصم .

قال الطبري : ولا وجه لهذه الأقوال التي حكيناها عن هؤلاء، لأن كلام الله تعالى إنما يُوجَّه إلى الأفصح الأشهر من كلام من نزل بلسانه ، ما وُجِدَ إلى ذلك سبيل ، ولم يضطرنا شيء إلى أن نجعل "عاصمًا" في معنى "معصوم"، ولا أن نجعل (إلا) بمعنى (لكن)، إذ كنا نجد لذلك في معناها الذي هو معناه في المشهور من كلام العرب مخرجًا صحيحًا، وهو ما قلنا من أن معنى ذلك: قال نوح: لا عاصم اليوم من أمر الله ، إلا من رحمنا فأنجانا من عذابه ، كما يقال : "لا مُنْجِي اليوم من عذاب الله إلا الله" ، " ولا مطعم اليوم من طعام زيد إلا زيد" (٥)

١ - سورة الطارق ، الآية ٦

٢ - سورة القارعة ، الآية ٧

٣ - البيت للحطيئة في ديوانه ، شرحه حمْدُو طَمَّاس ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٢٦هـ - ص ٨٦ .

٤ - أنظر : الأصول في النحو ، تأليف : أبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي

٥ - مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٨ ، تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي ، ٢٩١/١ .

٥ - الطبري ، ٣٣٣/١٥ ،

التعليق: ردّ الطبري أقوال البصريين والكوفيين في تقدير الآية ، يذكر أن منهج الطبري في تفسيره هو: الأخذ بالأفصح والأشهر من كلام العرب ، وقد ردّ السمين الحلبي الاختلاف إلى أربعة أوجه : أحدها : إنه استثناءً منقطع ؛ وذلك أن تجعلَ عاصماً على حقيقته ، ومنَ رَحِم هو المعصوم ، وفي "رَحِم" ضميراً مرفوعاً يعود على الله تعالى والتقدير : لا عاصمَ اليومَ البتةَ منَ أمر الله ، لكن منَ رَحِمه الله فهو معصوم ، الثاني : أن يكونَ المرادُ بـ(منَ رَحِم) هو البارئ تعالى كأنه قيل : لا عاصمَ اليومَ إلا الراحم ، وهو قول الطبري .

الثالث : أن عاصماً بمعنى مَعْصوم ، وفاعلٍ قد يجيءُ بمعنى مفعول نحو : ماء دافق ، أي : مدفوق ، و(منَ) مرادٌ بها المعصومُ ، والتقدير : لا معصومَ اليومَ منَ أمرِ الله إلا منَ رحمه الله فإنه يُعصَم .

الرابع : أن يكون "عاصم" هنا بمعنى النَّسَب ، أي : ذا عِصمة نحو : لابن ، وتامر ، وذو العِصمة ينطلق على العاصم وعلى المعصوم ، والمرادُ به هنا المَعْصوم (١)

وقد رجح النحاس رأي الطبري بقوله : " ويجوز لا عاصم اليوم تكون (لا) بمعنى ليس "إلا من رحم" في موضع نصب استثناء ليس من الأول ويجوز أن تكون في موضع رفع على أن عاصماً بمعنى معصوم مثل ﴿ماء دافق﴾ ومن أحسن ما قيل فيه أن يكون من في موضع رفع والمعنى: لا يعصم اليوم من أمر الله إلا الراحم أي: إلا الله جل وعز ، ويحسن هذا لأنك لم تجعل عاصماً بمعنى معصوم فتخرجه من بابهِ" (٢) وهو على هذه التقادير استثناءً متصلٌ ، وقد جعله الزمخشري متصلاً لمَدْرَكٍ آخرَ ، وهو حذفُ مضافٍ تقديرُهُ : لا يعصمك اليومَ معنصمٍ قط منَ جبلٍ ونحوه سوى معنصمٍ واحد ، وهو مكان منَ رحمهم الله ونجّاهم ، يعني في السفينة (٣)

١ الدر المصون في علم الكتاب المكنون ، للسمين الحلبي ١ / ١٢٤٢٤

٢ - إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، ت ٣٣٨ هـ ، تحقيق : د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، بيروت ، ٢ / ٢٨٥

٣ - تفسير الزمخشري ٢ / ٣٧٥

المبحث التاسع

سورة النحل

المطلب الأول

القول في جواب (من) في الآية: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ

بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾

أولاً : تفسير الآية :

قال الطبري في قوله تعالى : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ

شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١)

" أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر وقوم كانوا أسلموا ففتنتهم المشركون عن دينهم، فنبت على الإسلام بعضهم وافتتن بعض ... ، فتأويل الكلام إذن: من كفر بالله من بعد إيمانه، إلا من أكره على الكفر ، فنطق بكلمة الكفر بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان، موقن بحقيقته ، صحيح عليه عزمه ، غير مفسوح الصدر بالكفر ، لكن من شرح بالكفر صدرا فاختاره وآثره على الإيمان ، وباح به طائعا، فعليهم غضب من الله ، ولهم عذاب عظيم" (٢)

ثانياً: القول في جواب (من) في الآية :

قال الطبري : " اختلف أهل العربية في العامل في (مَنْ) من قوله ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾

وَمِنْ قَوْلِهِ ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ ، فقال بعض نحويي البصرة: صار قوله ﴿

فَعَلَيْهِمْ﴾ خبراً لقوله ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ ، وقوله ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ﴾

فأخبر لهم بخبر واحد، وكان ذلك يدل على المعنى(٢)، وقال بعض نحويي الكوفة:

إنما هذان جزءان اجتماعاً، أحدهما منعقد بالآخر، فجوابيهما واحد كقول القائل: من يأتنا فمن يحسن نكرمه، بمعنى: من يحسن ممن يأتنا نكرمه، قال : وكذلك كل

١ - سورة النحل ، الآية ١٠٦

٢ - الطبري ، ١٧ / ٣٠٥

٣ - قول الأخفش في معاني القرآن ، ٦٨/٢

جزاين اجتماعا الثاني منعقد بالأول، فالجواب لهما واحد ، وقال آخر من أهل البصرة: بل قوله ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾ مرفوع بالردّ على الذين في قوله ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (١) ومعنى الكلام عنده: إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه، إلا من أكره من هؤلاء وقلبه مطمئن بالإيمان ، وهذا قول لا وجه له ، وذلك أن معنى الكلام لو كان كما قال قائل هذا القول، لكان الله تعالى ذكره قد أخرج ممن افتري الكذب في هذه الآية الذين ولدوا على الكفر وأقاموا عليه ، ولم يؤمنوا قطّ وخصّ به الذين قد كانوا آمنوا في حال، ثم راجعوا الكفر بعد الإيمان ، والتنزيل يدلّ على أنه لم يخصص بذلك هؤلاء دون سائر المشركين الذين كانوا على الشرك مقيمين، وذلك أنه تعالى أخبر خبر قوم منهم أضافوا إلى رسول الله ﷺ افتراء الكذب، فقال: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٢)، وكذب جميع المشركين بافتراءهم على الله وأخبر أنهم أحقّ بهذه الصفة من رسول الله ﷺ، فقال: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ، ولو كان الذين عنوا بهذه الآية هم الذين كفروا بالله من بعد إيمانهم، وجب أن يكون القائلون لرسول الله ﷺ ، إنما أنت مفتر حين بدلّ الله آية مكان آية، كانوا هم الذين كفروا بالله بعد الإيمان خاصة دون غيرهم من سائر المشركين ، لأن هذه في سياق الخبر عنهم، وذلك قول إن قاله قائل ، فبين فسادهم مع خروجه عن تأويل جميع أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي أن الرفع —(من) الأولى والثانية، قوله ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾ والعرب تفعل ذلك في حروف الجزاء إذا استأنفت أحدهما على آخر" (٣)

١ - سورة النحل ، من الآية ١٠٥

٢ - سورة النحل ، الآية ١٠١

٣ - تفسير الطبري ، ١٧ / ٣٠٤

التعليق : رجح الطبري قول الأخفش ، ووافق أبو حيان الطبري في أن الجملة الأولى مستقلة وغير مرتبطة بالثانية واختلف معه ومع الأخفش في جواب ﴿ فعلهم ﴾ للثنتين فهو يرى أنهما جملتان شرطيتان ، وقد فصل بينهما بأداة الاستدراك ، فلا بد لكل واحدة منهما على انفرادها من جواب لا يشتركان فيه ، وتقدير الحذف أجري على صناعة الإعراب .

قال أبو حيان : " ﴿ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا ﴾ أجاز الحوفي والزمخشري : أن تكون بدلاً من الذين لا يؤمنون ، ومن الكاذبون ، ولم يجز الزجاج إلا أن يكون بدلاً من الكاذبون ، لأنه رأى الكلام إلى آخر الاستثناء غير تام ، فعلقه بما قبله ، وأجاز الزمخشري أن يكون بدلاً من أولئك ، فإذا كان بدلاً من الذين لا يؤمنون فيكون قوله : وأولئك هم الكاذبون ، جملة اعتراض بين البديل والمبدل منه ، والمعنى : إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ، واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ، وإذا كان بدلاً من الكاذبون فالتقدير : وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه ، وإذا كان بدلاً من أولئك فالتقدير : ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون

وهذه الأوجه الثلاثة عندي ضعيفة ؛ لأن الأول يقتضي أنه لا يفترى الكذب إلا من كفر بالله من بعد إيمانه ، والوجود يقتضي أن من يفترى الكذب هو الذي لا يؤمن ، وسواء كان ممن كفر بعد الإيمان أنه كان ممن لم يؤمن قط ، بل من لم يؤمن قط هم الأكثرون المفترون الكذب ، وأما الثاني فيؤول المعنى إلى ذلك ، إذ التقدير : وأولئك أي الذين لا يؤمنون هم من كفر بالله من بعد إيمانه ، والذين لا يؤمنون هم المفترون ، وأما الثالث فكذلك ، إذ التقدير : أن المشار إليهم هم من كفر بالله من بعد إيمانه ، مخبر عنهم بأنهم الكاذبون ، وقال الزمخشري : ويجوز أن ينتصب على الذم انتهى ، وهذا أيضاً بعيد ، والذي تقتضيه فصاحة الكلام جعل الجمل كلها مستقلة لا ترتبط بما قبلها من حيث الإعراب ، بل من حيث المعنى .

وقال أبو حيان : "وقال ابن عطية : وقالت فرقة من في قوله من كفر ابتداء ، وقوله : من شرح تخصيص منه ، ودخل الاستثناء لإخراج عمار وشبهه ، ودنا

من الاستثناء الأول الاستدراك ولكن وقوله : فعليهم ، خبر عن مَنْ الأولى والثانية ، إذ هو واحد بالمعنى لأن الإخبار في قوله : من كفر ، إنما قصد به الصنف الشارح بالكفر انتهى ، وهذا وإن كان كما ذكر فهاتان جملتان شرطيتان ، وقد فصل بينهما بأداة الاستدراك ؛ فلا بد لكل واحدة منهما من جواب على انفراده لا يشتركان فيه ، فنقدير الحذف (١) أخرى على صناعة الإعراب " (٢) (٣)

١ - تقدير الحذف : أن يكون قوله مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ شرطاً مبدئياً ويحذف جوابه لأن جواب الشرط المذكور بعده يدل على جوابه كأنه قيل من كفر بالله من بعد إيمانه فعليهم غضب من الله إلا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ، أنظر : مفاتيح الغيب ، تأليف : الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م ، ط ١ ، ٢٠ ، ٩٧/ .

٢ - البحر المحيط ، ٥ / ٥٢١

٣ - انظر : تفسير المحرر الوجيز لابن عطية ، ٣ / ٤٢٨

خاتمة

- نتائج البحث .
- توصيات البحث .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد : بحمد الله تعالى وتوفيقه وصلت إلى خاتمة هذا الجهد المتواضع ، وآمل أن أكون قد بينت جانباً من شخصية الإمام محمد بن جرير الطبري ، وبينت كذلك جوانباً من جهوده وآرائه النحويّة وحققت غاية البحث ؛ وهو نفع الدارسين ، بدأت البحث بمقدمة وتمهيد ، احتوت الأولى على موضوع وخطة البحث ، والثانية علي ملامح من العصر الذي عاش فيه الإمام محمد بن جرير الطبري ، ثمّ قسمت البحث إلى ثلاثة أبواب ، ذكرت في الباب الأول: حياة الإمام ابن جرير الطبري ، تناولت : اسمه ، وكنيته ونسبه ، ومولده ، ونشأته ووفاته ، ورحلاته في طلب العلم ، وصفاته وأخلاقه ، وثناء العلماء عليه ، وشيوخه وتلاميذه ، ومصنفاته ، ووفاته ، وذكرت في الباب الثاني: شخصية الطبري النحوية، تناولت فيه : مصادر الطبري النحوية ومذهبه النحوي ، وموقف الطبري من المذهبين البصري والكوفي ، واعتداده بأصالة اللفظ القرآني ، وعرض آراء النحاة المختلفة ، واعتراضاته على النحاة مع بيان رأيه ، واستخدام أسلوب الحجة والإقناع ، وموقف الطبري من القراءات القرآنية ، ونماذج توضح دقة الطبري في التفسير ، وذكرت في الباب الثالث: الجهود النحوية للطبري وقد احتوى على فصلين ، الأول : في تفسير المفردات وذكر استعمالاتها ، والثاني : في تفسير الجمل وذكر إعرابها ، وعلى ضوء ما سبق يمكن للباحث أن يجمل بعض النتائج والتوصيات :

أولاً : النتائج :

- ١- شهد عصر الطبري تعدداً معرفياً وثقافياً تجلّى في مجالات عديدة ، ويعد عصر الطبري من أخصب عصور العلم والمعرفة عند المسلمين .
- ٢- شهد عصر الطبري أوضاعاً سياسية مضطربة تعاقب على حكمها أحد عشر خليفة من بني العباس انتهى حكم معظمهم بالقتل أو الخلع .

- ٣- أظهرت الدراسة اعتداد الطبري بأصالة اللفظ القرآني ؛ فكانت جهوده موجه إلى ذلك الأصل ما أمكن توجيهه إلى ذلك سبيلا .
- ٤- أظهرت الدراسة قوة حجج الطبري النحوية .
- ٥- أظهرت الدراسة كذلك اختيارات الطبري الصحيحة للقراءات القرآنية المختلفة.
- ٦- اعتمد ابن جرير الطبري في جهوده النحوية على ثقافته الواسعة بالنحو وبآراء النحويين المختلفة من المذهبين ، ومن كتب النحويين التي اعتمد عليها في تفسيره : معاني القرآن للفراء ، ومعاني القرآن للأخفش .
- ٧- أكثر المسائل النحوية التي تناولها الطبري تعود إلى الخلاف بين المذهبين البصري والكوفي .
- ٨- احتوى تفسير الطبري كثيراً من المسائل النحوية .
- ٩- استدرك الطبري من خلال تفسيره على كثير من النحويين من المذهبين ، ومن خلال عرض آراء النحاة المختلفة ، جاءت أكثرها موافقة له .
- ١٠- أظهرت الدراسة وجود آراء نحوية خاصة بالإمام الطبري .
- ١١- أظهرت الدراسة آراء واختيارات الطبري النحوية وهي إضافة للدرس النحوي.
- ١٢- بيّنت الدراسة مذهب الطبري النحوي وكذلك عدم تعصبه لمذهبه .
- ١٣- ترك تفسير الطبري وجهوده النحوية أثراً واضحاً في كتب التفسير الأخرى ، مثل كتاب : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي ، وكتاب البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي .
- ١٤- ظهرت شخصية الطبري النحوية واضحة من خلال تفسيره ؛ ويدل على ذلك رده على أقوال العلماء المختلفة ؛ ويمكن أن يقال إنه من كبار علماء النحو .

١٥- يعتبر تفسير الطبري من أجل الكتب وأعظمها ؛ لاشتماله على عدد من العلوم الإسلامية .

ثانياً : التوصيات :

ما نوصي به في ختام هذا البحث ؛ مما قد يفيد الدارسون ، وينتفعوا به :

- ١- أهمية تناول كتب التفسير بالدراسات المختلفة ولا سيما النحوية ؛ فهي تعد مصدراً خصباً للبحوث النحوية في كونها تتناول أصح وأسمى لغات العرب ، وفي كونها إحدى المصادر التي تشتمل على جهود سابقة لعلماء لم تصل إلينا جميع مؤلفاتهم ، وتقود إلى الغاية المنشودة وهي فهم وتدبر آيات القرآن الكريم
- ٢- على معلّمي النحو الاستفادة من جهود ابن جرير الطبري النحويّة التي تربط بين تفسير الآية وإعرابها .
- ٣- تناولت الدراسة النصف الأول من القرآن الكريم ، وقد أتاحت للباحثين دراسة النصف الثاني .
- ٤- ذكر الطبري في تفسيره جانباً من المسائل الصرفية ، على الباحثين النظر فيها .
- ٥- ذكر الطبري كثيراً من الشواهد الشعرية ، أيضاً يمكن تناولها بالدراسة .
- ٦- تعتبر شخصية الطبري أحد الشخصيات التي يمكن الإقتداء بها ، ومن أبرز سماتها : الأخلاق الفاضلة ، الجدية في طلب العلم والصبر عليه ، عدم التعصب لمذهب معين والسعي إلى الأعمال الصالحة التي ينال بها الإنسان الخير في الدنيا والآخرة .

فهارس عامة

■ فهرس الآيات القرآنيّة

■ فهرس الأبيات الشعريّة

■ فهرس الأعلام

■ فهرس المصادر والمراجع

■ فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	رقم الآية	السورة	الصفحة
١	﴿ مَا لِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾	٤	الفاحة	٨١
٢	﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	٢	البقرة	٤٩
٣	﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾	٧	البقرة	٨٠
٤	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾	٨	البقرة	٩٤
٥	﴿ وَإِذْ قَالُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾	١٤	البقرة	٩٤
٦	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾	٣٠	البقرة	٩٧ ، ٩٩
٧	﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾	٣١	البقرة	٨٩
٨	﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ﴾	٢٨	البقرة	٩٧ ، ١٠٠ ،
٩	﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ ﴾	٥٠	البقرة	١٠٠
١٠	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	٦٣	البقرة	٦٠
١١	﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾	٧٤	البقرة	١٠١
١٢	﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ﴾	٨٧	البقرة	١٠٧
١٣	﴿ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	١٠٠	البقرة	١٠٦

١٤	﴿ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سَأَلَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ ﴾	١٠٨	البقرة	١٠٨
١٥	﴿ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾	١٨٤	البقرة	٧١
١٦	﴿ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ ﴾	١٩٦	البقرة	١٧٨
١٧	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾	٢١٧	البقرة	٤٩ ، ٦٦ ، ١٢١
١٨	﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾	٢٥٩	البقرة	٨٧
١٩	﴿ وَيُكْفِّرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾	٢٧١	البقرة	٥٩
٢٠	﴿ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾	١١٠	آل عمران	١٣٨
٢١	﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ﴾	١١٢	آل عمران	١٣٦
٢٢	﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾	١١٣	آل عمران	١٣٨
٢٣	﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ ﴾	١٦٠	آل عمران	٧٥
٢٤	: ﴿ فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا ﴾	٤	النساء	٦٩
٢٥	﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ﴾	١١	النساء	٤٨
٢٦	﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	٢٦	النساء	١١٢
٢٧	﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾	٤٦	النساء	١٤٣

٢٨	﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾	٦٩	النساء	١٤٦
٢٩	﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾	٨٨	النساء	١٤٩
٣٠	﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾	١٢٤	النساء	٥٨
٣١	﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾	١٦٢	النساء	١٥١
٣٢	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	١٧٠	النساء	٧١
٣٣	﴿ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهَىٰ خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾	١٧١	النساء	٧٢
٣٤	﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾	١٧٥	النساء	١٨١
٣٥	﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ﴾	٤	المائدة	٥٩
٣٦	﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَرْتُمْ أَوْهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾	١٢	المائدة	٥١ ، ١٥٥
٣٧	﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	٥٠	المائدة	١٠٨
٣٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾	١٠٦	المائدة	١٥٧

٣٩	﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾	١٢	الأنعام	١٦١
٤٠	﴿ كُتِبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ﴾	٥٤	الأنعام	١٦١
٤١	﴿ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٧١	الأنعام	١١٣
٤٢	﴿ فَبِهَدَاهُمْ اقْتَدِهِ ﴾	٩٠	الأنعام	٨٧
٤٣	﴿ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴾	٤	الأعراف	٧٧ ١٠٥٠
٤٤	﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾	١٢	الأعراف	١١٦
٤٥	﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴾	٢٦	الأعراف	١٦٧
٤٦	﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رَسُولُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تُلْكُمُ الْجَنَّةَ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	٤٣	الأعراف	٧٣
٤٧	﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ﴾	٤٤	الأعراف	٧٤
٤٨	﴿ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾	٥٦	الأعراف	١٧٠
٤٩	﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُنَّا كَثِيرًا ﴾	٨٦	الأعراف	١٠٠
٥٠	﴿ وَقَطَعْنَا هُمْ اثْنَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا ﴾	١٦٠	الأعراف	١٧٥

٥٣	الأعراف	١٦١	﴿وَإذ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾	٥١
٥٤	الأعراف	١٦٤	﴿وَإذ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذْرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾	٥٢
٨٦	الأنفال	٦٦	﴿وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾	٥٣
١١٣	التوبة	٣٢	﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾	٥٤
١٥٢	التوبة	٦١	﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	٥٥
١٢١	التوبة	٩٥	﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَعْرَضُوا عَنْهُمْ﴾	٥٦
٥٦	التوبة	١٠٢	﴿وَآخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	٥٧
٧٤	التوبة	١١٣	﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾	٥٨
٧٥	التوبة	١٢٢	﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرٌ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾	٥٩
٨٦	يونس	٢٢	﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾	٦٠
١٧٨	يونس	٢٧	﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بَمِثْلِهَا وَتَرَهُمْ ذُلًّا مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾	٦١
٧٥	يونس	٣٧	﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يَقْرَأَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾	٦٢
١٠٨	يونس	٥١	﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ آمْنُكُمْ بِهِ الْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾	٦٣
٩١	يونس	٧٧	﴿قَالَ مُوسَىٰ اتَّقُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسْحَرُ هَذَا﴾	٦٤

٥٢	يونس	٨٣	﴿ فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾	٦٥
١٢٠ ١٢٣،	يونس	٨٨	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾	٦٦
٧٥	يونس	١٠٠	﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ ﴾	٦٧
١٨١	هود	٤٣	﴿ قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مِنْ رَّحْمٍ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾	٦٨
٨٩	هود	٤٥	﴿ رَبِّ إِنِّي نَبِيٌّ مِّنْ أَهْلِ قَوْمٍ لَّا يَحْكُمُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَظَاهِرٌ لِّكَافِرِينَ ﴾	٦٩
١٧٢	هود	٦٧	﴿ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ ﴾	٧٠
١٢٧	هود	٧١	﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكْتُمْ فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾	٧١
١٢٥	هود	٧٢	﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْثٌ لِّىَ شَيْخًا إِذَا هَذَا الشَّيْءُ عَجِيبٌ ﴾	٧٢
١٧٤	هود	٨٣	﴿ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾	٧٣
٦٠	هود	١٠٨	﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴾	٧٤
١٦٢	يوسف	٣٥	﴿ ثُمَّ بَدَأ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا آيَاتِ لَيْسَ جُنَّتْهُ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾	٧٥
٨٣	يوسف	٢٩	﴿ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا ﴾	٧٦
٥٢ ١٥٧،	يوسف	٨٢	﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾	٧٧

٦٥ ١٢٠٠	الرعد	١٠	﴿ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠) لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ﴾	٧٨
٦٢ ١٢٨٠	الرعد	١١	﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾	٧٩
٨٨	النحل	٣٠	﴿ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾	٨٠
٨٨	النحل	٢٤	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾	٨١
١	النحل	٤٤	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾	٨٢
٧٠	النحل	٦٦	﴿ نَسْتَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ ﴾	٨٣
٨٨	النحل	٩٨	﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾	٨٤
١٨٥	النحل	١٠٥	﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾	٨٥
١٨٤	النحل	١٠٦	﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	٨٦
٩٢	الإسراء	٧	﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لَيْسُوا وَآجُوهُكُمْ ﴾	٨٧
١٢٥	الإسراء	١١	﴿ وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ﴾	٨٨
٤٩	الكهف	٣٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾	٨٩
١٠٨	الكهف	٥٠	﴿ أَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾	٩٠
١٢٥	الكهف	٦٤	﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ فَارْتَدَّ عَلَيَّ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾	٩١
٥٧	طه	٤-١	﴿ طه (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذَكُّرًا لِمَنْ يَخْشَى (٣) ﴾	٩٢

			﴿ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴾	
٨٢	طه	١٠٨	﴿ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ ﴾	٩٤
٨٢	الأنبياء	٢٨	﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾	٩٥
٤٨	الأنبياء	٩٠	﴿ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ﴾	٩٦
٦٩	الحج	٥	﴿ ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾	٩٧
٧٠	المؤمنون	٢١	﴿ نَسْتَقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا ﴾	٩٨
٦٩	الشعراء	١٦	﴿ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	٩٩
١٢٠	القصص	٨	﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾	١٠٠
١٢٢	القصص	٧٧	﴿ وَأَتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ ﴿ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴾	١٠١
١٧٣	الأحزاب	٦٣	﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴾	١٠٢
١٠٢	سبأ	٢٤	﴿ وَإِنَّا أَوْ أِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾	١٠٣
١٠٢، ١٠٤	الصفات	١٤٧	﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾	١٠٤
١٤٣	الصفات	١٦٤	﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴾	١٠٥
٧٤	ص	٦	﴿ وَأَنْطَلِقَ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشَوْا ﴾	١٠٦
١	ص	٢٩	﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾	١٠٧
٨٢	غافر	١٦	﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ ﴿ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾	١٠٨
٥٦	فصلت	١٢	﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾	١٠٩

٧٤	الشورى	١٣	﴿ أَنْ أَقِيمُوا ﴾	١١٠
١١٣	الشورى	١٥	﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾	١١١
٧٠	الزخرف	١٣	﴿ لَتَسْمُؤُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾	١١٢
١٠٨	الزخرف	٤٠	﴿ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ ﴾	١١٣
٨١	الجاثية	٢٣	﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ﴾	١١٤
٦٩	ق	١٧	﴿ إِذِ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴾	١١٥
١٢٧	الذاريات	٢٨	﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بِنِعْمَةٍ عَلِيمٍ * فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾	١١٦
١١٣	الصف	٨	﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ ﴾	١١٧
٩٥	الصف	١٤	﴿ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾	١١٨
٥٢	الطلاق	١	﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ ﴾	١١٩
٦٠	نوح	١	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ ﴾	١٢٠
١٢١	الجن	١٧	﴿ لِأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ ﴾	١٢١
١٥٠	المدثر	٤٩	﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾	١٢٢
١٠٣	الإنسان	٢٤	﴿ وَلَا تَطْعَمْنَاهُمْ مِنْ ثَمَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتُواكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّجْمِ كَاسْفُوفٍ يَأْفِكُونَ ﴾	١٢٣
٨٢	النبا	٣٨	﴿ لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾	١٢٤
١٨٢	الطارق	٦	﴿ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴾	١٢٥
١٨٢	القارعة	٧	﴿ فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾	١٢٦

فهرس الشواهد الشعرية

الرقم	البيت أو الشاهد	القائل	الصفحة
قافية الباء			
١	<p>لن تستطيع لأمر الله تعقبا</p> <p>فاستجد الصبر أو فاستشعر الحوبا وافزع إلى كنف التسليم وارض بما قضى المهيمن مكروها</p> <p>ومحبوبا لكن فقدان من أضحى بمصرعه نور الهدى وبهاء العلم مسلوبا</p> <p>إن المنية لم تتلف به رجلا</p> <p>بل أتلفت علما لدين منصوبا</p> <p>لا يأمن العجز والتقصير مادحه</p> <p>ولا يخاف على الإطناب تكذيبا ودت بقاع بلاد الله لوجعلت</p> <p>قبرا له فحباها جسمه طيبا</p> <p>كانت حياتك للدينا وساكنها</p>	أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد	٤٥

		نورا فأصبح عنها النور محبوبا لوتعلم الأرض ماوارت لقد خشعت أقطارها لك إجلالا وترحيبا	
٨٤	تابط شرا	كذبتُم وبيت الله لا تتكحونها بني شاب قرناها تصرُّ وتحلبُ	٢
١٢١	البيت بلا نسبة	سموت ولم تكن أهلا لتسمو ولكن المضيع قد يصابُ	٣
١٣٩	أبو ذئيب	عصيت إليها القلب إنني لأمرها سميع، فما أدري أرشد طلابها	٤
		قافية الادل	
٩٨	الأسود بن يعفر	فإذا وذلك لامهاه لذكره والدهر يعقب صالحا بفساد	٥
٩٨	عبد مناف بن ربيع الهزلي	حتى إذا أسلكوهم في قتائده شلا كما تطرد الجمالة الشرذا	٦
٩٩	بلا نسبة	فإذا وذلك لا يضرك ضره في يوم أسأل نائلا أو أنكذ	٧
١٠٤	النابعة الذبياني	قالت ألا ليما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد	٨
١٣٦	أبو الطمحان القيني	حننتي حانيات الدهر حتى كأنني خاتل أدنو لصيد قريب الخطو يحسب من رأني ولست مقيدا أني بقيد	٩
١٧١	عروة بن حزام	عشيّة لا عرفاء منك قريبة	١٠

	بن مهاجر	فَتَدْنُو وَلَا عَفْرَاءُ مِنْكَ بَعِيدُ	
		قافية الهاء	
٩٥	القحيف العقيلي	إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا	١١
١٥٤	ابن خياط العكلي	وكل قوم أطاعوا أمر سيدهم إلا نميرا أطاعت أمر غاويها الظاعنين ولما يظعنوا أحدا والقائلون لمن دار نخليهـا	١٢
		قافية الحاء	
٩٢	ذو الرمة	فَلَمَّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ ، أَوْ حِينَ نَصَبْتَ لَهُ مِنْ خَدًّا آذَانِهَا وَهُوَ جَانِحُ	١٣
		قافية الياء	
٥٥	بلا نسبة	أَبِيدُوا بِأَيْدِي عَصَبَةٍ وَسِيوفِهِمْ عَلَى أَمْهَاتِ الْهَامِ ضَرْبًا شَامِيَا	١٤
١٠٣	أبو الأسود الدؤلي	أحب محمدا حبا شديدا وعباسـا وحمـزة والوصـيا فإن يك حبهـم رشدا أصبه ولست بمخطئ إن كان غيا	١٥
١٢٧	أبو الطيب المتنبي	كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا	١٦
		قافية الـلام	
٧٢	عمر بن أبي ربيعة	فَوَاعِيْدِهِ سَرَحَتْ يَمِي مَالِكِ أَوْ الرَّبُّبِي	١٧

		بَيْنَهُمَا مَا أَسْهَى لَـ	
٧٣	الأعشى ميمون بن قيس	فِي فِتْيَةٍ كَسِيُوفِ الْهِنْدِ، قَدْ عَلِمُوا أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يَحْفَى وَيَنْتَعِلُ	١٨
٨٣	حضرمي بن عامر	إِنْ كُنْتُ أَزْنَنْتَنِي بِهَا كَذِبًا جَزَاءٌ ، فَلَاقَيْتَ مِثْلَهَا عَجِلاً	١٩
١٠٩	الأخطل	كَذَبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطَ غَلَسِ الظَّلامِ مِنَ الرَّبَابِ خِيَالًا	٢٠
١١٦	كثير عزة	أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ	٢١
١١٦	بلا نسبة	أَبَى جُودُهُ لَا الْبُخْلَ، وَاسْتَعْجَلَتْ بِهِ نَعَمْ، مِنْ فَتَى لَا يَمْنَعُ الْجُوعَ قَاتِلَهُ	٢٢
١١٧	بلا نسبة	مَا إِنْ رَأَيْنَا مِثْلَهُنَّ لِمَعَشَرِ سُودِ الرُّؤُوسِ، فَوَالجِ وَفِيُولُ	٢٣
١٣٩	بلا نسبة	أَرَاكَ فَلَا أَدْرِي أَهْمٌ هَمَمْتُهُ ؟ وَذُو الْهَمِّ قَدِمًا خَاشِعٌ مُتَضَائِلُ	٢٤
١٤٣	ذو الرمة	فَظَلُّوا، وَمِنْهُمْ دَمْعُهُ سَابِقٌ لَهُ وَآخِرُ يَتْنِي دَمْعَةُ الْعَيْنِ بِالْهَمْلِ	٢٥
		قَافِيَةُ الْمِيَمِ	
٥٠	جرير بن عطية	إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرَبَلَهُ سِرْبَالِ مُلْكٍ بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِيمُ	٢٦
٩٩	النمر بن تولى	فَإِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنْ يَخْشَاهَا فَسَوْفَ تُصَادِفُهُ أَيُّنَمَا	٢٧

٢٨	فَلَا يَنْبَسِطُ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انزَوَى وَلَا تَلْقَنِي إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ	الأعشى ميمون بن قيس	١٢٣
	قافية النون		
٢٩	بَاتَتْ تَشْكِي إِلَى النَّفْسِ مُجْهَشَةً وَقَدْ حَمَلْتِكِ سَبْعًا بَعْدَ سَبْعِينَا	لبيد بن ربيعة	٨٥
٣٠	وللمنايا تربي كل مرضة وللخراب يجد الناس عمرانا	البيت بلا نسبة	١٢١
٣١	كَأَنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِي أَقْيَشٍ يُقَعِّعُ خَلْفَ رَجْلَيْهِ بِشَنٍّ	النابعة الذبياني	١٤٣
	قافية السين		
٣٢	وَبَلَدَةٌ لَيْسَ بِهَا أَنْبَسُ إِلَّا الْيَعَافِيرُ وَإِلَّا الْعَيْسُ	بشر بن أبي حازم	١٨١
٣٣	دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبُغْيَتِهَا وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي	الخطيبة	١٨٢
	قافية العين		
٣٤	أَرَدْتَ لِكَيْمَا أَنْ تَطِيرَ بِقُرْبَتِي فَتَتْرُكْهَا شَنَا بَبِيْدَاءَ بَلْقَعِ	بلا نسبة	١١٣
	قافية الفاء		
٣٥	نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ	عمرو بن امرئ القيس	٧٠
	قافية الصاد		
٣٦	أَكْأَشِرُهُ وَأَعْلَمُ أَنْ كِلَانَا	عدي بن أبي زيد	٧٣

		عَلَى مَا سَاءَ صَاحِبُهُ حَرِيصٌ	
		قافية الراء	
٤٥	أبو سعيد بن الأعرابي	حدث مفتح وخطب جـ _____ يل دق عن مثله اصطبار الصبور قام ناعي العلوم اجمـ _____ ع لـ _____ ما قام ناعـ _____ ي محمـ _____ د بـ _____ ن جـ _____ رير فـ _____ هـ _____ ت أنجم لـ _____ ها زاهـ _____ رات مؤذـ _____ نـ _____ ات رسومـ _____ ها بالـ _____ دثور يا أبا جعفر مضيت حميـ _____ دا غير وانٍ في الجد والتشمـ _____ ير بين أجر على اجتهادك موفور وسعى إلى التقى مشكـ _____ ور مستحقا به الخلود لدى جنـ _____ ة عدن فـ _____ ي غبـ _____ طـ _____ ة وسـ _____ رور	٣٧
٦٩	أبو زؤيب الهذلي	أَلَكِنِّي إِلَيَّهَا وَخَيَّرُ الرَّسُولَ أَعْلَمُهُمْ بِنَوَاحِي الْخَبَرِ	٣٨

٧٠	الفرزدق	إِنِّي ضَمِنْتُ لِمَنْ أَتَانِي مَا جَئَنِي وَأَبِي فَكَانَ وَكُنْتُ غَيْرَ غَـذُورِ	٣٩
٨٥	أبو كبير الهذلي	يَا لَهْفَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةُ خَالِدٍ وَبَيَاضُ وَجْهِكَ لِلتُّرَابِ الْأَعْفَرِ	٤٠
١٠٤	جرير بن عطية	نال الخلافة أو كانت له قدرا كما أتى ربه موسى على قدر	٤١
١٥٤	الخرنق بن هفان	لا يبعدن قومي الذين هم سم العـدـاة وآفـة الجـزر النازليـن معتـرك والطيبـون معاقد الأزر	٤٢
١٧٤	امرؤ القيس	له الويل إن أمسى ولا أم هاشم قريب ولا البسباسة ابنة يشكرا	٤٣
١٧٦	بلا نسبة	وَإِنَّ كِلَابًا هَذِهِ عَشْرُ أَبْطُنٍ وَأَنْتَ بَرِيءٌ مِنْ قِبَائِلِهَا العشـر	٤٤
		قافية القاف	
٢٧	ابن جرير	إذا أعسرت لم يعلم رفيقي	٤٥

	الطبري	<p>وأستغني فيستغني صديقي حيائي حافظٌ لي ماءً وجهي ورفقي في مرافقتي رفيقي ولو أني سمحتُ ببذل وجهي لكنتُ إلى الغنى سهلَ الطريق</p>	
١٣٥	حميد بن ثور الهلاي	<p>رَأْتِي بِحَبْلَيْهَا فَصَدَّتْ مَخَافَةً وَفِي الْحَبْلِ رَوْعَاءُ الْفُؤَادِ فَرُوقُ</p>	٤٦
١٤٧	جرير بن عطية	<p>دَعَوْنَ الْهَوَى، ثُمَّ ارْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا بِأَسْهُمِ أَعْدَاءِ، وَهَنَّ صَدِيقُ</p>	٤٧

فهرس الأعلام

الرقم	العلم	الصفحة
١	إبراهيم بن المقدام أبو الأشعث	٣٦
٢	ابن جريج	٥٣ ، ٥٤
٣	ابن خلكان	٤٤،٣٤
٤	الإمام البخاري	١٥
٥	ابن عباس	٤٤، ٤٢، ٤٠ ٦٣، ٥٤، ٥٣، ١٠٢، ٨٤،
٦	ابن عطية	١٣٤، ٨، ٣ ١٣٨، ١٣٧، ١٥٤، ١٥٣، ١٥٨، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٠، ١٨٦، ١٧٣، . ١٩٠،
٧	شيخ الإسلام ابن تيمية	٣٣
٨	ابن ماجة	١٩٠
٩	ابن هشام الأنصاري	، ١٠٠، ٨، ٢ ١٧٤ ، ١١٥ ١٧٧،
١٠	ابن وهب	٥٣ ، ٢٥
١١	أبو اسحق الزجاج	، ٤٠ ، ٣، ٨ ، ١٣٧ ، ١٣٣ ، ١٥٩ ، ١٣٨ ، ١٦٥ ، ١٦٤

١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨٦		
٧	أبو البركات ابن الأنباري	١٢
٣٢	أبو الحسن الأشعري	١٣
٣٧	أبو الحسن علي بن سراج المصري	١٤
٣٧	أبو الحسين النيسابوري	١٥
٣٠	أبو بكر محمد بن اسحق أبو خزيمة	١٦
٤٠	أبو جعفر الرستمي	١٧
٣١	أبو حامد الأسفراييني	١٨
١٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٤١	أبو حنيفة	١٩
٤٠ ، ١٨٠	أبو حسن بن كيسان	٢٠
٢ ، ٣ ، ٨ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٧٩ ، ١٨٥ ، ١٨٦	أبو حيان	٢١

١٩٠		
١٥	أبو داوود	٢٢
٤٤	أبو سعيد بن الأعرابي	٢٣
٤١	أبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني	٢٤
٣٣	أبو علي الحسن بن علي الأهوازي	٢٥
٣١	أبو علي الطوماري	٢٦
٣٥، ٢٥، ٢٤ ٨٢،	أبو كريب محمد بن علاء الهمزاني	٢٧
٣١	أبو محمد عبد العزيز بن محمد الطبري	٢٨
٤١	أبو يوسف يعقوب بن محمد الأنصاري	٢٩
٣٧	أحمد بن أبي طالب الكاتب	٣٠
٣٥، ٢٤ ٣٧	أحمد بن حماد الدولابي	٣١
٢٤، ١٦، ١٥	أحمد بن حنبل	٣٢
٢٣، ٢٢ ٤٠، ٣٩، ٣٧	أحمد بن كامل بن شجرة	٣٣
٣٢	أحمد بن محمد الأذروبي	٣٤
١١١	أحمد بن محمد النيسابوري	٣٥
١٥	أحمد بن يحيى بن زيد (ثعلب)	٣٦
٤٠، ١٥	أحمد بن يحيى بن ثعلب	٣٧
٦	أحمد خالد بابكر	٣٨
١٠٩	الأخطل	٣٩
١٥، ٨، ٣ ٧٥، ٤٧ ١٠٨، ١٠٧	الأخفش الأوسط	٤٠

١٧٣ ، ١٢٤ ، ١٨٥		
٣٦	إسماعيل بن موسى السدي	٤١
١٥	الإمام البخاري	٤٢
٣٦	بشر بن معاذ العقدي	٤٣
١٥	الإمام الترمذي	٤٤
٣٣ ، ٢	جلال الدين السيوطي	٤٥
٥٣	الحسن بن الزبيرقان النخعي	٤٦
٢٦	الحسن بن محمد الزعفراني	٤٧
٥٣	الحسن بن يحيى	٤٨
٥٣	حفص بن عمر	٤٩
٤٤ ، ٣٠ ، ٥	خطيب البغدادي	٥٠
٣٣ ، ١٦ ، ٤٠ ، ٣٨	الإمام الذهبي	٥١
٥٤	الربيع بن أنس	٥٢
٤١ ، ٢٥	الربيع بن سليمان	٥٣
١٠٧ ، ٨ ، ٣ ، ١١٨ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١٢٦ ، ١٢٤ ، ١٣٤ ، ١٢٩ ، ١٤٦ ، ١٤٥ ، ١٥٤ ، ١٥٣ ، ١٥٩ ، ١٥٦ ، ١٧٦ ، ١٧٠ ، ١٨٦ ، ١٨٣ ،	الزمخشري	٥٤

١٣٤	السجاوندي	٥٥
٥٣	سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري	٥٦
٦٣ ، ٥٣	سعيد بن جبير	٥٧
٤١	سفيان الثوري	٥٨
٣٧	سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي	٥٩
٨ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٨ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٨٣ ،	السمين الحلبي	٦٠
٢ ، ٣ ، ٥١ ، ٩٦ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٤٤ ، ١٥٣ ، ١٥٤	سيبويه	٦١
١٥ ، ٢٧ ، ٤١	الإمام الشافعي	٦٢
		٦٣
١٨	صالح بن وصيف	٦٤
٥٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٨	الضحاك	٦٥
٤١	عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي	٦٦
٦	عبد العزيز برهام	٦٧
٣٢	عبد العزيز بن محمد	٦٨

٦	عبد المحسن أحمد الطبطبائي	٦٩
٥٤، ٥٣، ٢ ٥٥	عكرمة	٧٠
٥١، ٤٧ ١٠٨، ١٠٧ ١٦٤، ١٢٤ ١٦٥	علي بن حمزة الكسائي	٧١
٥٣	عمار بن الحسن	٧٢
٧	عوض حمد القوزي	٧٣
١٤٥، ١٤٤ ١٦٥، ١٤٦ ١٧٠، ١٦٩	الفارسي	٧٤
١٧	فتح بن خاقان ، عبيد الله بن يحيى	٧٥
١٥، ٨، ٣ ٦٧، ٧٥، ٤٧ ٩٢، ٧٦، ١٢٤، ١١٨ ١٣٣، ١٣٢ ١٣٧، ١٣٤ ١٤١، ١٣٨ ١٤٦، ١٤٤ ١٧٣، ١٦٠ ١٧٩، ١٧٤	الفراء	٧٦
٥٣	القاسم بن الحسن	٧٧
٢٥، ١٥ ٢٧، ٢٦	الإمام مالك	٧٨

٤١ ، ٢٨		
١٦	(المتوكل على الله) جعفر أبو الفضل	٧٩
٣٦،٥٣	المتنى بن إبراهيم الأملي	٨٠
٦٨	مجاهد	٨١
٣٧	محمد بن بشار بندار الحافظ البصري	٨٢
٦١	محمد بن ثور	٨٣
٣٥ ، ٢٤	محمد بن حميد الرازي	٨٤
٣٨	محمد بن داوود بن سليمان بن سيار بن بيان الفقيه	٨٥
٣٦	محمد بن عبد الأعلى الصنعاني	٨٦
٣٨	محمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن أيوب أبوبكر القطان	٨٧
٣٧	محمد بن محمد بن يعقوب بن إسماعيل بن الحجاج بن الجراح	٨٨
٣٦	محمد بن موسى الحرشي	٨٩
١٥ ، ٤٠ ، ١٦٥ ، ١٦٤	محمد بن يزيد المبرد	٩٠
٦	محمد حماسة عبد اللطيف	٩١
١٧	(المستعين بالله) أبو العباس أحمد بن المعتصم	٩٢
١٥	الإمام مسلم	٩٣
١٨ ، ١٧	(المعتز بالله) الزبير أبو عبد الله بن المتوكل	٩٤
١٦	(المعتصم بالله) أبو اسحق محمد بن الرشيد	٩٥
١٩	(المعتضد بالله) أحمد أبو العباس طلحة بن المتوكل	٩٦
١٩	(المعتمد على الله) أبو العباس ، أبو جعفر أحمد بن المتوكل	٩٧
٤٠	المفضل بن سلمة	٩٨

٢٠	(المقتدر بالله) أبو الفضل جعفر بن المعتضد	٩٩
١٩	(المكتفي بالله) أبو محمد علي بن المعتضد	١٠٠
١٥٨ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٩	مكي بن أبي طالب	١٠١
١٧	(المنتصر بالله) محمد أبو جعفر	١٠٢
١٨	(المهتدي بالله) محمد أبو اسحاق	١٠٣
١٤ ، ١٥ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٤١	الإمام النسائي	١٠٤
٣٦	هناد بن السري	١٠٥
١٦	(الوائق بالله) هرون بن جعفر	١٠٦
١٦ ، ٢٩ ، ٤٠	ياقوت الحموي	١٠٧
٣٨	يحيى بن علي بن يحيى المنجم	١٠٨
٢٦ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٦١	يونس بن عبد الأعلى	١٠٩

فهرس المصادر والمراجع

■ القرآن الكريم

الرقم	المصدر
١	الإتقان في علوم القرآن ، تأليف : الحافظ أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مركز الدراسات القرآنية ، المملكة العربية السعودية ، ط ١ .
٢	إعراب القرآن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس ، ت ٣٣٨ هـ ، تحقيق : د. زهير غازي زاهد ، عالم الكتب ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، بيروت .
٣	أدب الكاتب لابن قتيبة ، تأليف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروري الدينوري، المكتبة التجارية - مصر ، ط ٤ ، ، ١٩٦٣ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .
٤	الأصول في النحو ، تأليف : أبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي ، تحقيق : د. عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٨ .
٥	إعراب القرآن المنسوب للزجاج ، تأليف عبد الرحمن بن اسحق البغدادي النهاوندي الزجاجي ، أبو القاسم (ت ٣٣٧هـ) ، تحقيق ودراسة إبراهيم الأبياري ، الناشر : دار الكتب الإسلامية ، دار الكتاب المصري ، دار الكتاب اللبناني
٦	الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، تأليف خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ط ١٥ ، العام ٢٠٠٢ .
٧	الأغاني ، تأليف : أبي الفرج الأصفهاني ، تحقيق : سمير جابر ، دار الفكر - بيروت ، ط ٢ .
٨	الأمالي ، تأليف : أبي علي إسماعيل القاسم القالي البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .
٩	الإنصاف في مسائل الخلاف ، بين النحويين البصريين والكوفيين ، تأليف : أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري ، دار الفكر ، دمشق .
١٠	بدائع الفوائد ، تأليف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي ، ط ١ ، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة ، ١٤١٦ - ١٩٩٦ .
١١	البيان والتبيين ، تأليف: أبي عثمان عمرو بن بحر ، تحقيق : المحامي فوزي عطوي، دار صعب - بيروت ، ط ١ ، ١٩٦٨ .

١٢	تاج العروس من جواهر القاموس ، تأليف : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، الملقّب بمرتضى ، الزبيدي ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية للنشر .
١٣	تاريخ الخلفاء للسيوطي ، تأليف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة - مصر ، ط ١ ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م .
١٤	تاريخ بغداد (مدينة السلام) وأخبار محدثيها وذكر قطانها العلماء من غير أهلها ووارديها ، تأليف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ٣٩٢هـ-٤٦٣هـ ، تحقيق : د . بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي .
١٥	تاريخ مدينة دمشق ، تأليف : الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله المعروف بابن عساكر ، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غلامة العمري ، دار لفكر للطباعة والنشر ، ط ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م
١٦	تفسير البحر المحيط ، المؤلف : محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض ، شارك في التحقيق : د. زكريا عبد المجيد النوقي ، د. أحمد النجولي الجمل ، دار الكتب العلمية لبنان بيروت ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ، ط ١ .
١٧	تفسير الدر المصون للنسب الحلبلي ، تأليف أحمد بن يوسف المعروف بالنسب الحلبلي ، تحقيق د. أحمد محمد الخراط ، دار القلم دمشق .
١٨	تفسير الشعراوي ، خواطر فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم ، أخبار اليوم ، قطاع الثقافة .
١٩	تفسير الطبري ، تحقيق أحمد عبد الرازق البكري ، محمد عادل محمد ، محمد عبد اللطيف خلف ، محمود مرسي عبد الحميد ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
٢٠	تفسير الطبري ، تحقيق الدكتور : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط ١ ، القاهرة ٢٠٠١م .
٢١	تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن ، تأليف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي ، أبو جعفر الطبري ، (٢٢٤ هـ - ٣١٠ هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م
٢٢	تفسير الكشف والبيان - تأليف : أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ، تحقيق : الإمام أبي محمد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي -

	بيروت - لبنان - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م ، ط ١ .
٢٣	تفسير المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م ، ط ١ .
٢٤	تفسير النسفي ، تأليف : أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعار ، دار النفائس ، بيروت .
٢٥	تفسير معالم التنزيل ، تأليف : محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، المتوفى ٥١٦ هـ ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط ٤ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م
٢٦	الجامع لأحكام القرآن ، تأليف : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧ هـ) ، تحقيق : أحمد البردوني ، وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٨٤ هـ .
٢٧	حاشية العلامة الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، تأليف : محمد بن علي الصبان الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١٧ هـ .
٢٨	حياة الحيوان الكبرى ، للكامل الدميري ، طبعة بولاق
٢٩	خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي ، (١٠٣٠ - ١٠٩٣ هـ) ، تحقيق محمد نبيل طريقي ، وإميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨ م ، بيروت .
٣٠	خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر بن عمر البغدادي ١٠٣٠ هـ - ١٠٩٣ هـ ، تحقيق محمد نبيل طريقي / إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، ١٩٩٨ م ، بيروت .
٣١	ديوان الأخطل ، قدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ .
٣٢	ديوان الحطيئة ، اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٢٦ هـ .
٣٣	ديوان الخرنق بنت بدر بن هفان أخت طرفة بن العبد ، رواية أبي عمرو بن العلاء ، شرحه وحققه ، يسري عبد الغني عبد الله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ .

٣٤	ديوان الفرزدق، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، شرح الأستاذ :على فاعور ، ط ٥١٤٠٧ ،
٣٥	ديوان النابغة الذبياني ، زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع الذبياني الغطفاني (٦٠٥م) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، دار المعارف .
٣٦	ديوان امرئ القيس ، تأليف: امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (المتوفى: ٥٤٥ م) اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة - بيروت ط٢، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
٣٧	ديوان بشر بن أبي حازم ، تحقيق : د.عزة حسن ، دمشق ، مديرية إحياء التراث القديم ١٣٧٩ هـ .
٣٨	ديوان تأبط شراً ، قدم له عبد الرحمن المصطاوي ، ط١، ١٤٢٤هـ
٣٩	ديوان جرير بن عطية بن حزيفة الخطفي الكلبى اليربوعي (٢٨هـ - ١١٠ هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٤٠٦ هـ .
٤٠	ديوان حميد بن ثور الهلالي ، جمع وتحقيق: د. محمد شفيق البيطار ، الكويت ، ط١ ، ١٤٢٣هـ
٤١	ديوان ذي الرمة ، شرح الخطيب التبريزي ، تقديم مجيد طراد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤١٦ هـ .
٤٢	ديوان عروة بن حزام ، تحقيق أنطوان محسن القوال ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٦ هـ .
٤٣	ديوان كثير عزة ، جمعه وشرحه ، د.إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٣٩١هـ .
٤٤	ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم ، عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني أبو محمد ، ٣٨٩ - ٤٦٦ ، تحقيق د. عبد الله أحمد سليمان الحمد ، دار العاصمة ، ١٤٠٩ ، الرياض .
٤٥	روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تأليف : محمود الألوسي أبو الفضل ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٤٦	سير أعلام النبلاء ، تأليف : الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، قدمه : الدكتور بشار عواد معروف ، ط١١، ١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٤٧	شرح ابن عقيل ، تأليف : بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار التراث القاهرة ، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه ، ط ٢٠٠٠ ١٤٠٠ هـ .
٤٨	شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، تأليف: عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام ، تحقيق : عبد الغني الدقر ، الشركة المتحدة للتوزيع - دمشق ، ط ١ ، ١٩٨٤ .
٤٩	شرح قطر الندي ، لابن هشام الأنصاري ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ، ط ١١ ، ١٣٨٣ .
٥٠	الصناعتين الكتابة و الشعر ، تأليف أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار النشر المكتبة العصرية ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م ، بيروت .
٥١	طبقات الشافعية الكبرى لمؤلفه : الإمام العلامة / تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي ، تحقيق : د. محمود محمد الطناحي ، د. عبد الفتاح محمد الحلو ، ط ٢ ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع - ١٤١٣ هـ .
٥٢	طبقات المفسرين ، تأليف : أحمد بن محمد الأندروني ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٩٩٧ ، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي ، والعبارة نفسها في طبقات المفسرين ، تأليف : عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة وهبة - القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٦ هـ .
٥٣	طبقات المفسرين للسيوطي ، تحقيق: علي محمد عمر ، مكتبة وهبة - القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٦ .
٥٤	القاموس المحيط ، تأليف محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٦ هـ ، ط ٨ .
٥٥	الكامل في ضعفاء الرجال ، لعبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد أبو أحمد الجرجاني ، ٢٧٧ هـ - ٣٦٥ هـ ، تحقيق يحيى مختار غزاوي ، دار الفكر ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م ، بيروت .
٥٦	كتاب الإمام الطبري في ذكرى مرور أحد عشر قرناً على وفاته ، ج ٢ منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، إيسيكو ، ١٩٩٢ .

٥٧	كتاب التفسير والمفسرون، تأليف: د. محمد حسين الذهبي ، مكتبه وهبه ، ط ٧ ، ٢٠٠٠ م .
٥٨	كتاب الجرح والتعديل ، تأليف الإمام الحافظ شيخ الإسلام الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ .
٥٩	كتاب المصطلح النحوي ، نشأته وتطوره حتى أو خر القرن الثالث الهجري ، تأليف عوض حمد القوزي ، جامعة الرياض ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ .
٦٠	كتاب الوفيات ، أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب ، ٧٤٠ هـ - ٨٠٩ هـ ، تحقيق عادل نويهض ، دار الإقامة الجديدة ، تاريخ النشر ١٩٧٨ م بيروت .
٦١	الكتاب لسبويه ، تحقيق : عبد السلام محمد هرون ، ط ٣ ، ٢٤٠٨ هـ ، مكتبة الخانجي القاهرة .
٦٢	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٦٣	الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، تحقيق وتعليق : الشيخ عادل عبد الموجود ، والشيخ علي محمد معوض ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ ، مكتبة العبيكان ، الرياض .
٦٤	اللباب في علوم الكتاب ، تأليف: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ، ط ١ .
٦٥	لسان العرب ، تأليف : محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري ، ط ١ ، دار صادر بيروت .
٦٦	لسان الميزان ، تأليف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، أخرجه سلمان عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، مكتبة المطبوعات الإسلامية .
٦٧	المخصص، لابن سيده ، تأليف: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، ط ١ ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

٦٨	معاني القرآن للأخفش ، تأليف أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (المتوفى: ٢١٥هـ) تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م .
٦٩	معاني القرآن للفراء ، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي نجار ، عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر .
٧٠	معاني القرآن للنحاس ، تحقيق : محمد علي الصابوني ، دار النشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤٠٩ .
٧١	معجم الأديباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، تأليف : ياقوت الحموي الرومي ، تحقيق : د إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ ، ١٩٩٣ م .
٧٢	معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله (د.ت) دار الفكر بيروت .
٧٣	معجم المؤلفين تراجم مصنفى الكتب العربية ، تأليف : عمر رضا كحالة ، مكتبة المثنى ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي .
٧٤	مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، تأليف: جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري ، تحقيق : د.مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، ط٦ دار الفكر - بيروت ، ١٩٨٥ .
٧٥	مفاتيح الغيب ، تأليف : الإمام العالم العلامة والخبير البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م ، ط١ .
٧٦	مقدمة في أصول التفسير ، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) ، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ، ط: ١٤٩٠هـ / ١٩٨٠ م .
٧٧	همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، تأليف : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، توفي ٩١١هـ ، تحقيق عبد الحميد هندأوي ، الناشر المكتبة التوفيقية ، لا ط ، لات .
٧٨	وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تأليف : أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلکان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر - بيروت ، ط ١٩٠٠ م .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	استهلال
ب	إهداء
ج	شكر وتقدير
١٢- ١	مقدمة
٢٠- ١٣	تمهيد
٤٥- ٢١	الباب الأول حياة ابن جرير الطبري
٢٣- ٢٢	الفصل الأول: اسمه ، ونسبه ، وكنيته ، وموله ، ونشأته .
٢٦- ٢٤	الفصل الثاني : رحلاته في طلب العلم .
٢٩- ٢٧	الفصل الثالث : صفاته وأخلاقه .
٣٤- ٣٠	الفصل الرابع : ثناء العلماء عليه .
٣٨- ٣٥	الفصل الخامس : شيوخه وتلاميذه .
٤٣- ٣٩	الفصل السادس : مصنفاته .
٤٥- ٤٤	الفصل السابع : وفاته .
٩٢- ٤٦	الباب الثاني : شخصية الطبري النحوية .
٥٠- ٤٧	الفصل الأول : مصادر الطبري النحوية ومذهبه النحوي .
٥٧- ٥١	الفصل الثاني : موقف الطبري من المذهبين البصري والكوفي .
٦٥- ٥٨	الفصل الثالث : اعتداد الطبري بأصالة اللفظ القرآني ودلالاته النحوية .
٦٨- ٦٦	الفصل الرابع : اعتراضات الطبري على آراء بعض النحويين .
٧٦- ٦٩	الفصل الخامس : عرض الطبري لآراء النحويين المختلفة .
٧٩- ٧٧	الفصل السادس : استخدام الطبري أسلوب الحجة والإقناع .
٨٧- ٨٠	الفصل السابع : موقف الطبري من القراءات القرآنية .
٩٢- ٨٨	الفصل الثامن : نماذج توضح دقة الطبري في التفسير والإعراب.
١٨٧- ٩٣	الباب الثالث : الجهود النحوية للطبري .

١٣٠-٩٤	الفصل الأول : في تفسير المفردات وذكر استعمالاتها .
١١١-٩٤	المبحث الأول : الجهود النحوية في تفسير سورة البقرة .
٩٤	المطلب الأول : القول في (إلى) في الآية : ﴿ وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَاطِينِهِمْ ﴾
٩٧	المطلب الثاني: القول في (إذ) في الآية : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ ﴾
١٠١	المطلب الثالث: القول في (أو) في الآية : ﴿ فِيهَا كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾
١٠٦	المطلب الرابع: القول في (أو) في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَلِمَاتٍ عَاهَدُوا عَهْدًا ﴾
١٠٨	المطلب الخامس: القول في (أم) في الآية : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ ﴾
١١٥-١١٢	المبحث الثاني : الجهود في تفسير سورة النساء .
١١٢	المطلب الأول : القول في (اللام) في الآية : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾
١١٩-١١٦	المبحث الثالث: الجهود في تفسير سورة الأعراف.
١١٦	المطلب الأول:القول في (ألا) في الآية: ﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾
١٢٤-١٢٠	المبحث الرابع : الجهود في تفسير سورة يونس.
١٢٠	المطلب الأول: القول في (اللام) في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ ﴾
١٢٣	المطلب الثاني : القول في موضع يؤمنوا في الآية : ﴿ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾

١٢٥-١٢٧	المبحث الخامس : الجهود في تفسير سورة هود.
١٢٥	المطلب الأول :القول في الألف في الآية: ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾
١٢٨-١٣٠	المبحث السادس : الجهود في تفسير سورة الرعد.
١٢٨	المطلب الأول :القول في (من) في الآية : ﴿ لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾
١٣١-١٨٧	الفصل الثاني : في تفسير الجمل وذكر إعرابها .
١٣١-١٣٥	المبحث الأول : الجهود النحوية في تفسير سورة البقرة .
١٣١	المطلب الأول :القول في إعراب (وصدّ) في : ﴿ وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفِّرْ بِهِ ﴾
١٣٦-١٤٢	المبحث الثاني : الجهود في تفسير سورة آل عمران .
١٣٦	المطلب الأول:القول في المعنى الذي جلب الباء في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا بِجِبِلٍّ مِّنَ اللَّهِ وَحِبْلٍ مِّنَ النَّاسِ ﴾
١٣٨	المطلب الثاني :القول في (ليسوا سواء) في الآية : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾
١٤٣-١٥٤	المبحث الثالث : الجهود في تفسير سورة النساء .
١٤٣	المطلب الأول:القول في موقع (مِنْ) في الآية : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ ﴾
١٤٦	المطلب الثاني:القول في نصب (رقيق) في قوله تعالى: ﴿ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾
١٤٩	المطلب الثالث :القول في إعراب (فنتنين) في الآية ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَافِقِينَ فِتْنِينَ ﴾

١٥١	المطلب الرابع :القول في إعراب (والمقيمين) في الآية: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾
١٦٠-١٥٥	المبحث الرابع : الجهود في تفسير سورة المائدة .
١٥٥	المطلب الأول : القول في (اللام) في الآية : ﴿لَا تُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ﴾
١٥٨	المطلب الثاني :القول في رافع (شهادة) و(اثنان) في الآية : ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ .
١٦٦-١٦١	المبحث الخامس: الجهود في تفسير سورة الأنعام .
١٦١	المطلب الأول:القول في جملة القسم (ليجمعنكم) في الآية ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾
١٦٣	المطلب الثاني :القول في موضع (مَنْ) في الآية : ﴿هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ﴾
١٧٧-١٦٧	المبحث السادس : الجهود في تفسير سورة الأعراف .
١٦٧	المطلب الأول : القول في إعراب : ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾
١٧٠	المطلب الثاني :القول في تذكير (قريب) في الآية : ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾
١٧٥	المطلب الثالث: القول في تأنيث (اثنتي عشرة) في الآية : ﴿وَقَطَعْنَا لَهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا﴾
١٨٠-١٧٨	المبحث السابع : الجهود في تفسير سورة يونس .
١٧٨	المطلب الأول :القول في الرفع للجزاء في الآية ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّثْلُهَا﴾
١٨٣-١٨١	المبحث الثامن : الجهود في تفسير سورة هود .

١٨١	المطلب الأول : القول في موضع (مَنْ) في الآية : ﴿ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾
١٨٤-١٨٧	المبحث التاسع : الجهود في تفسير سورة النحل .
١٨٤	المطلب الأول : القول في جواب (من) في الآية : ﴿ مِنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا ﴾
١٨٨-١٩١	خاتمة .
١٩٢-٢٢٦	فهارس عامة ، تضمنت :
١٩٣-٢٠١	فهرس الآيات القرآنيّة .
٢٠٢-٢٠٧	فهرس الشواهد النحويّة والأشعار .
٢٠٨-٢١٥	فهرس الأعلام
٢١٦-٢٢٢	فهرس المصادر والمراجع
٢٢٣-٢٢٦	فهرس الموضوعات